يهدى
ولا يباع

عالمية الإسلام

الجزء الأول

- أسئلة تمهيدية
- مفهوم عالمية الإسلام
- مظاهر عالمية الإسلام
- الرسول العالمي
- الحسين عليه السلام رسالة عالمية
- متطلّبات عالمية الإسلام
- منهج البحث

الشيخ محمد أشكناني

يُهْدَى وَلَا يُبَاعُ

عَالَمِيَّةُ الإِسْلامِ

الجزء الأوّل

* أسئلة تمهيديّة *

* مفهوم عالميّة الإسلام *

* مظاهر عالميّة الإسلام *

* الرّسول العالميّ *

* الحسين عليه السّلام رسالة عالميّة *

* مُتَطَلَّبات عالميّة الإسلام *

* منهج البحث *

الشّيخ محمّد أشكناني

الطّبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف

السّلام عليكم جميعًا

أرجو ممّن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى الإيميل الموجود في الصّفحة التّالية أو الواتساب على هاتف 00965-99644250

يبدي رأيه في الكتاب وفي مشروع عالميّة الإسلام ، فآراؤكم تهمّنا وترشدنا إلى الأفضل ، وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها في الجزء الثّاني من الكتاب ، وأكون لكم من الشّاكرين .

الشّيخ محمّد أشكناني

موقع ديوانيّة الشّيخ محمّد أشكناني

www.alashkanani.com

YouTube

Ashkanani Channel

Instagram

@alashkanani

البريد الإلكترونيّ للدّيوانيّة

mail@alashkanani.com

البريد الإلكترونيّ للمؤلّف

mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابْنِ الحَسَنِ صَلَوَاتُكَ

عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ

وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلاً وَعَيْنًا حَتَّى

تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلاً

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَاهِرِينَ

عالميّة الإسلام

(١)

أسئلة تمهيديّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

السّلسلة الجديدة الّتي نبدأ بها هي موضوع **"عالميّة الإسلام"** ، وتوجد جوانب كثيرة ضمن هذا الموضوع .

نبدأ ببعض الآيات القرآنيّة تبرّكًا وطلبًا للعلم .

العالميّة مرتبطة بالله عزّ وجلّ :

"الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [٢] .

الله عزّ وجلّ هو ربّ العالمين ، فله تعالى ارتباط بالعالميّة .

"فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ" [٣] .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ٦ صفر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١٠/٢٧ م .

[٢] الفاتحة : ٢ .

[٣] آل عمران : ٩٧ .

هو ربّ العالمين ، وهو غنيّ عن العالمين ، لا يحتاج سبحانه إلى شيء ، وجميع الأشياء تحتاج إليه .

"إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" [١] .

"وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" [٢] .

"وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" [٣] .

"أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" [٤] .

إذن :

الله عزّ وجلّ له ارتباط بالعالَمين ، أي جميع العوالم ، ونحن كلامنا في العالميّة بالمقدار الموجود في عالمنا على الأرض .

العالميّة مرتبطة بالرّسل :

"قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ" [٥] .

"وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ" [٦] .

---

[١] البقرة : ١٣١ .

[٢] الأنعام : ٧١ .

[٣] البقرة : ٢٥١ .

[٤] الأعراف : ٥٤ .

[٥] السّورة السّابقة : ٦١ .

[٦] السّورة السّابقة : ١٠٤ .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [١] .

"تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" [٢] .

إذن :

الرّسل عليهم السّلام لهم ارتباط بالعالميّة .

العالميّة مرتبطة بالمعاد :

"يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ" [٣] .

العالميّة مرتبطة بالقرآن الكريم :

"إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ" [٤] .

"وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ" [٥] .

العالميّة مرتبطة بالكعبة المشرّفة :

"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ" [٦] .

---

[١] الأنبياء : ١٠٧ .

[٢] الفرقان : ١ .

[٣] المطفّفين : ٦ .

[٤] الواقعة : ٧٧ – ٨٠ .

[٥] القلم : ٥١ – ٥٢ .

[٦] آل عمران : ٩٦ .

الكعبة المشرّفة بركة وهداية للعالمين .

العالميّة مرتبطة بالجنّة :

"دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [١] .

هذه بعض الآيات القرآنيّة الّتي ذكرت كلمة "العالمين" ، وبيّنت ارتباط هذه الكلمة ببعض الأمور ، ويمكن مراجعة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن لاستخراج الأمور الأخرى الّتي لها ارتباط بالعالميّة .

من أهمّ المواضيع الّتي ينبغي أن تُطْرَحَ في زماننا الحاليّ هو موضوع **"عالميّة الإسلام"** ، وهو موضوع مهمّ جدًّا ؛ لأنّ هناك إشكالات كثيرة تُطْرَحُ على الإسلام ، والصّورة الموجودة اليوم للإسلام هي صورة الإرهاب والقتل والقتال ، ومن خلال الموضوع لا بدّ أن نردّ على الإشكالات والشّبهات ، توجد إشكالات على الإله ، وإشكالات على النّبوّة ، وإشكالات على الإمامة ، وإشكالات على المعاد ، وإشكالات وشبهات على القرآن الكريم ، وبعض القنوات المسيحيّة يطرحون الشّبهات على القرآن ، يأتون ببعض الآيات القرآنيّة وَيُشْكِلُونَ عليها ، وأنت كمسلم قد يكون عندك بعض الإشكالات على بعض الآيات القرآنيّة ، وعادةً من يؤمن بالقرآن الكريم يتغاضى

---

[١] يونس : ١٠ .

عـن إشـكالاته ، ولا يحـاول الوصـول إلى إجـابات عليهـا ، وبعـض المسلمين بسبب هـذه الإشكالات يـترك الإسـلام ، فيـذهب إمّـا إلى الإلحاد وإمّا إلى الأديان الأخرى ، ولكن كلّ إشكال وشبهة لا بدّ لها من جواب ، والشّـابّ الّـذي يأتي بسؤال إلى العلمـاء لا بـدّ أن يحصل على جـواب منهم ؛ لأنّنـا أتبـاع أهـل البيت عليهم السّـلام لا توجـد عندنا خطوط حمراء ، لا نقول للشّخص لا تفكّر في هذا الموضوع أو لا تطرح هـذا السّـؤال ، ومـن سيرة علمـاء مدرسة أهـل البيت عليهم السّـلام أنّهم يجيبـون على كـلّ سؤال ، ولا يقـول لـك لا تفكّـر ، وإنّمـا يقول لك فكّر في كلّ ما تسمع ، وإذا عندك سؤال اسأل حتّى تحصل على الجـواب ، وإذا لم تحصـل على الجـواب الشّـافي مـن أحـد العلمـاء فاذهـب إلى عـالم آخـر حـتّى ترتفـع الإشـكالات والشّـبهات عنـدك ، والإنسـان الّـذي لا توجـد عنـده أيّ شـبهة وأيّ إشـكال معنـاه أنّ اعتقاداته لا تكون قائمة على أساس التّفكير والاقتناع ، فمن يفكّر تأتي إلى ذهنـه أسـئلة ، وأمّـا الإنسـان الّـذي يقبـل كـلّ شـيء فهـو لا يفكّر ، أو أنّه يقبل الأفكار بلا دليل ، لمجرّد أنّ فلانًا قال فأنا أَقْبَلُ منه ، كلّ ما تسمعه لا بدّ أن تفكّر به ؛ لأنّ الإنسان يُحْشَرُ فَرْدًا ، ولا بدّ أن تُحَضِّرَ الجواب عن كلّ أمر تُسْأَلُ عنه في عالم البرزخ ويوم القيامة ، مثلا تُسْأَلُ : لماذا اعتقدت بوجود إله ؟

لا بدّ أن يكون عندك جواب ، ولا يكفي أن تقول بأنّي سمعت

من أبي أو سمعت من العالم الفلاني ، الاعتقاد بالله لا بدّ أن يكون عن اقتناع ، أنت لا بدّ أن تكون مقتنعًا به ، وكذلك بقيّة العقائد لا بدّ أن تكون عن اقتناع ، طبعًا الكلام عن أصول العقائد الّتي هي أصول الدّين ، هذه الأصول لا بدّ أن تكون بعد تفكير واقتناع ، لذلك لا يجوز التّقليد في أصول الدّين ، فأصول المعارف الاعتقاديّة لا يجوز التّقليد فيها ، نعم تفاصيل الاعتقادات تؤخذ من العلماء ، مثلًا شكل الجنّة كيف هو ، أنت تقرأ القرآن الكريم الّذي يوضّح شكل الجنّة في كثير من الآيات ، هل يجب الاعتقاد بهذا الشكل ؟

الجواب هو لا ليس بالضّرورة ؛ لأن التّصوّرات عن الجنة مختلفة .

من الإشكالات التي تُطْرَحُ هي أنّ القرآن كثيرًا ما يذكر الحور العِين ، فلماذا تركّزون على النّساء والقرآن يركّز عليهن ؟

الجواب هو أنّه من طبيعة الرّجل أنّه يميل إلى النّساء ، وإذا الرجل في الجنّة لا يريد النّساء فهذا راجع إليه ؛ لأنّه في الجنة أنت تُعْطَى ما تشتهي وما تريد .

"وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ" [١] .

فما يشتهيه الإنسان ويرغب إليه ويريده يحصل عليه في الجنّة ، والقرآن الكريم طَرَحَ بعض المصاديق ، مثلًا قال :

---

[١] الأنبياء : ١٠٢ .

"جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ" [١] .

هذا مصداق من المصاديق ، وإذا تريد هذه الجنّات في الآخرة فإنّك تحصل عليها ، وإذا تريد قصورًا يعطونك ، فالقاعدة العامّة هي "ما تشتهي" ، والقرآن ذكر بعض المصاديق ، مثل ما أنّ أحد العلماء يقول بأنّه يشتهي في الجنّة أن تكون عنده مكتبة ، فيعطونه المكتبة الّتي يريدها ، أنت وما تشتهي ، وهذه هي القاعدة العامّة ، والإشكالات الّتي تطرح تكون على المصاديق ، الآن لو أنّ أيّ رجل يقال له يعطونك في الدّنيا مائة امرأة بلا مهور ولا مسؤوليّات ، ألا يقبل الرّجال حتى هذا المستشكل ؟!

يقبل لأنّ هذه هي رغبة الرّجال ، فيوجد ميل طبيعيّ من الرّجل إلى المرأة ، ومن المرأة إلى الرّجل ، فأنت تُعْطَى في الجنّة ما تشتهي .

والإشكال نجيب عليه بأنّ القرآن ذكر مصاديق ، فالقرآن يذكر الجنّات لأنّ المسلمين كانوا يعيشون في بيئة صحراويّة ، فالله يذكر لهم بعض المصاديق غير الموجودة عندهم ، ولنفرض شخصًا غربيًّا وهو الآن يعيش في جنّات من الخضرة والأنهار يقال له بأنّنا سنعطيك جنّات ، فيقول أنا أعيش الآن في جنّة ، فَيُعْطَى له شيء آخر هو يشتهيه .

---

[١] آل عمران : ١٥ .

وسيأتي بحث عن أنّ القرآن يذكر مفاهيم أو يذكر مصاديق ، فالقرآن في بعض الموارد يذكر المفهوم ، وفي بعض الموارد يذكر المصداق ، فما اشتهت أنفسهم هو المفهوم ، ويذكر القرآن بعض مصاديق هذا المفهوم .

مثلا يذكر القرآن الكريم الإبل : "**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**" [١] .

إذا ذهبنا إلى مجتمع لا يعرفون الإبل ، فهل تقول لهم انظروا إلى الإبل ، يقولون لك لا نعرف الإبل ، ما هو الإبل ؟

فنعرف أنّ هذه الآية ذكرت مصداقًا مناسبًا للمجتمع العربيّ في الجزيرة العربيّة ، ونعرف أنّ بعض الدّول رمزهم النّسر ، فيقال لهم انظروا إلى النّسر كيف خُلِقَ ، وقد توجد في بعض المجتمعات حيوانات أو طيور أنت لا تعرفها ، مثلا بيئة بحريّة وعندهم نوع عجيب من الأسماك ، فيقال لهم انظروا إلى هذا السّمك كيف خُلِقَ ، هذه كلّها مصاديق وأمثلة ، فليس في كلّ مجتمع ينظرون إلى الإبل .

هذه الأمور المذكورة في القرآن لا بدّ أن نتدبّر فيها ، وإن شاء الله من خلال البحوث نأتي إلى ذكر مثل هذه المواضيع القرآنيّة .

---

[١] الغاشية : ١٧ .

رجوع إلى موضوع عالميّة الإسلام :

في بداية الموضوع سأطرح مجموعة من الأسئلة المهمّة ، وكان العنوان الرّئيس للبحث هو "أسئلة تمهيديّة" ، والهدف منه التّمهيد لموضوع عالميّة الإسلام ، وأجوبة هذه الأسئلة سَتُثْبِتُ لنا إمّا صلاحية الإسلام لكي يكون دينًا عالميًّا وإمّا عدم صلاحية الإسلام ، فنثبت صلاحية الإسلام إذا استطعنا أن نجيب عن هذه الأسئلة بأجوبة تناسب العالميّة ، وأمّا إذا لم نستطع أن نجيب عن هذه الأسئلة فمعنى ذلك أنّه لا يمكن لنا أن نقول بأنّ الإسلام دين عالميّ ، والدّين إذا كان عالميًّا فلا بدّ أن يناسب النّاس في العالم في كلّ زمان وفي كلّ مكان .

وأوّل سؤال هو : هل الإسلام يصلح لأن يكون دينًا عالميًّا أو لا ؟

إنّ كل من يسمع من المسلمين هذا السّؤال يجيب نعم بلا أدنى شكّ ؛ لأنّ هذا ما سمعناه وتعلّمناه ، فمنذ الصّغر نسمع بأنّ الإسلام دين عالميّ وأنّه صالح لكلّ زمان ومكان ، من غير أن نسأل أنفسنا : ما هو الدّليل عليه ؟ وهل يمكن لنا أن نُثْبِتَ عالميّة الإسلام ؟

المفروض أن تكون عندنا بحوث كثيرة لإثبات عالميّة الإسلام ، فهل توجد عند المسلمين بحوث تُثْبِتُ عالميّة الإسلام ؟

هل توجد كتب تحت هذا العنوان بحيث إنّ الإنسان الغربيّ أو الشّرقيّ إذا أراد أن يدرس الإسلام فيمكن لنا أن نُثْبِتَ له أنّ الإسلام

دين عالميّ ؟

وإذا توجد كتب فهي معدودة لا تتعدّى أصابع اليد ، والمسلمون منذ أوّل يوم جاء فيه الإسلام يقولون بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، فلا بدّ أن توجد كتب كثيرة تُثْبِتُ هذا الأمر ، ولا بدّ أنّه في كلّ مجتمع ننظر إلى المشاكل الّتي يعايشونها ونبيّن الحلول الإسلاميّة ، ونقول بأنّ هذا هو الحلّ الإسلاميّ ، الآن هل الإسلام مُطَبَّقٌ في مجتمعاتنا حتّى نطالب بتطبيق الإسلام في العالم ؟!

نحن المسلمين ندّعي عالميّة الإسلام ولا نطبّق الإسلام ، فنحتاج إلى الدّليل الّذي يُثْبِتُ أنّ الإسلام رسالة عالميّة ودين عالميّ وصالح لحلّ جميع المشاكل الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة العالميّة ، مثلًا هل يمكن للإسلام أن يحلّ مشكلة الفقر في العالم ؟

لا بدّ أن توجد نظريّات قابلة للتّطبيق لحلّ مشكلة الفقر في العالم .

ننتقل إلى السّؤال الثّاني : كيف يمكن للمسلمين أن يُثْبِتُوا صلاحية الإسلام لكي يكون دينًا عالميًّا لكلّ الناس في كلّ زمان ومكان ؟

وتأتي الأسئلة التّالية :

هل يمكن للإسلام أن يجاري عصرنا الحاليّ والعصور المستقبليّة بحيث يمكن أن يُبَيِّنَ جميع الأحكام الّتي تحتاجها البشريّة في جميع شؤونها ومجالات أمورها ؟ فهل الإسلام يجاري العصر الحاليّ أو لا يمكنه ذلك ؟

إذا كان يجاري العصر فلا بدّ أن يكون للإسلام رأي في كلّ ما هو موجود في هذا العالم ، لا بدّ أن نُبَيِّنَ الحلول لجميع المشاكل الّتي تواجهها البشريّة .

ما هي مقوّمات أيّ نظام ليكون مقبولًا عند جميع النّاس ؟

ما هي المبادئ الّتي يطرحها الإسلام لكي يكون الدّينَ العالميَّ ؟

هل توجد مبادئ في الإسلام أو لا توجد ؟

إذا توجد مبادئ فما هي هذه المبادئ بحيث تكون مقبولةً من العالم ؟

مثلا إذا قلنا بأنّ من مبادئ الإسلام قتل جميع المشركين والكافرين فهل هذا المبدأ يمكن أن يكون مقبولًا في العالم بحيث يكون مبدأً عالميًّا ؟

إذن لا بدّ أن نعرف ما هي مبادئ الإسلام العالميّة الّتي تكون مقبولةً من جميع الناس .

هل تحتاج البشريّة إلى دين في حياتها أو لا تحتاج ؟ ما هي حاجة البشريّة إلى دين ؟

هل الدّين يُشَكِّلُ عائقًا لحركة البشريّة أو لا ؛ لأنّ من الإشكالات أنّ الدّين يساهم في تأخّر البشريّة عن الحضارة وأنّه يريد أن يُرْجِعَنَا إلى الخلف ١٤٠٠ سنة ؟

كيف نتعامل مع القرآن والرّوايات وأقوال العلماء ؟

لا بدّ أن نحدّد المنهج التّفصيليّ لكيفيّة هذا التّعامل ، من يريد أن يطرح عالميّة الإسلام نسأله : ما هو المنهج الّذي على أساسه يتعامل مع القرآن ومع الموروث الرّوائيّ الموجود عند جميع المذاهب ومع أقوال العلماء الّذين عندهم كثير من الآراء ؟

بعض آراء العلماء تكون مذكورة مع أدلّتها ، وبعضها مذكورة بلا أيّ دليل إلّا الاستحسان ، وبعضها تكون أدلّتها ناقصة فيكون فهم العالم غير تامّ ، ومن الممكن أن تبحث في كلام العالم فيتبيّن أنّ هذا رأي شخصيّ بلا دليل ، وقد يستند إلى رواية مخالفة للقرآن الكريم ، فما هو المنهج في التّعامل مع القرآن والرّوايات وأقوال العلماء ؟

يقول القرآن الكريم :

"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ" [١] .

ما هو هذا الإسلام الّذي يريده الله تعالى ؟

هل هو الإسلام المذهبيّ القائم على أساس كلّ مذهب بحيث يكون لكلّ مذهب إسلام يختلف عن إسلام المذاهب الأخرى أو أنّ الإسلام في هذه الآية إسلام آخر ؟

هل يُقْصَدُ به الدّين الإسلاميّ أو شيء آخر ؟

إذا كان المراد هو الدّين الإسلاميّ فعلى أيّ مذهب ؟

---

[١] آل عمران : ١٩ .

لا بدّ من تحديد معنى الإسلام في الآية الكريمة بدقّة .

من أين ننطلق لنثبت عالميّة الإسلام ؟

ما هو أوّل موضوع لا بدّ أن نبحثه ؟

ومن خلال بحث هذا الموضوع ننطلق إلى بقيّة البحوث .

الانطلاقة تكون من معرفة الله ، أيّ من معرفة الإله الخالق لهذا الكون ، وفي المواضيع نستعمل كلمة "الإله" لكي تكون مواضيعنا عالميّة ، وعند المسلمين هو الله ، وفي اللّغات الأخرى توجد كلمات ثانية ، مثلًا في اللّغة الإنجليزيّة يقولون God ، والمسيحيّون الّذين يعيشون في الدّول العربيّة يقولون "الله" ، فنستعمل لفظ "الإله الخالق" لتكون مواضيعنا عامّة ، فننطلق من معرفة الإله الخالق للكون .

نأتي إلى قوله تعالى :

"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ" [١] .

الآية تقول إنّ الدّين عند الله ، فقبل معرفة الدّين لا بدّ من معرفة الله تعالى ، أي معرفة الإله الخالق ، فقبل معرفة الدّين عليك أن تعرف الإله ، فمن هو إلهك ؟

وفي نهج البلاغة الخطبة الأولى رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام : "أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ" ، أي معرفة الله تعالى .

---

[١] آل عمران : ١٩ .

هل يوجد خالق لهذا الكون أو لا ؟

أنت تقول : "نعم يوجد خالق" ، ولكن غيرك يقول : "لا يوجد خالق" ، فما هي الإشكالات الّتي يطرحها من يقول "لا" لكي نجيب عليها حتّى يمكن لنا أن نثبت وجود خالق لهذا الكون ؟

ما هو الدّليل على وجود إله خالق للكون ؟

ما هي حاجة البشريّة إلى خالق لهذا الكون ؟

فإذا أثبتنا وجود إله خالق للكون فهل تحتاج البشريّة إلى الإله ؟

وفي أيّ شيء تحتاج هذا الإله ؟

ما هي الآثار النّظريّة والآثار العمليّة الّتي تترتّب على الاعتقاد بالإله ؟

فإذا لا تترتّب أيّ آثار نظريّة أو عمليّة على الاعتقاد بالإله فلا يفرق أن تعتقد به أو لا تعتقد به .

إذن :

ننطلق أوّلًا من الإله إلى أيّ موضوع آخر ، فأصل الدّين هو معرفة الله ، وإحدى صفات الله تعالى هي التّوحيد ، في أصول الدين نحن نبدأ بالتّوحيد ، والمفروض أن يكون أصل الدّين هو الله ، والتّوحيد صفة من الصّفات الإلهيّة ، فأصل الدّين ليس هو التّوحيد ، وإنّما أصل الدّين هو الله تعالى ، ومنه التّوحيد الّذي هو أهمّ صفة من صفات الله سبحانه .

هل توجد نظرة كونية توحيديّة ؟

هل هناك نظام واحد للكون ؟

ثمّ نأتي إلى الأنبياء عليهم السّلام :

ما هي حاجة البشريّة إلى الأنبياء والرّسل عليهم السّلام ؟

في نهج البلاغة الخطبة الأولى رُوِيَ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام عن دور الأنبياء عليهم السّلام : "وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ العُقُولِ" .

ونأتي إلى الإمامة :

هل تحتاج البشريّة إلى إمام بعد الرّسول صلّى الله عليه وآله ؟

وكلامنا عن البشريّة لا عن المسلمين فقط ؛ لأنّنا نعتقد أنّ الإسلام دين عالميّ .

ونأتي إلى العدل :

هل تحتاج البشريّة إلى عدل الله ؟ هل هذا الإله عادل أو ليس بعادل ؟

وتأتي هنا بعض الإشكالات : إذا كان الإله عادلًا وحكيمًا فكيف نحلّ مشكلة الشّرور في العالم من الفيضانات والزّلازل والأمراض واعتداء الإنسان على أخيه الإنسان ؟

يقولون لو كان الله عادلًا وحكيمًا فالمفروض أن لا تقع شرور في العالم ، فلا يمكن أن يكون الإله شرّيرًا ، وهذه من أقوى الإشكالات

الّتي تُطْرَحُ على وجود الإله الخالق ، وهذا الإشكال هو سبب عدم اعتقاد البعض بوجود الإله وسبب ترك الدّين ، وبعض الأديان ما استطاعوا أن يحلّوا مشكلة وجود الشّرّ في العالم ، فقالوا بوجود إلهين : إله للخير ، وإله آخر للشّرّ ، فهذا الإشكال القويّ بحاجة إلى جواب شافٍ حتّى تنحلّ المشكلة .

ونأتي إلى المعاد :

هل تحتاج البشريّة إلى يوم القيامة ؟ وما هي هذه الحاجة ؟

ونأتي إلى بقيّة الأسئلة :

ما هو دور الشّيطان في حرف مسيرة البشريّة ؟

والمواضيع التي تُطْرَحُ عن الشّيطان قليلة جدًّا ، مع أنّ الشّيطان له دور عالميّ ، فلا بدّ أن نعرف دوره ، فكلّ ضلال وانحراف في العالم مصدره الشّيطان ، فهو قائد الضّلال ، نعم نرى شياطين صغارًا في العالم ، ولكن الشّيطان الأكبر هو إبليس ، فكيف يدخل الشّيطان إلى النّاس لكي يكونوا على حذر منه ؟

ما هو دور أعداء الدّين في حرف مسيرة البشريّة ؟

ما هو دور علماء الدّين في مواجهة أعداء الدّين لأجل الحفاظ على المسيرة الصّحيحة للبشريّة ؟

ما هو واقع المسلمين اليوم ؟ ولماذا لا تتطوّر العلوم عندهم ؟

المسلمون اليوم يعيشون التّخلّف ، فهم أسفل أمّة في قائمة الأمم ،

ولا أحد يلتفت إليهم ، ولا أحد يستشيرهم ، لماذا وصلوا إلى هذا الحدّ ؟

ما هي أسباب تخلّف المسلمين ؟

هل الإسلام له دور في تخلّف المسلمين أو لا ؟

كيف السّبيل إلى نهضة المسلمين ؟

ما هو دور الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في أحكام الدّين أو أنّ الإسلام ثابت رغم تغيّر ظروف الزّمان والمكان ؟

توجد نظريّتان : نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، ونظريّة عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، فأيّ النّظريّتين تواكب زماننا المعاصر وكلّ زمان ؟

هل أحكام الدّين ثابتة أو متغيّرة ؟

فيأتي بحث الثّابت والمتغيّر في الإسلام ، فهل جميع أحكام الإسلام ثابتة مع اختلاف الزّمان والمكان أو أنّها قابلة للتّغيّر ؟ وكيف تتغيّر ؟

هل الإسلام كَفَلَ حرّيّة الاعتقاد للإنسان أو لا ؟

تأتي مجموعة من الآيات القرآنيّة ، مثل :

"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" [١] .

---

[١] البقرة : ٢٥٦ .

"وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" [١] .

إذا كان الجواب "نعم ، الإسلام كفل حرّيّة الاعتقاد" ، فما هو الرّدّ على حكم قتل المرتدّ ؟

وسيأتي بحث المرتدّ تفصيلًا من خلال الآيات القرآنيّة والرّوايات ، من جِهَةٍ القرآنُ يقول : **"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"** ، ومن جهةٍ أخرى تقولون بأنّ المسلم المرتدّ يُقْتَلُ ، والجواب الّذي يُطْرَحُ هو أنّه قبل دخول الإسلام لا إكراه في الدّين ، ولكن بعد الدّخول في الإسلام يوجد إجبار على بقائك في الدّين ، وإذا أردت أن تخرج فإنّك تُقْتَلُ ، وهذا جواب غير مقبول لأنّ الآية مطلقة لم تُحَدِّدْ بقبل دخول الإسلام أو بعد دخول الإسلام ، ويأتي السّؤال التّالي : هل يمكن للمسلم أن يخرج من الإسلام ويعتقد بدين آخر أو ليس له الحرّيّة بل يُقْتَلُ بمجرّد أن يخرج من الإسلام ؟

ويقسّمون المرتدّ إلى قسمين : مرتدّ فِطْرِيّ ، ومرتدّ مِلّيّ ، والمرتدّ الفِطْرِيّ هو المولود من أبوين مسلمين ، وبمجرّد ما يرتدّ عن الإسلام يُقْتَلُ بدون أن يُسْتَتَابَ ، والمرتدّ المِلّيّ هو الّذي كان على دين آخر أو كان ملحدًا ودخل الإسلام ، فإذا ارتدّ يُسْتَتَابُ ، فإذا لم يَتُبْ يُقْتَلُ .

---

[١] الكهف : ٢٩ .

هذا هو الموجود في فقه المسلمين اليوم ، وهذا الحكم سبب لعدم دخول الآخرين في الإسلام ، مثلًا : مسيحيّ أراد أن يدخل الإسلام ، فإذا قيل له إذا دخلت فلا يمكن لك الخروج ، وإذا خرجت تُقْتَلُ ، فهل يمكن أن يدخل الإسلام مع وجود هذا الحكم ؟ وهل دِينٌ يقول بقتل المرتدّ يمكن أن يكون مقبولًا كدين عالميّ ؟

يَرِدُ على الإسلام إشكال قتل المرتدّ ، فهل هذا الحكم موجود فعلًا في الإسلام ؟ وإذا كان موجودًا فكيف يمكن التّوفيق بين كون الإسلام دينًا عالميًّا وبين حكم قتل المرتدّ ؟

وتأتي أسئلة أخرى :

ما هي علاقة الإسلام مع أتباع الأديان الأخرى ؟

كيف تكون للمسلمين شخصيّة متميّزة تميّزهم عن الأشخاص الّذين لا يكونون أتباعًا للإسلام ؟

هل يحتاج المسلمون إلى تجديد الخطاب الدّينيّ أو تجديد الفكر الدّينيّ أو لا يحتاجون ؟

هل الإسلام دين السّلام أو دين الحرب ؟

إذا كان الإسلام دين السّلام فماذا نفعل بآيات القتل والقتال والجهاد في القرآن وهم يقولون بأنّ الإسلام يدعو إلى قتل المشركين والكفّار ؟

ما هي مكانة المرأة في الإسلام مع أنّ القرآن الكريم يقول :

"فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ" [١] ؟

وهذه من الإشكالات القويّة التي تُطْرَحُ على الإسلام بأنّه مسموح للرّجال أن يضربوا النّساء ، وبعض الرّجال يطبّقون هذه القراءة وهذا الفهم للآية ، فما هو جواب هذا الإشكال ؟ وهل الإسلام أعطى مكانةً عاليةً للمرأة أو يعتبرها كالأثاث في البيت ؟

وتوجد بعض الرّوايات ، مثل :

"اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شِرَارِ نِسَائِكُمْ ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي المَعْرُوفِ فَيَدْعُونَكُمْ إِلَى المُنْكَرِ" [٢] .

". . . فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ ، إِنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتُكَفِّرْنَ العَشِيرَةَ" [٣] .

"المَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا ، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا" [٤] .

"شَاوِرُوا النِّسَاءَ وَخَالِفُوهُنَّ ؛ فَإِنَّ خِلَافَهُنَّ بَرَكَةٌ" [٥] .

---

[١] النّساء : ٣٤ .

[٢] الكافي ج٥ ص٥١٨ .

[٣] بحار الأنوار للعلامة المجلسيّ ج٢٢ ص١٤٦ ح١٣٨ ، العشيرة أو العشير : مَنْ تُعَاشِرُهُ .

[٤] المصدر السّابق ج١٠٠ ص٢٥٢ ح٥٣ .

[٥] المصدر السّابق ج١٠٠ ص٢٦٢ .

"المَرْأَةُ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ . . ." [١] .

"المَرْأَةُ عَوْرَةٌ ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ" [٢] .

"يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ . . . فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ" [٣] .

"مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ . . ." [٤] .

"لَا يُسْأَلُ الرَّجُلَ فِيمَ ضَرَبَ أَهْلَهُ" [٥] .

هناك إشكالات تُطْرَحُ على بعض الآيات القرآنيّة ، وإشكالات على بعض الرّوايات ، ولا بدّ أن نستعرض جميع الآيات والرّوايات الّتي تتحدّث عن المرأة ، ونبحث في أنّ هذه الرّوايات تتناسب مع القرآن أو لا تتناسب ؟

فإذا قلنا بأنّ القرآن يدعو إلى ضرب النّساء فمعنى ذلك أنّ المرأة ليس لها قيمة ، فتكون الرّوايات الّتي لا تُعْطِي قيمةً للمرأة متوافقةً مع القرآن ، مع أنّنا نقول بأنّ الله أعطى مكانةً للمرأة في الإسلام وأعطى

---

[١] صحيح مسلم ج٤ ص١٢٩ ، مسند أحمد ج٣ ص٣٣٠ ، سنن النّسائيّ ج٥ ص٣٥١ .

[٢] سنن التّرمذيّ ج٢ ص٣١٩ .

[٣] صحيح البخاريّ ج١ ص٧٨ ، صحيح مسلم ج١ ص٦١ ، سنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٦ ، سنن التّرمذيّ ج٤ ص١٢٣ .

[٤] صحيح البخاريّ ج١ ص٧٨ ، صحيح مسلم ج١ ص٦١ .

[٥] تفسير القرطبيّ ج٥ ص١٧٣ .

لها حقوقًا كثيرة .

هذه الأسئلة تحتاج إلى أجوبة .

وتأتي أسئلة أخرى :

هل يوجد تناقض بين النّقل والوحي وبين العقل أو لا يوجد تناقض ؟

هل يوجد نظام سياسيّ في الإسلام ؟ وما هو تفاصيل هذا النّظام ؟

هل يوجد نظام اجتماعيّ في الإسلام ؟ وما هو تفاصيل هذا النّظام ؟

هل يوجد نظام اقتصاديّ في الإسلام ؟ وما هو تفاصيل هذا النّظام ؟

وطبعا يأتي الجواب : "نعم توجد هذه الأنظمة" ، فنسأل : أين البحوث والكتب الّتي تثبت وجود هذه الأنظمة في الإسلام ؟

مثلا : ما هو النّظام السّياسيّ في الإسلام ؟

بعض العلماء يقولون بنظام الخلافة ، وبعضهم يقولون بنظام ولاية الفقيه ، وبعضهم يقولون بأنّ الإسلام لا يدعو إلى إقامة نظام سياسيّ وحكم المسلمين لدولة ، فأين نظريّة النّظام السّياسيّ في الإسلام وهو مُخْتَلَفٌ فيه بين علماء المسلمين ؟

لا بدّ أنّ الإسلام قد طرح أنظمة سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة

واضحة المعالم .

وإذا كان يوجد نظام اقتصاديّ في الإسلام فلماذا يوجد فقراء في بلدان المسلمين ؟

المفروض أنّ النّظام الاقتصاديّ لا يترك فقيرًا في البلد ولا في العالم ، ولا بدّ أنّ الإسلام قد طرح حلًّا عالميًّا لمشكلة الفقر .

ما هي الإشكالات والشّبهات الّتي يطرحها الملحدون ؟ وما هي أجوبتها ؟

هل الإسلام يدعو إلى وحدة المسلمين والتّقريب بين المذاهب ؟

هل الإسلام يدعو إلى الحوار بين الأديان ؟

هل الإسلام يدعو إلى الوحدة الإنسانيّة ؟

هل الإسلام يدعو إلى حوار الحضارات أو صراع الحضارات ؟

ما هي الدّولة المدنيّة ؟ وهل يؤيّدها الإسلام أو لا ؟

ما هي الدّولة الدّيمقراطيّة ؟

ما هي العلمانيّة ؟

ما هي العولمة ؟

ما هي العلاقة بين العقل الّذي يريده الإسلام وعقول المسلمين ؟

ما هي الإشكالات والشّبهات على القرآن ؟ وما هي أجوبتها ؟

ما هي علاقة الإسلام بالحداثة ؟

هذه أسئلة تدور حول موضوع "**عالميّة الإسلام**" وغيرها من

الأسئلة الكثيرة ، وتحتاج إلى إجابات دقيقة لكي يمكن أن نثبت أنّ الإسلام يصلح أن يكون دينًا عالميًّا كما أراد الله تعالى ، وإلّا فعلى الوضع الحاليّ للمسلمين لا يكون هذا الدّين صالحًا لكي يكون دينًا محلِّيًّا فضلًا عن أن يكون دينًا عالميًّا ؛ لأنّ الناس لا يُفَرِّقُونَ بين الإسلام وبين المسلمين ، فيظنّون أنّ المسلمين اليوم يُعَبِّرُونَ عن الإسلام ، وينظرون إلى الأوضاع المتخلِّفة عند المسلمين وينسبونها إلى الإسلام ، ويقولون لو كان الإسلام يدعو إلى التّقدّم والرّقيّ لما كان هذا حال المسلمين ، والإسلام بريء من أوضاع التّخلّف عند المسلمين .

هذه مجموعة من الأسئلة تحتاج إلى إجابات حتّى يمكن لنا أن نثبت بأنّ الإسلام دين عالميّ ، وكم من البحوث نحتاجها لإثبات عالميّة الإسلام ، وكلّ سؤال يحتاج إلى مجموعة من البحوث والمحاضرات لإثبات ذلك .

وفي الأسابيع القادمة سندخل تدريجيًّا في موضوع عالميّة الإسلام ، ونتدرّج ضمن هذه العناوين الّتي طرحناها ، والبحث شائك يحتاج إلى صبر حتّى نحصل على النّتائج المرجوّة ، وبعض البحوث معقّدة ، ونحاول تبسيطها قدر الإمكان ، مثلًا في إثبات وجود الإله تُطْرَحُ أدلّة فلسفيّة عقليّة ، وسنحاول تبسيط هذه الأدلّة لتكون في متناول الجميع وخاصّة الشّباب ، وسنستعمل بعض المصطلحات الفلسفيّة

على حسب الحاجة ، ولكن نحاول تبسيط معاني هذه المصطلحات ، وفي بعض البحوث الّتي يمكن أن نستغني عن استعمال المصطلحات لن نذكر أيّ مصطلح ، ونبيّنها بالطّريقة الشّعبيّة المبسّطة من خلال ذكر أمثلة عرفيّة يعرفها النّاس .

وهذه البحوث لا يمكن الاستعجال فيها ، فنحتاج إلى صبركم وتحمّلكم ، مثلًا في الكلام عن الإله نحتاج إلى محاضرات كثيرة ، فنذكر أدلّة وجود الإله الخالق للكون ، والإشكالات الّتي تُطْرَحُ لإثبات عدم وجود الإله والجواب عليها .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢)

مفهوم عالميّة الإسلام ومظاهرها [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

طرحنا في المحاضرة السّابقة بعض الأسئلة التّمهيديّة لموضوع "**عالميّة الإسلام**" ، وفي هذه اللّيلة نطرح موضوع "مفهوم عالميّة الإسلام ومظاهرها" ، فما هو المقصود من عالميّة الإسلام ؟

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ١٣ صفر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١١/٣ م .

بعض الأفكار مقتبسة من موقع www.mawdoo3.com

المواضيع التّالية : مفهوم عالميّة الإسلام – طلال مشعل ، مظاهر عالميّة الإسلام – فداء أبو حسن ، ما المقصود بعالميّة الإسلام ؟ – مراد الشّوابكة ، وسطيّة الإسلام وعالميّته – إيمان الحياري .

من مميّزات الإسلام أنّه رسالة عالميّة ، وهذا بالنّسبة للمسلمين أمر بديهيّ ، ولكن هذا الأمر البديهيّ يحتاج إلى إثبات ، فكلّ مسلم يقول بأنّ الإسلام دين عالميّ ، ولكن هل يمكنه أن يُثْبِتَ ذلك مع أنّنا نرى بأنّ الإسلام لا يُطَبَّقُ حتّى محلِّيًّا ؟

نعم قد نجد بعض مظاهر الإسلام ، ولكن هذه المظاهر لا تُعَبِّرُ عن الإسلام الكامل ، فنحن نزعم بأنّ الإسلام دين عالميّ ، وأقول "نزعم" لأنّه يحتاج إلى إثبات ، نقول للعالم بأنّ الإسلام دين عالميّ ، فيردّون على المسلمين بأنّكم أنتم لم تطبّقوا الإسلام ، فكيف تريدون من العالم أن يطبّق الإسلام ؟!

الإسلام لم يستطع أن يحلّ مشاكلكم ، ولو نظرنا إلى الخريطة فأكثر الأماكن مشاكل هي مناطق المسلمين ، فالإرهاب موجود عند المسلمين ، والتّخلّف موجود عند المسلمين ، فكيف يمكن أن تطلبوا من العالم أن يأخذ بهذا الدّين الّذي لم يحلّ مشاكلكم ؟!

طبعًا تخلّف المسلمين سببه عوامل داخليّة وعوامل خارجيّة ، والمسلمون دائمًا يقولون الاستعمار ، ولكنّ الاستعمار لا يمكن أن يعمل إلّا من خلال أشخاص موجودين بيننا .

وإلى هنا نقبل هذه البديهة ، وهي أنّ الإسلام دين عالميّ ، والمسلمون يعتقدون بهذا كبديهة مع أنّه لا توجد عندهم بحوث كافية لإثبات ذلك إلّا مجموعة من الادّعاءات بدون أدلّة ، وهدفنا من هذه

المحاضرات هو إثبات أنّ الإسلام دين عالميّ ، فنثبت من ناحية نظريّة أنّ الإسلام صالح للتّطبيق ، نعم المسلمون لم يطبّقوا ، ولكن من خلال القرآن الكريم يمكن لنا أن نثبت عالميّة الإسلام ، وكذلك من خلال الرّوايات الّتي تتوافق ولا تتعارض مع القرآن ، وتوجد روايات كثيرة موضوعة تخالف القرآن ، وهذه الرّوايات لا نأخذ بها .

والآن بعض المشاكل بين المسلمين واقعة بسبب الموروث الرّوائيّ ، فالإرهابيّون يقومون بهذه الأعمال بسبب التّفسير الخاطئ لآيات القرآن أوّلا ، وإمّا بسبب روايات توجد بأيديهم تدعو إلى هذه الأعمال ثانيًا ، وإمّا بسبب أقوال بعض العلماء ثالثًا ، فهم يأتون بآيات قرآنيّة ونصوص روائيّة وأقوال العلماء للاستدلال على أفعالهم الإرهابيّة ، فهم استندوا إلى الموروث الدّينيّ من القرآن والرّوايات وأقوال العلماء ، وحتّى أقوال العلماء تعتبر من ضمن الموروث الدّينيّ .

وإلى هنا نقبل هذه البديهة ، وهي أنّ الإسلام دين عالميّ ، ونقبل أيضا أن محمّدًا صلّى الله عليه وآله هو رسول الإنسانيّة ، وهو رسول عالميّ .

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" [١] .

---

[١] الأعراف : ١٥٨ .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [١] .

"تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" [٢] .

"هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا" [٣] .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" [٤] .

نحاول أن تكون أكثر استشهاداتنا بالقرآن لكريم ؛ لأنّ القرآن الكريم لا يوجد فيه شكّ ، فمن ناحية السّند سنده قطعيّ ، فلا يمكن أن يقال إنّ هذه الآية مُحَرَّفَة ، أو هذه الآية نقلها الرّاوي بالمعنى ، أو هذه الآية من وضع الوضّاعين ، نعم هذه الآفات موجودة في الرّوايات ، فيقال إنّ سند هذه الرواية ضعيف ، أو هذه الرّواية من وضع الوضّاعين ، أو الرّاوي مجهول ، أو الرّاوي اشتبه في النقل ، أو الرّاوي نقل بالمعنى ، ولكن هذه المشاكل لا تأتي في القرآن الكريم ، وبعد ذلك نأتي إلى متن القرآن ومضمونه ، ونحاول أن نفهم هذا المتن من خلال الآيات الأخرى قبل أن نأتي إلى الرّوايات .

---

[١] سبأ : ٢٨ .

[٢] الفرقان : ١ .

[٣] الفتح : ٢٨ .

[٤] الأنبياء : ١٠٧ .

يوجد منهج وهو تفسير الآية بالرّواية ، فتكون الرّواية هي الأصل ، مع أنّ المفروض أنّ القرآن هو الأصل .

والمنهج الآخر هو أن نأتي أوّلًا إلى القرآن ونستخرج القواعد القرآنيّة لأيّ موضوع من المواضيع ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّواية لنرى أنّها تتوافق مع القرآن أو تتعارض ، وما عارض القرآن – كما في بعض الرّوايات – فهو زخرف ، فنعرض الرّواية على الآية ، لا أنّ نعرض الآية على الرّواية ، فالقرآن الكريم هو الأصل لا أنّ الرّواية هي الأصل ، وكذلك أقوال العلماء بنفس الطريقة تُعْرَضُ على القرآن الكريم ، فإذا كان كلام العالم يتوافق مع القرآن فنأخذ به ، وإذا كان يتعارض مع القرآن فنردّه ، وهذا سيأتي تفصيله في بعض المحاضرات إن شاء الله تعالى .

والنتيجة هي أن القرآن هو الأصل وهو المحور ، هذا أوّلًا ، وثانيًا بعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، والقرآن تبيان لكلّ شيء ، فالأَوْلَى أن يكون تبيانًا لنفسه ، وآياته مبيِّنات ، وإذا أردنا أن نفهم القرآن نأتي إلى القرآن نفسه ، فإذا توجد كلمة معيَّنة في الآية نرجع إلى الآيات الأخرى لمعرفة معنى هذه الكلمة قبل أن نذهب إلى الرّوايات ، نعم الرّواية قد تبيّن معنى الآية الكريمة ، ولكن أحيانًا الرّواية قد تتعارض مع الآية ، ولكنّنا نظنّ أنّ هذا تفسير للآية ، فأوّلًا لا بدّ أن نستخرج المعاني من القرآن ، وبعد ذلك نأتي ونعرض الرّوايات وأقوال العلماء

على القرآن ، ولا بدّ أن يكون هذا هو المنهج المتَّبَع ، فالقرآن هو المقياس لا أنّ المقياس هو الرواية ، وإذا بحثت أوّلًا في الرّوايات فهذا خطأ في المنهج ، وستصل إلى بعض المعاني الّتي تتعارض مع القرآن ، هذا إذا بدأت من الرّوايات ؛ لأنّ الرّوايات فيها كثير من الآفات ، منها الوضع ، فتوجد كثير من الرّوايات الموضوعة ، ولو تقرءون في مقدّمة أيّ كتاب روائيّ قد يقول المؤلّف – مثلًا – أنّه بحث في ستّين ألف رواية وصحّح منها ستّة آلاف رواية ، أي ١٠% ، لذلك اقرأ مقدّمة المؤلّف في كتب الرّوايات لتعرف منهجه في جمع الرّوايات وتصحيحها حيث إنّ هذا منهجه في التّصحيح بحسب مبناه ، وقد يأتي عالم آخر لا يقبل بمنهج تصحيح الرّوايات عند العالم الأوّل ، ويكون عنده منهج آخر في تصحيح الرّوايات ، فلا يقبل بعض الرّوايات إمّا لضعف السّند وإمّا أنّ متنها يتعارض مع القرآن ، وتوجد بعض الرّوايات المتعارضة ، ويتمّ عرض الرّوايتين المتعارضتين على القرآن ، بل لا بدّ أن تُعْرَضَ جميع الرّوايات على القرآن حتّى لو كانت رواية واحدة لا يوجد تعارض بينها وبين رواية أخرى ، فالبحث في الرّوايات عبارة عن بحر عميق ، ويمكن أن تستخرج الرّواية الصّحيحة الّتي تثق بصدورها من المعصوم عليه السلام ، واستخراج الرّوايات الّتي نثق بصدورها من المعصوم عليه السلام يحتاج إلى بحث طويل .

وهذا المنهج نجعله بأيدينا ، فأوّلًا نبحث في الموضوع بحثًا قرآنيًّا ، ويكون المنهج هو المنهج القرآنيّ لا المنهج الرّوائيّ ، بمعنى أنّنا نبدأ من القرآن الكريم لا أن نبدأ من الرّوايات ، ثمّ نأخذ بالرّوايات التي تتوافق ولا تتعارض مع القرآن .

معنى العالميّة لغةً :

العالميّة هي الشّمول والعموم لكلّ العالم ، فالعالميّة لها علاقة بكلّ العالم بما فيه من اختلافات وتنوّع بين النّاس ، فالشّيء العالميّ هو الّذي يتناسب مع كلّ العالم بكلّ ما فيه من تنوّع واختلاف .

معنى العالميّة اصطلاحًا :

رسالة الإسلام عالميّة بمعنى أنّها جاءت لجميع النّاس في العالم دون استثناء على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وأجناسهم وثقافاتهم ولغاتهم ، وخطاب الإسلام جاء لجميع النّاس ، ولا يقتصر هذا الخطاب على قوم دون قوم ، فهذه الرّسالة وإن نزلت على رجل عربيّ ، ولكنّها ليست مختصّةً بالعرب ، فالرّسول صلّى الله عليه وآله أُرْسِلَ إلى قَوْمٍ معيّنين ، فأتى بلسانهم ولغتهم ، ولكن هذا لا يعني أنّ هذه الرّسالة مقتصرة على هؤلاء ، وإنّما الرّسالة عالميّة ، والرّسالة الّتي تأتي لجميع النّاس لا بدّ أن تكون كاملة وشاملة لجميع الأحكام الّتي يحتاجها النّاس في حياتهم في أيّ مكان وأيّ زمان وفي جميع جوانب الحياة ، فأحكام القرآن فيها الشّمول والعموم لجميع النّاس ولجميع الجوانب

الّتي يحتاجها النّاس من الجوانب السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة وغيرها ، ففي كلّ جانب لا بدّ من وجود أحكام معيَّنة ، والإسلام فيه الشّمول والعموم لجميع الأحكام في مختلف الجوانب الّتي يحتاجها النّاس ، وهي الرّسالة الخاتمة لجميع الرّسالات السّماويّة السّابقة ، وما دام أنّها هي الخاتمة فمعنى ذلك أنّه لن تأتي بعدها رسالة إلهيّة أخرى ، والدّين واحد والشّرائع مختلفة من رسالة إلى أخرى ، فتوجد مقوِّمات وأسس للدّين السّماويّ ، وهذه الأسس موجودة في جميع الرّسالات السّماويّة ، وهناك أمور مختلفة بين رسالة وأخرى ، ولا توجد رسالة إلهيّة بعد رسالة الإسلام .

من مميّزات الإسلام عدم تكليف الإنسان أكثر من طاقته .

"لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا" [١] .

ومن مميّزات الإسلام الدّعوة إلى الرّحمة مع جميع النّاس وخاصّة الضّعفاء بل وحتّى الحيوانات ، والرّحمة أصل في الرّسالة الإسلاميّة .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" [٢] .

والمعنى أنّه أرسلناك للعالمين رحمةً فقط وفقط ، فالأصل في الإسلام هو الرّحمة ، وهذا الأصل نجعله بأيدينا ، وما دام أنّ الأصل

---

[١] البقرة : ٢٨٦ .

[٢] الأنبياء : ١٠٧ .

هو الرّحمة فأنت أوّل صفة لا بدّ أن تتّصف بها هي الرّحمة ، وأن تبدأ دائمًا بالرّحمة ، فتنطلق بالرّحمة مع جميع النّاس ، وخاصّة الضّعفاء من النّاس ، بل وحتّى الحيوانات ، فانطلاقة المسلم لا بدّ أن تكون هي الرّحمة ، فينطلق من الرّحمن الرّحيم ، والإرهابيّون انطلاقتهم من شديد العذاب وشديد العقاب ، فالأصل فيهم هو الشّدّة والقسوة ، وهو خلاف توجّه الإسلام ، ولا يوافق عليه الإسلام ، فعندنا الرّحمة ، وعندنا نبذ العنف ، ونبذ الكراهية ، ونبذ الطائفيّة ، ونبذ التّطرّف ، ونبذ الإرهاب ، ونبذ الإكراه على اعتقاد مُعَيَّن .

"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" [١] .

وسنأتي إلى موضوع قتل المرتدّ الّذي يتعارض مع آية **"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"** وآيات أخرى ، فالآيات تثبت حرّيّة الاعتقاد في القرآن ، فلا بدّ أن نجد حلًّا لمشكلة قتل المرتدّ ، وقتل المرتدّ لم يَرِدْ في القرآن ، وإنّما هو موجود في الرّوايات ، فأوّلًا نأتي إلى القرآن لنرى كيفيّة التّعامل مع المرتدّ ، ونؤسّس القاعدة القرآنيّة ، وبعد ذلك نأتي ونعرض الرّوايات على القرآن ، وانطلاقًا من المنهج الأخباريّ يقال مباشرةً بقتل المرتدّ انطلاقًا من مجموعة من الرّوايات ، والإسلام لا يُقْبَلُ كدين عالميّ إذا طُرِحَتْ مسألة قتل المرتدّ ، وهذا من الإشكالات الّتي تُطْرَحُ الآن على

---

[١] البقرة : ٢٥٦ .

الإسلام ، ونحتاج إلى جواب لحلّ هذا الإشكال ، ولا بدّ أن نرجع إلى الرّوايات لنرى هل يوجد فيها وضع أو لا يوجد ، وإذا لا يوجد فيها وضع فكيف يمكن أن نحلّ هذا الإشكال ، ونحن نريد أن نطرح أشياء تتناسب مع عالميّة الإسلام ، ومن الإشكالات قتل المرتدّ ، ولو كنت خارج الإسلام وَيُعْرَضُ عليك الإسلام ، ويقال لك بأنّ هذا دين أنت حرّ في الدّخول إليه ، ولكن إذا أردت الخروج منه فأنت لست حرًّا بالخروج منه لأنّه يؤدّي إلى قتلك ، فأنت لن تقبل هذا الدّين ، وأنت كمسلم موجود في المجتمع المسلم وتسمع كثيرًا عن قتل المرتدّ فصار مقبولًا عندك ، ولكن من يكون خارج المجتمع المسلم لا يقبل هذا الدّين ، وهكذا نرى بأنّ قتل المرتدّ لا يتناسب مع عالميّة الإسلام ، فهذه المشكلة تحتاج إلى علاج وحلّ ، وكذلك مسألة القتل والقتال والجهاد ، فيقولون بأنّ الإسلام يدعو إلى قتال وقتل جميع المشركين والكفّار ، فأنت المسلم فقط لك الحقّ في أن تعيش في هذا العالم ، ولا بدّ من قتل جميع النّاس غير المسلمين ، فعدد المسلمين اليوم مليار تقريبًا ، وعدد سكّان الأرض سبعة مليارات تقريبًا ، فلا بدّ من قتل ستّة مليارات إنسان ، وعلى رأي بعض الاتّجاهات هذا المليار فيه روافض وأشاعرة ، ولا بدّ من قتلهم ، فيظلّ عدد قليل لهم الحقّ في أن يعيشوا على الأرض ، ويكون من لهم حقّ الحياة مليون شخص فقط ، ومن لهم الحقّ في دخول الجنّة مليون

شخص فقط ، والباقي إلى نار جهنّم ، مع أنّ المفروض أنّ أكثر النّاس يدخلون إلى الجنّة بسبب الرّحمة الإلهيّة ، والأساس في تعامل الله مع النّاس هو الرّحمة ، لذلك الله برحمته يرزق المسلم والكافر والمشرك ، وشديد العقاب استثناء ، والإرهابيّ في عقيدته أنّه يقتل المشركين والكافرين ، والله برحمته يرزق المشركين والكافرين ، فهل الإرهابيّ يريد أن يكون أفضل من الله الذي يرحم المشركين والكافرين ؟

ونسأل : هذا الإنسان لماذا صار مشركًا أو كافرا ؟

صار مشركًا أو كافرًا بسببك أنت أيّها المسلم ، فأنت بمنهجك منهج الإرهاب تنفّر الآخرين عن دخول الإسلام ، فهذا المشرك أو الكافر يكون قَاصِرًا لا مُقَصِّرًا ، أنت طرحت الإسلام بطريقة مُشَوَّهَة ، صوّرت رسول الله بصورة مُشَوَّهَة ، لم تطرح الدّين بطريقة صحيحة ، ولم تبيّن أنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله رحمة للعالمين ، فتقول عن الرّسول صلّى الله عليه وآله أنّه قَتَّال ، فبيّنت أنّه صلّى الله عليه وآله يكثر القتل ، وسيرة المسلمين عبر التّاريخ أنّهم يسيرون بالقتل ، تاريخ المسلمين تاريخ فيه كثير من الدّماء ، ولكنّها دماء بين المسلمين ، قتال وقتل بين المسلمين ، فيوجِّهون إليك إشكالًا وهو أنّه لو كان الإسلام دينًا صحيحًا لما تقاتل المسلمون فيما بينهم ، وهذا يدلّ على أنّ دينكم دين باطل .

والنّتيجة هي أنّه لا يوجد إكراه على اعتقاد مُعَيَّن ، وهذا البحث سيأتي بالتّفصيل إن شاء الله لكي نبيّن عالميّة الإسلام .

إذن :

العالميّة تعني شمول جميع النّاس وشمول جميع الأحكام الّتي يحتاجها النّاس ، فالعالميّة تكون من جهتين : الشّمول لجميع النّاس ، والشّمول لجميع الأحكام ، فالأحكام الإسلاميّة تأتي لجميع الموارد التي يحتاجها جميع النّاس .

مظاهر عالميّة الإسلام :

المظهر الأوّل :

وصف الله نفسه بأنّه ربّ العالمين ، فيكون ربّ جميع النّاس لا ربّ المسلمين فقط ، ونحن نتعامل مع الله كأنّه ربّ خاصّ للمسلمين فقط ، وأنّ نظر الله يكون إلى المسلمين فقط ، مع أنّه ربّ جميع النّاس ، لذلك يرزق جميع النّاس ، ويتولّى شؤون جميع النّاس ، ونحن لا نقول "يا ربّ المسلمين" ، وإنّما نقول "يا ربّ النّاس ويا ربّ العالمين" ، وهذا لا بدّ أن يكون ضمن نظرنا ، وهو أنّ الله ليس ربًّا خاصًّا للمسلمين ، وأنّه يتولى شؤون المسلمين فقط ، وليس له دخل بشؤون الآخرين غير المسلمين ، وإنّما هو ربّ لجميع النّاس ، والرّسول صلّى الله عليه وآله رحمة لجميع النّاس لا للمسلمين فقط ، فإذا كان الرّسول رسولًا عالميًّا فلا بدّ أن يكون رسولًا لجميع النّاس ، ولا بدّ أن

نطرحه للعالم أنّه رسول لجميع النّاس .

يعني أيّها الإنسان في الشّرق والغرب هذا الرّسول يريد لك الهداية ، فكيف يمكن لنا نحن كمسلمين أن نهدي الآخرين ؟ وبأيّ وسيلة ؟ وما هي الطّرق ؟ هل هو طريق الإرهاب أو طريق السّلام ؟

ونحن نقول إنّ الإسلام دين السّلام ، ولكنّنا نطرحه أنّه دين الحرب والقتال إمّا عمليًّا وممارسةً عن طريق الإرهاب وقتل الأبرياء ، وإمّا نظريًّا بأن يدعو الدّعاة إلى قتل المشركين والكافرين كافّة ، ويستندون إلى آية قرآنيّة ، ولا بدّ أن نأتي إلى آيات القتل والقتال والجهاد ونتدبّر معانيها ضمن سياق الآيات ، ماذا يريد القرآن من **"وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً"** [١] ؟

وسيأتي بحث تفصيليّ عن آيات القتل والقتال والجهاد لنعرف النّظريّة القرآنيّة عن القتال والجهاد ، وبعد تأسيس هذه النّظريّة القرآنيّة نأتي إلى الرّوايات ونعرضها على القرآن ، فنأخذ ما يوافق القرآن ، ونترك ما يخالف القرآن ، وبعض الرّوايات المتداولة اليوم بين المسلمين تُرْفَضُ لأنّها تخالف القرآن الكريم .

إنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله رسول لجميع النّاس ، وهو خاتم الأنبياء والرّسل ، والإسلام خاتم الرّسالات السّماويّة .

---

[١] التّوبة : ٣٦ .

المظهر الثّاني :

الأصل في الإسلام هو الرّحمة والتّسامح والسّلام ، فيجب أن يتّصف المسلمون بالرّحمة تجاه بعضهم البعض وتجاه غير المسلمين ، ويجب أن يتّصف المسلمون بالتّسامح تجاه غير المسلمين ، الآن لو أنّ شخصًا يقول لك بأنّه مسيحيّ فأنت تشعر بشيء داخلك ضدّه ، وتحدّث نفسك بأنّه يجب أن يُسْلِمَ ، والمفروض أن لا يكون هذا الشّعور بالعداء تجاه المسيحيّ موجودًا ، ونحن ندّعي أنّ الإسلام دين التّسامح مع غير المسلمين ، ولا بدّ أن ننشر السّلام في العالم ، ونكون دعاةً للسّلام لا دعاةً للحرب ، وندعو إلى عدم الاعتداء على الآخرين سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين ، ويوجد أصل قرآنيّ وقاعدة قرآنيّة ، وهي :

"وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ" [1] .

وهذا الأصل القرآنيّ لم يُنْسَخْ ، يقولون بأنّ آية السّيف نسخت هذه الآية ، وإذا قلنا بالنّسخ هنا فإنّ معنى ذلك أنّ الله يحبّ المعتدين ، وهذه القاعدة القرآنيّة تسير من أوّل القرآن إلى آخره ، فإذا تأتي آيةٌ الظاهرُ منها هو الاعتداء فنقول إنّ الله لا يحبّ المعتدين ، ولا نأخذ بهذا الظّاهر ، قاتلوا المشركين كافّةً ، ولكن بدون اعتداء

---

[1] البقرة : ١٩٠ .

عليهم من البداية ، فهم اعتدوا أوّلًا فالمسلمون يواجهون الاعتداء دفاعًا عن النّفس ، ويواجهون القتال بالقتال دفاعًا عن أنفسهم ، وفي الآية الكريمة :

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" [١] .

والقاعدة القرآنيّة الثّانية هي مقاتلة من يقاتلك دفاعًا عن النّفس ، والقاعدة القرآنيّة الثّالثة هي عدم البدء بالقتال ، ومعنى ذلك أنّ المشركين بدأوا بالقتال ، فالمسلمون يقاتلونهم دفاعًا بناءً على القاعدة القرآنيّة .

وإذا توجد أيّ قصة يظهر منها أنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله اعتدى على أيّ قوم من الأقوام فهذه القصّة تُرْفَضُ لأنّها تعارض القرآن الكريم ، ومن القصص غزوة بني قريظة ، وفيها أنّه صلّى الله عليه وآله قتل منهم خمسمائة أو سبعمائة أو تسعمائة ، وَيُذْكَرُ في القصّة أنّه صلّى الله عليه وآله قتل حتّى غير المقاتلين ، وأنّه ارتكبت مجزرة حسب القصّة المرويّة .

والإرهابيّون يستندون إلى مثل هذه القصص ، وهذه القصّة تتعارض مع القرآن الكريم الّذي يتحدّث عن رحمة النّبيّ صلّى الله عليه

---

[١] البقرة : ١٩٠ .

وآله ، وأنّه لم يرسل إلّا رحمةً للعالمين ، فهذه القصّة لا تُقْبَلُ مع أنّها موجودة في كتب التّاريخ ، وسيأتي البحث في هذه القصّة تفصيلًا .

وبعد تأسيس القواعد القرآنيّة نأتي بنماذج من القصص الّتي تعارض القرآن الكريم ، والقاعدة الأساسيّة هي رفض كلّ ما يعارض القرآن الكريم .

ولتكن بأيدينا هذه القواعد ، وهي عدم الاعتداء على الآخرين ، وعدم البدء بالقتال ، وقتال من يقاتلنا في ساحة المعركة فقط ، وهذه قواعد إنسانيّة عامّة .

وَيُنْقَلُ عن الأئمّة عليهم السّلام في ساحة المعركة في صفّين أو في كربلاء قولهم : "لا تبدأوهم بقتال" ، وقول الأئمّة عليهم السّلام يتناسب مع القرآن الكريم ، وإذا هم بدأوا بالقتال فالمسلمون يدافعون عن أنفسهم ، والقاعدة هي الدّفاع لا البدء بالقتال .

وإذا يوجد قوم مسالمون في بلدانهم فالمسلمون لا يبدأون بقتالهم ولا يهجمون عليهم ولا يحتلّون هذه البلدان .

وقد تقول بأنّنا نريد أن ننشر الإسلام بينهم ، فنقول تنشر الإسلام بينهم بالحكمة والموعظة الحسنة لا عن طريق السّيف والسّلاح ، والإسلام يُنْعَتُ الآن بأنّه دين السّيف والحرب ؛ لأنّ التّاريخ ينقل بأنّ المسلمين بدأوا بالقتال ودخلوا إلى البلدان الأخرى بواسطة السّيف ، ولكنّ الإسلام دين السّلام وعدم الاعتداء على

الآخرين ، فليس من حقّ المسلمين الدّخول إلى دولة أخرى بدعوى نشر الإسلام بينهم ، أو كما يقول ذاك الشّخص بأنّه نذهب إلى الدّول الغربيّة ونأتي بالسّبايا ، فَيُشْكَلُ على الإسلام بأنّه دين الرّقّ والعبيد والإماء ، والإرهابيّون يطبّقون هذه المسألة ، فيأخذون النّساء سبايا ويبيعونهنّ في سوق الرّقيق ، والعبيد والإماء مذكورون في القرآن الكريم ، فيأتي الإشكال على الإسلام ، وهذا الإشكال يحتاج إلى حلّ ، فهل حكم العبيد والإماء مستمرّ إلى يومنا هذا أو حكم موجود سابقًا وانتهى ؟

وإذا تريد أن تقول بأنّ حكم السّبايا والعبيد والإماء موجود لحدّ الآن فالإسلام لن يكون مقبولًا كدين عالميّ ، فيتعارض مع عالميّة الإسلام ، فكيف نحلّ هذه المشكلة ؟

وسيأتي بحث مستقلّ عن موضوع الرّقّ والسّبايا والعبيد والإماء في الإسلام ، وجميع ما ذكرنا من إشكالات على الإسلام تحتاج إلى حلول ، وجميع المسلمين لا بدّ أن يفكّروا بهذه المواضيع لأنّهم يقولون بعالميّة الإسلام ، ولكن توجد بعض الأحكام الّتي ظاهرها أنّها تعارض عالميّة الإسلام ، فنحتاج إلى حلول لهذه الإشكالات وأجوبة لهذه الأسئلة التي تُطْرَحُ اليوم ، والّتي تشكّل عائقًا أمام انتشار الإسلام ، فإذا قال لك شخص مسيحيّ بأنّ دينك دين السّيف فماذا تردّ عليه ؟

لا بدّ أن تفكّر بهذا الموضوع حتّى تصل إلى جواب ، وبعض الآراء الّتي سوف نطرحها في هذه المحاضرات قد لا تكون مقبولةً عند بعض الأشخاص ، فالمعارِضون لبعض هذه الآراء لا بدّ أن يقدّموا حلولًا بديلةً لا أن يعترضوا فقط .

وضمن المحاضرات سنتناول نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وأكثر العلماء يتبنّون عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، فهم على مبناهم يصلون إلى نتائج معيّنة ، ومن يتبنّى نظريّة الدّخالة يصل إلى نتائج مختلفة في بعض الأحكام ، وسأستعرض الحكم بناءً على عدم الدّخالة وبناءً على الدّخالة ، وفكّر أيّ النّظريّتين وأيّ النّتائج تتناسب مع عالميّة الإسلام ومع زماننا الحاليّ ، فهل نقول بدخالة الظّروف الزّمانية والمكانيّة في موضوعات الأحكام أو عدم دخالتهما ؟

وسأذكر لكم أمثلة من خلال القرآن والرّوايات ، وذكرنا سابقًا في بعض المحاضرات موضوع الزّكاة ، فبناءً على عدم دخالة الزّمان والمكان نقتصر على ما ذُكِرَ في الرّوايات ، وبناءً على دخالتهما نصل إلى نتائج أخرى ، وسأفصّل في الموضوع من خلال القرآن والرّوايات ، فنؤسّس القاعدة من القرآن ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، فالعنوان هو زكاة المال ، ولكن نقول بأنّها مقتصرة على الغلّات الأربعة والأنعام الثّلاثة والذّهب والفضّة المسكوكين ، هذا بناءً على عدم

الدّخالة ، وبناءً على الدّخالة كيف يمكن أن نفهم القرآن والرّوايات ، وسأبيّن النّظريّتين مع التّطبيق على موضوع الزّكاة .

وهناك مسائل أخرى تأتي في البحوث فيما بعد ، منها أنّه لو افترضنا شخصًا يعيش في القطب الشّماليّ ، يقال بأنّ هناك ستّة أشهر نهار وستّة أشهر ليل ، أو في البلدان الإسكندنافيّة كالسّويد وغيرها ، فالّذي يعيش في القطب الشّماليّ كيف يصلّي ؟ هل يكون في اللّيل ويقول أصلّي صلاة الظّهر أو يكون في النّهار ويقول أصلّي صلاة المغرب ؟

لا يمكن ذلك .

وأيضًا كيف يصوم ؟

إذا أردنا أن نطبّق الآية الكريمة :

"وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ" [١] .

فلا يمكن لأنّ عنده ستّة أشهر ليل ولا يوجد فجر ، وإذا كان ستّة أشهر نهار فليس من المعقول أن يصوم ستّة أشهر كاملة ، وهذا يحتاج إلى علاج لأنّه لا يمكن تطبيق المسائل الشّرعيّة الموجودة في الرّسالة العمليّة على القطب الشّماليّ ، والإسلام جاء للتّطبيق في كلّ

---

[١] البقرة : ١٨٧ .

بقعة على الأرض ، وقد تأتي فتوى تقول بأنّ الإنسان إذا لم يكن مُضْطَرًّا للعيش في القطب الشّماليّ فيجب عليه أن يهاجر ، وهو يقول أنا معيشتي هنا ولا يمكن أن أهاجر إلى مكان آخر ، أو قد تأتي فتوى بالقياس إلى أقرب مدينة ، وهذا لا يمكن لأنّه كيف يمكن أن يقف في النهار ويقول أصلّي صلاة المغرب أو يقف في اللّيل ويقول أصلّي صلاة الظهر ؟

ومن الممكن أن يسافر الإنسان إلى القمر أو إلى كوكب آخر فكيف يصلّي ؟ وكيف يصوم ؟

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٣)

الحسين عليه السّلام رسالة عالميّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

زيارة الإمام الحسين عليه السّلام والمَشَّايَة :

زيارة الإمام الحسين عليه السّلام وقضيّة المشّاية يمكن أن تُعَبِّرَ عن عالميّة الإسلام وخاصّة في زماننا الحاليّ ، ما يجري الآن هناك عبارة عن نموذج لما تكون عليه الدّولة بعد ظهور الإمام عجّل الله فرجه الشّريف ، تلاحظون أنّ كلّ شخص يُقَدِّمُ أفضل ما عنده مجّانًا للآخرين بلا مقابل ، هذا نموذج عن المجتمع الإسلاميّ في عصر الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشّريف ، المجتمع الّذي يُطَبَّقُ فيه

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ٢٠ صفر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١١/١٠ م ، بمناسبة أربعينيّة الإمام الحسين عليه السّلام .

الإسلام ، وهو ما يحدث بعد ظهور الإمام المهدي عجّل الله فرجه ، لذلك في زمان الإمام عجّل الله فرجه لا يوجد فقير لأنّ كلّ شخص يعطي للآخر بلا مقابل ، والتّقديم مُتَبَادَل بين جميع النّاس في ذلك الزّمان .

رُوِيَ عن أبي سعيد الخدريّ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أبشّركم بالمهديّ ، يُبْعَثُ في أمّتي على اختلاف من النّاس وزلازل ، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلِئَتْ جورًا وظلمًا ، يرضى عنه ساكن السّماء وساكن الأرض ، يُقَسِّمُ المال صحاحًا . فقال له رجل : ما صحاحًا ؟ قال : بالسّويّة بين النّاس . قال : ويملأ الله قلوب أمّة محمّد صلى الله عليه وسلّم غنى ويسعهم عدله ، حتّى يأمر مناديًا فينادى فيقول : من له في مالٍ حاجةٌ ؟ فما يقوم من النّاس إلّا رجل ، فيقول : ائْتِ السّادن – يعنى الخازن – فقل له : إنّ المهدىّ يأمرك أن تعطيني مالًا . فيقول له : احْثُ . حتّى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم ، فيقول : كنت أجشع أمّة محمّد نَفْسًا ، أَوَعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ ؟ قال : فيردّه ، فلا يُقْبَلُ منه . فيقال له : إنّا لا نأخذ شيئًا أعطيناه . . . [1] .

في هذه الرّواية أنّ شخصًا يذهب إلى بيت المال يريد أن يأخذ

---

[1] مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٣٧ .

أكثر من حاجته ، قد يكون لأجل أن يخزّنه في البيت ، ثمّ يريد أن يرجعه لأنّه لا يحتاجه ، فيقال له : إنّا لا نأخذ شيئًا أعطيناه .

هو يندم لأنّه أخذ أكثر ممّا يحتاج ، وأنت اليوم تخزّن موادّ التّموين في البيت لثلاثة أشهر قادمة أو أكثر ، وبعد الظّهور لا تحتاج إلى أن تخزّن لمدّة طويلة ، نعم قد تخزّن الطّعام لمدّة أسبوع – مثلًا – حتّى لا تذهب للسّوق يوميًّا ، فلا تحتاج إلى التّخزين ؛ لأنّ موادّ التّموين متوفّرة بكثرة ، وفي بلدنا لا تشعر بالمعاناة ، ولكن في المجتمعات الفقيرة يشعرون بالحاجة إلى التّخزين ؛ لأنّ موادّ التّموين غير متوفّرة دائمًا ، وقد لا يحصل على قوت يومه إذا لم يكن قد خزّن من الأيّام السّابقة .

إنّ المجتمع أثناء زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السّلام يُعَبِّرُ عن مجتمع ملائكيّ ، والحالة الموجودة اليوم هناك ما كان يمكن تصوّرها ، فالنّاس يعطون ما عندهم ، وحتّى الفقير يعطي بمقدار ما عنده ، وترى طفلًا صغيرًا يوزّع الماء أو التّمر ، والشّعب بشكل عامّ هذه الحالة موجودة عندهم ، وهذه الحالة لا تجدها في مجتمع آخر ، لذلك قد تكون من الحكمة الإلهيّة أنّ مراقد الأئمّة عليهم السّلام تكون في العراق لا في مكان آخر ؛ لأنّه لا يمكن أن يوجد شعب آخر تكون عنده هذه الحالة ، والإنسان العراقيّ حينما يهاجر إلى الخارج فأوّل ما يفكّر به هو بناء حسينيّة ، وهذا الأمر غير موجود عند الشّعوب

الأخرى ، وإن كان موجودًا فلا تُعَبِّرُ عن ظاهرة عامّة ، وإنّما تكون ظاهرةً فرديّةً ، ولكن عند العراقيّين هذه الظّاهرة موجودة بشكل عامّ ، فحينما تمّ تهجيرهم على زمان النّظام البائد انتشروا في العالم وانتشرت الحسينيّات معهم ، والظّاهرة ملاحظة في جميع الدّول التي يُقِيمُونَ فيها .

توجد راية للإمام الحسين عليه السّلام في كلّ بقعة من بقاع الأرض ، ولأجل أن نصل إلى يوم ظهور الإمام عجّل الله فرجه لا بدّ أن يكون عندنا التّمهيد من الآن ، وهذا يتطلّب من المؤمن أن يعرف تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى ، وبدون أن يعرف المؤمنون تكاليفهم في هذا الزّمان فلا يمكن أن نصل إلى ذلك اليوم الموعود ، ولو قمنا الآن باستقراء فنسأل المؤمنين : ما هي تكاليفنا في عصر الغيبة الكبرى ؟

بعض المؤمنين سيقولون "لا نعرف" ، وبعضهم يقدّمون جوابًا في سطر واحد ، وبعضهم يعطيك جوابًا عامًّا مثل أصلّي وأصوم وأحجّ وأذهب لزيارة الأئمّة عليهم السّلام ، هذه الأعمال عامّة وموجودة لكلّ زمان ، وفي زماننا الحاليّ توجد تكاليف أخرى مطلوبة منك لأنّك تعيش في عصر الغيبة ، فالمطلوب منك شيء آخر ، وموضوع "تكاليف المؤمن في عصر الغيبة" طرحناه في ٥٨ محاضرة ، والمحاضرات موجودة على القناة في اليوتيوب ، وإذا كان المؤمن لا يعرف تكاليفه

في زمان الغيبة فلا يمكن أن يصل إلى ذلك المجتمع الملائكيّ ، ولكي تكون أنت أيضًا مثالًا ملائكيًّا ، تعيش ببدن دنيويّ ، ولكن تفكيرك يكون ملائكيًّا ، فتترفّع عن هذه الدّنيا .

إنّ معرفة تكاليفنا في عصر الغيبة الكبرى تمكّننا من تحقيق يوم العدل العالميّ ، وإلى أن يصل المسلمون إلى ذلك اليوم لا بدّ أن يعرفوا تكاليفهم في عصر الغيبة ، ويؤدّوا ما عليهم من تكاليف حتّى يمكن لنا تحقيق العدل العالميّ في جميع أرجاء الأرض ، بحيث إنّ كلّ إنسان يؤدّي واجباته ويأخذ حقوقه من غير أن يعتدي عليه أحد أو يعتدي هو على أحد ، وأمّا على الأوضاع الحاليّة للمسلمين فلا يمكن أن ينشروا العدل في العالم .

في يوم العدل العالميّ كلّ إنسان يعرف واجباته وتكاليفه ، بحيث أوّلًا تعطي حقوق الآخرين قبل أن تفكّر بأخذ حقوقك ، نحن الآن تفكيرنا دائمًا في أنّه نريد حقوقنا ، ولا نفكّر في أن نعطي حقوق الآخرين ، انظر إلى نفسك الآن ، مثلًا أنت تطالب أشخاصًا بعض الأموال ، وتفكيرك دائمًا كيف أسترجع مالي ، وقد يوجد شخص آخر يطالبك بعض المال ، ولكن لا تفكّر أن ترجع له ماله ، فتفكير أكثر النّاس في أخذ حقوقهم من الناس ، ولكن لا يفكّرون بإعطاء حقوق الآخرين ، يفكّر بزياده معاشه الشّهريّ ، ولكن لا يفكّر أنّه يوجد في بلدنا أناس يحتاجون ، يفكّر أن يذهب إلى زيارة الإمام

الحسين عليه السّلام ، ولكنّه في نفس الوقت يكون قد قاطع أخاه منذ ثلاثين سنة ، فيظنّ بأنّ الزّيارة عمل مستحب ، ولكن في المقابل لا يفكّر أنه توجد محرّمات يرتكبها .

في هذه المسيرة خرج الإمام الحسين عليه السّلام لطلب الإصلاح في أمّة جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فحينما تذهب لا بدّ أن يكون في تفكيرك أنّك تريد الإصلاح ، أوّلًا تبدأ بإصلاح نفسك ، انظر إلى عيوبك أنت كزائر ، وتصلح هذه العيوب ، وبعد ذلك تفكّر بإصلاح الآخرين ، لا أنّ المؤمن يذهب إلى الزّيارة ويرجع كما هو بدون أيّ فائدة ، لا بدّ أنّ حياته تتغيّر لأنّه استفاد من الزّيارة ، وأمّا إذا يذهب ويرجع كما هو فلا بدّ أن يعلم أنّ الثّواب ليس مترتّبًا على العمل الخارجيّ الظاهريّ ، وإنّما الثّواب يترتّب على العمل القلبيّ الباطنيّ ، لنفرض شخصًا لا يؤمن بالله أو لا يعتقد بالإمام الحسين عليه السّلام ويذهب للزّيارة ، فهو أتى بعمل خارجيّ ، ولكن لا يحصل على العمل القلبيّ لأنّه لا يعتقد بالإمام الحسين عليه السّلام .

ظاهرة المشّاية اليوم تُرْهِبُ أعداء الإسلام ، ويسمّونها "الثُّعْبان الأَسْوَد" لأنّهم يخافون منها ، تجمّع عشرين مليون إنسان على هدف واحد يُرْهِبُ أعداء الدّين ، وفي المقابل شياطين الإنس يفكّرون كيف يمكنهم القضاء على هذه الظّاهرة ، ولا يقفون وقفة المتفرّج ، لذلك على المؤمنين أن يكونوا حذرين فيما يطرحه أعداء الدّين ، والأيادي

الّتي تكون عَوْنًا لأعداء الدّين موجودة بيننا حتمًا ، فهم إذا أرادوا أن يخربوا شيئًا فإنهم يخربونه من الدّاخل ، فمن الخارج لا يقبل المؤمنون ، والمندسّون بين المؤمنين يحاولون تشويه هذه المسيرة ، ولكي نكون بمأمن لا بدّ أن نتّبع المرجعيّة الرّشيدة ، فننطوي تحت ظلّ المرجعيّة الرّشيدة ، وعلى المؤمنين أن يكونوا حذرين من التّخطيط الشّيطانيّ على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، فأعداء الدّين يدركون أنّ قضيّة الإمام الحسين عليه السّلام قضيّة محوريّة عند أتباع هذه المدرسة ، لذلك يحاولون تشويه هذه المسيرة بيد أبناء هذه المدرسة ، أحيانا بوعي ، وأحيانا أخرى بلا وعي ، فقد يظنّ الإنسان أنّه يعمل عملًا حسنًا ، ولكنّه في الواقع يشوّه صورة هذه المدرسة ، ولا تكفي النّيّة الحسنة ، بل لا بدّ أن تكون مع إصابة أحكام الدّين .

رُوِيَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "لا قَوْلَ إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلا قَوْلَ وَلا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ ، وَلا قَوْلَ وَلا عَمَلَ وَلا نِيَّةَ إِلّا بِإِصَابَةِ السُّنَّةِ" [١] .

فلا بدّ أن يعرف الحكم الشّرعيّ ، فبعض الأحكام الشّرعيّة لها آثار اجتماعيّة ، والآثار الاجتماعيّة لا بدّ أن يُحْسَبَ لها حساب .

سابقًا كان المؤمنون يعيشون في قرية ، فيقومون بعمل على

---

[١] الكافي للشّيخ الكلينيّ ج١ ص٧٠ ح٩ .

مستوى القريـة ، وأمّـا الآن فأعمالنـا لهـا آثار عالميّـة ، وفي اسـتنباط الأحكام الشّرعيّة هذه الآثار العالميّة لا بدّ أن تُؤْخَذَ بعين الاعتبار ، فالفقيه ينظر إلى هذه الآثار الاجتماعيّة ، وبناءً على ذلك يقول إنّ هذا العمل جائز أو غير جائز ، فقد يوجد عمل قبل خمسين سنة كان جائزًا ، ولكنّ الآن ضمن الظّروف العالميّة يكون هذا العمل مُحَرَّمًا ؛ لأنّ الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة لها دخالة في استنباط الأحكام الشّرعيّة ، فيدخل عامل آخر في استنباط الحكم الشّرعيّ ، والآن نريد أن نطرح عالميّة الإسلام ، إذن فعالميّة الإسلام يُحْسَبُ لها حساب في استنباط الحكم الشّرعيّ ، والفرد إذا قام بعمل وهو في قرية فلا أحد في العالم يراه ، واليوم ضمن الفضائيّات لا يجوز أن تأتي بأيّ عمل إلّا بحساب ، توجد أعين تراقبك ، وهناك شياطين من الإنس يراقبونك ، وبعض الأعمال الّتي يؤدّيها بعض المؤمنين من الممكن أن تُشَوِّهَ مدرسة أهل البيت عليهم السّلام وتشوّه قضيّة الإمام الحسين عليه السّلام ، والخطباء على المنابر لا ينبغي أن يطرحوا أيّ شيء ، ويتكلّموا في أيّ موضوع ، فحينما يكون ضمن المجتمع الشّيعيّ يطرح شيئًا مُعَيَّنًا ، ولكن ضمن المجتمع العالميّ بعض المواضيع لا يمكن للخطيب أن يطرحها ، فعالميّة الإسلام تدخل في جميع الأحكام .

والآن ضمن مسيرة الإمام الحسين عليه السّلام لا بدّ أن نعرف ماذا نطرح ؛ لأنّنا ندّعي أنّ الإسلام دين عالميّ ، ورسالة الإمام

الحسين عليه السّلام تُوَجَّهُ إلى العالم شرقًا وغربًا ، لإنسان يعتقد بدين سماويّ أو بدين وضعيّ ، وإنسان لا يعتقد بدين ، وإنسان لا يعتقد بالإله ، وإنسان يعتقد بالرّبوبيّة ، وإنسان لاأدريّ ، والعالم الآن يراقبون الظّاهرة الحسينيّة ، فيتساءلون عن سبب مشي عشرين مليون إنسان لزيارة شخص قُتِلَ قبل أربعة عشر قرنًا ، فلا بدّ أن نُوصِلَ رسالة الحسين عليه السّلام للعالم ، ونبيّن سبب ذهاب المؤمنين لزيارته عليه السّلام ، تارةً يُطْرَحُ شيء ضمن مبادئ الحسين عليه السّلام ، وتارةً أخرى قد يُطْرَحُ شيء يشوّه مبادئ الحسين عليه السّلام ، ولا بدّ أن يكون طرح الأفكار والأعمال بما يتناسب مع عالميّة الإسلام وعالميّة رسالة الحسين عليه السّلام .

ما هي المبادئ الّتي يريدها الإمام الحسين عليه السّلام أن تنتشر في العالم ؟

الثّورة على الظّلم مبدأ من المبادئ ، وجزء من مهمّة الحسين عليه السّلام ، فالإنسان لا يرضى بوقوع الظّلم عليه ، وهذا مبدأ عالميّ ، والحسين عليه السّلام طرح هذا كمبدأ إنسانيّ عالميّ ، ففي أيّ مكانٍ وأيّ زمانٍ لا يرضى الإنسان بالظّلم ، قد يُجْبَرُ بالبقاء تحت سطوة الظّلم ، ولكن باطنيًّا وقلبيًّا لا يرضى بالظّلم ، وهذا أمر مهمّ ، وهو باطن الإنسان ، مرّةً الإنسان يَرْضى بحاكم ظالم ، وعنده قبول بهذا الحاكم ، ومرّةً قد يقبل ظاهريًّا ، ولكن باطنيًّا لا يرضى بالحاكم

الظّالم ، ومهمّتنا أن نبني بواطننا .

إنّ مبادئ الحسين عليه السّلام مبادئ عالميّة ، ولا بدّ أن نكون حريصين على بيان هذه المبادئ العالميّة ، وسيّدتنا زينب عليها السّلام حينما تقوم بهذه الثّورة فإنّها تعمل ضمن المبادئ العالميّة ، والمطلوب من الرّجال والنّساء على حدّ سواء أن لا يرضوا بالظّلم ، والنّساء يمكن لهنّ أن يساهمن في إبراز رسالة الحسين عليه السّلام ، مثلًا امرأة تعطي دروسًا للنّساء وتعلّمهنّ الدّين فعملها يقع ضمن الخطّ الحسينيّ الزّينبيّ .

ونحاول أن نستفيد من قضيّة المشّاية سواء الّذين ذهبوا أم الّذين يشاهدون القنوات الفضائيّة ، يعيش بقلبه معهم ، فيمكن للبعيد أن يعيش هذه الحالة القلبيّة معهم ، فإذا لم تستطع أن تذهب للزّيارة فيمكن لك أن تزور عن بُعْدٍ ، وتحصل على ثواب الزّيارة من بُعْدٍ .

إنّ الزّيارة ليست عبارةً عن كلمات تنطق بها ، والبعض يركّز على الأعمال الظّاهريّة ويغفل عن الأعمال الباطنيّة ، يظنّ أنّه إذا أتى بعمل ظاهريّ وهو ساهي القلب فإنّه يحصل على ثواب ، الثّواب مترتّب على التّغيّر الباطنيّ ، والثّواب لا يترتّب على العمل الخارجيّ فقط ، مثلًا لو أنّ شخصًا يصلّي وهو ساهي القلب وأتى بحركات وأقوال ولم يتغيّر فإنّه لا يحصل على ثواب ، يحصل على ثواب بمقدار اهتمامه بالصّلاة والالتفات إليها أثناء الإتيان بها ، فيتأثّر بها ، وإذا

لم يتأثّر المصلّي بصلاته فإنّه لا يحصل على ثواب ، والصّلاة تُقْبَلُ بمقدار ما يُقْبِلُ بقلبه عليها .

رُوِيَ عن جابر الجعفيّ قال : سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول : "مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ إِلَى الصَّلاةِ فَيُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى اللهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللهُ بِوَجْهِهِ إِلَيْهِ ، فَإِن الْتَفَتَ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهَ عَنْهُ ، وَلَا يُحْسَبُ مِنْ صَلاتِهِ إِلَّا مَا أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ ، . . ." [١] .

رُوِيَ عن الإمام عليّ بن الحسين عليهما السّلام : ". . . إِنَّ العَبْدَ لا يُقْبَلُ مِنْ صَلاتِهِ إِلَّا مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ" [٢] .

رُوِيَ عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "إِنَّ العَبْدَ لَيُرْفَعُ لَهُ مِنْ صَلاتِهِ نِصْفُهَا أَوْ ثُلُثُهَا أَوْ رُبُعُهَا أَوْ خُمُسُهَا ، وَمَا يُرْفَعُ لَهُ إِلَّا مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ . . ." [٣] .

والصّلاة الّتي تكون بلا تأثير على صاحبها تُلَفُّ كالخرقة البالية وَتُرْمَى في وجهه ، أي أنّ صلاته لا تكون مقبولةً .

رُوِيَ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إِنَّ مِنَ الصَّلاةِ لَمَا يُقْبَلُ نِصْفُهَا وَثُلُثُهَا وَرُبُعُهَا وَخُمُسُهَا إِلَى العُشْرِ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يُلَفُّ كَمَا

---

[١] بحار الأنوار ج٨١ ص٢٥٢ ح٤٨ .

[٢] علل الشّرائع للشّيخ الصّدوق ج١ ص٢٣٢ .

[٣] المصدر السّابق ج٢ ص٣٢٨ ح٢ .

يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلِقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا ، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ" [1] .

إذا كان الشّخص يرتكب محرّمات كثيرة ويأتي إلى وقت الصّلاة ويقول "اللهُ أَكْبَرُ" ، هل فعلًا يعتقد أنّ الله أكبر ؟

لو كان يعتقد أنّ الله أكبر لا يرتكب المحرّمات ، هذا الّذي يقاطع أخاه سنوات طويلة ويذهب إلى زيارة الحسين عليه السّلام ، حينما يقول "السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِاللهِ" ، من الممكن أنّ الإمام لا يردّ عليه السّلام ، يقول – بلسان الحال – له اذهب أوّلًا أَصْلِحْ ما بينك وبين أخيك ، وبعد ذلك تعال إلى الزّيارة .

إنّ الّذي يريد أن يزور عليه تكاليف قبل الذّهاب إلى الزّيارة ، أوّلًا حسّن وضعك الدّينيّ ، وخاصّة إرجاع حقوق النّاس ، سواء كانت حقوقًا ماديّةً أم حقوقًا معنويّةً ، وبعد ذلك يذهب إلى الزّيارة ، فتوجد أعمال قلبيّة وأعمال خارجيّة مطلوبة من الإنسان قبل الذّهاب إلى الزّيارة ، وأثناء الزّيارة المطلوب منه بعض الأعمال ، ولكن مع التّأثّر القلبيّ والعمل الباطنيّ ، ثمّ بعد الرّجوع من الزّيارة هذا الأثر القلبيّ لا بدّ أن يظلّ معه ، لا أنّه بمجرّد ما يرجع فإنّ هذا الأثر القلبيّ يزول ويرجع إلى حياته الرّوتينيّة السّابقة ، هذا الإنسان الّذي يرجع من

---

[1] بحار الأنوار ج٨١ ص٢٦٠ ح٥٩ .

الزّيارة لا بدّ أنّ أهله يلاحظون عليه التّغيّر ، وإذا يلاحظون أنّه نفس الشّخص السّابق فمعنى ذلك أنّه لم يتغيّر ولم يَسْتَفِدْ شيئًا من الزّيارة ، ومن استفاد فإنّ حياته تتغيّر ، والإنسان حينما يؤدّي العبادات فإنّ حياته تتغيّر يومًا بعد يوم ، وتظهر آثار التّغيّر عليه أمام الآخرين ولا سيّما أمام أهل بيته ، وبعض النّاس يقضون سنوات طويلة خمسين سنة أو أكثر مع أداء العبادات ، ولكنّه لا يتغيّر ، فأنت رأيته قبل ثلاثين سنة وتراه الآن نفس الشّخص مع أنّه مُواظِبٌ على أداء كثير من الأعمال الظّاهريّة ، ولكنّه لا يتأثّر قلبيًّا بهذه الأعمال ، قلب المؤمن لا بدّ أن يكون قلبًا حَيًّا ، الإنسان الّذي يرتكب المحرّمات قلبه يقسو ، فلا يتأثّر بالأعمال العباديّة الّتي يؤدّيها ، والمسلمون يؤدّون كثيرًا من الأعمال العباديّة من الصّلوات اليوميّة والصّيام والحجّ وزيارة المراقد المُشَرَّفَة والصّدقات وغيرها ، ولكنّهم لا يتأثّرون كثيرًا بهذه الأعمال ، وبشكل عامّ أوضاع المسلمين والمؤمنين أوضاع ثابتة تقريبًا ، ولو أنّ أوضاع المؤمنين تتغيّر لرأيت تكاملًا في المجتمع ؛ لأنّ الأفراد يتكاملون ، وبالتّبع يتكامل المجتمع ، ولكن نرى الآن أنّ أوضاع المجتمع ثابتة تقريبًا ، وهذا يدلّ على عدم تكامل الأفراد ، نعم هناك أفراد قليلون يتغيّرون ، ولكنّهم لا يشكّلون ظاهرةً عامّةً ، ولو كان الّذين يتغيّرون أفرادًا كثيرين لظهر الأثر على المجتمع ، مثلًا نلاحظ الآن أنّ بنات المسلمين بشكل عامّ غير ملتزمات بالحجاب

الشّرعيّ ، ولو كان المسلمون يتكاملون لانتشرت ظاهرة الالتزام بالحجاب الشّرعيّ ، وهذا مثال واضح ، فإذا ذهبت إلى مدرسة ثانويّة البنات في منطقة يقطنها المسلمون أو المؤمنون فإنّك ترى أنّ قليلًا من البنات يلبسن العباءة ، ولا تشكّل ظاهرة عامّة ، مثلًا الأب يأتي بابنته إلى المسجد بدون أن تلبس حجابًا شرعيًّا ، وترى بعض النّساء يَذْهَبْنَ إلى زيارة الأئمّة عليهم السّلام بحجاب غير شرعيّ ، وعند باب الحرم يعطونهنّ العباءة أو الشّادر ، ويلبسن ثمّ يَدْخُلْنَ إلى مرقد الإمام عليه السّلام ، وإذا خرجن ينزعن العباءة .

يذهبن إلى زيارة الإمام الرّضا عليه السّلام ، والإمام عليه السّلام يعلم وضع هذه المرأة بأنّها غير ملتزمة بالحجاب الشّرعيّ ، هي تظنّ أنّه عند الضّريح المقدّس الإمام عليه السّلام يراها بوضعها الحاليّ مع العباءة ، وتظنّ أنّه عليه السّلام لا يعرف بوضعها بدون الحجاب الشّرعيّ خارج الحرم ، ونحن نعتقد أنّ صحيفة أعمال الإنسان تُعْرَضُ على الأئمّة عليهم السّلام وعلى الإمام المهديّ عجّل الله فرجه ، فملفّك في كلّ ليلة يُعْرَضُ على إمام زمانك ، هذا هو اعتقادنا ، ولا بدّ أن يكون المؤمن حريصًا على أنّ هذا الملفّ كيف يكون حينما يُعْرَضُ على إمام زمانه ، ملفّ أبيض أو ملفّ أسود أو ملفّ رمادي مخلوط بالأعمال الصّالحة والأعمال السّيّئة ، فيؤدّي الواجبات والعبادات وفي نفس الوقت يرتكب المحرّمات .

إنّ من المهمّ أنّ الإنسان يعرف تكاليفه في عصر الغيبة الكبرى ، ومن التّكاليف أن نكون واعين بتخطيط شياطين الإنس ، لا أن نأخذ الأمور بكلّ بساطة ، يوجد تخطيط رهيب على الإسلام والمسلمين ومن أبناء المدرسة نفسها ، لا بدّ أن تكون عندك القدرة على تشخيص أنّ هذا الشخص داخل ضمن الخطّ الصّحيح أو ضمن خطّ الباطل ، والمسلم والمؤمن لا بدّ أن تكون عنده القدرة على التّشخيص ، تكون عنده البصيرة ، فهذا الإنسان حينما يطرح شيئًا هل يطرح شيئًا شيطانيًّا أو شيئًا ملائكيًّا ؟ هل يحاول أن يُشَوِّهَ مسيرة الإمام الحسين عليه السّلام أو يطرح مبادئ الإمام الحسين عليه السّلام ؟

لا بدّ أن نكون واعين وخاصّة في زماننا الحاليّ الذّي يوجد فيه تخطيط شيطانيّ رهيب على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ؛ لأنّ الخطر اليوم على أعداء الدّين نابع من هذه المدرسة ، فأعداء الإسلام يعرفون أنّ هذه المدرسة لحدّ الآن لم ترضخ للشّياطين ، لذلك يحاربون المرجعيّة الرّشيدة ، ويطرحون للمؤمنين مرجعيّات مزيّفة ؛ لكي يفرّقوا بين الأمّة ، فيطرحون أناسًا يَدَّعُونَ المرجعيّة ، وللأسف أنّه يصير لهم أتباع ومقلِّدون ، والمؤمن لا بدّ أن تكون عنده القدرة على تمييز المرجعيّة الرّشيدة والمرجعيّة المزيّفة من خلال أطروحاتهم وكلماتهم ، ويميّز بين الإنسان الصّالح والإنسان الطّالح من خلال أعماله

وتوجّهاته ، فهو يغلّف الكلام الباطل بغلاف من الدّين ، ويستغلّ قضيّة الحسين عليه السّلام ، ويحاول أن يطرح أشياء باطلة ليشوّه القضيّة ، ويركّز على الأشياء الباطلة ولكن بعناوين شرعيّة كالاستحباب ، والنّاس يظنّون بأنّ كلّ من يتكلّم عن قضيّة الحسين عليه السّلام فإنّه يطرح كلام حقّ ، لا بدّ أن تكون عندك القدرة على تمييز ما يُطْرَحُ ، والمؤمن لا بدّ أن يكون عنده نور وبصيرة لكي يميّز بين الأشخاص بأنّ هذا إنسان صالح يمكن اتّباعه وأنّ ذاك إنسان طالح يجب علينا أن نحذر منه ، وما يعطينا مفتاح الأمان هو الالتزام بالمرجعيّة الرّشيدة وترك المرجعيّات المزيّفة ، اتّباع خطّ المرجعيّة الرّشيدة هو صمّام الأمان للمؤمنين من الماضي إلى الحاضر وإلى المستقبل ، وهناك خطوط تأتي وتذهب أدراج الرّياح ، مثل خطّ الواقفيّة ، كانت مدرسة موجودة ، أين هم الآن ؟!

إنّ بعض الأشخاص خلال التّاريخ يحاولون أن يطرحوا مرجعيّتهم ، ولكنهم يغيبون عن التّاريخ ولا أحد يذكر أسماءهم ، ولو راجعنا أسماء علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام للاحظنا أسماءً معدودةً حفظها التّاريخ ، مثلًا الشّيخ المفيد والسّيد المرتضى والشّيخ الطوسيّ والمحقّق الحلّيّ والعلّامة الحلّيّ ومجموعة العلماء في السّابق ، وإلى زماننا الحاليّ ، السّيد الخوئيّ والسّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليهم أجمعين ، والأحياء الموجودون اليوم حفظهم الله تعالى ، وهذه

المسيرة مستمرّة ، وهؤلاء يمثّلون خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، خطّ مستمرّ من الماضي إلى الحاضر وإلى المستقبل ، ومدّعو المرجعيّة يحاولون أن يدخلوا ضمن هذا الخطّ ، ولكن هيهات لهم ذلك ، وتُنْسَى أسماؤهم مع الوقت ، وفي كلّ زمان لو نراجع أسماء العلماء الّذين بقيت أسماؤهم ستلاحظون أنّه في نفس الوقت يوجد مدّعو علم كانوا يحاربون هذه الأسماء وهذا الخطّ إمّا علنًا وإمّا خفاءً ، ولكنّ المدّعين لا تبقى أسماؤهم ، فلا بدّ أن نميّز بين المراجع والعلماء والمؤمنين الصّالحين الّذين ينتمون لخطّ المرجعيّة الرّشيدة وبين الّذين يكونون خارج هذا الخطّ ، وَتُمَيِّزُ بين الخطّين لكي تدخل في الخطّ الصّحيح وتترك خطّ الباطل ، ولكي لا تطرح بعض الأفكار والممارسات الّتي يطرحها خطّ المرجعيّة المزيّفة وأنت تظنّ أنّها صحيحة ، ولكي لا ينحرف الإنسان وهو لا يدري أنّه قد دخل في خطّ المرجعيّة المزيّفة ويظنّ أنّه يحسن صنعًا .

إذن :

رسالة الإمام الحسين عليه السّلام رسالة عالميّة ، ولا بدّ أن نُبَيِّنَ أنّ قضيّة الحسين عليه السّلام قضيّة عالميّة ، ولا بدّ أن نعرف المبادئ العالميّة الموجودة ضمن مسيرة الحسين عليه السّلام ، ونركّز على هذه المبادئ لكي يَقْبَلَ العالَمُ هذه القضيّة ، وحينما يعرفون أنّ الحسين عليه السّلام طرح مبادئ عالميّة فالحسين عليه السّلام يُقْبَلُ على أنّه

إمام عالميّ لجميع النّاس حتّى الإنسان الّذي لا يكون من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، فيقبل المبادئ العالميّة ، فهناك إنسان ثار على الظّلم ، هذا مبدأ عالميّ ، ومن الممكن أنّ الشّعوب غير المسلمة تُلْهَمُ الثّورة على الظّلم من مسيرة الحسين عليه السّلام .

إنّ دورنا هو أن نفكّر بالمبادئ العالميّة الّتي طرحها الحسين عليه السّلام منذ أن كان في المدينة وإلى أن وصل إلى كربلاء ، وأثناء أحداث كربلاء ، وما بعد كربلاء حينما واصلت المسيرة زينب الحوراء عليها السّلام ، وكيف نطرح عالميّة رسالة الحسين عليه السّلام ، وهذا مهمّ لأنّنا ندّعي أنّ الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ أنّ كلّ قضيّة موجودة في الإسلام نفكّر بالجانب العالميّ الموجود فيها ، مثلًا القرآن كتاب عالميّ ، فلا بدّ أن توجد فيه أمور عالميّة ، وإذا لم نَقُلْ بعالميّة القرآن فيكون القرآن كتابًا سماويًّا محلِّيًّا لا عالميًّا ، مثلما كان بعض الأنبياء عليهم السلام أنبياءً محلّيّين مبعوثين إلى أقوامهم فقط .

"وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا" [١] .

"وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا" [٢] .

"وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا" [٣] .

---

[١] الأعراف : ٦٥ .

[٢] السّورة السّابقة : ٧٣ .

[٣] السّورة السّابقة : ٨٥ .

وأمّا الرّسول صلّى الله عليه وآله فهو مبعوثٌ إلى كلّ العالم .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا" [١] .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" [٢] .

إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله رسول عالميّ ، فلا بدّ أن نأتي إلى أقوال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأقوال الأئمّة عليهم السّلام وما نُقِلَ عنهم من أفعال ونستخرج منها ما يتناسب مع عالميّة الإسلام ، وإذا وُجِدَتْ روايات أو أفعال لا تتناسب مع عالميّة الإسلام فمعنى ذلك أنّ هذه الرّوايات القوليّة والفعليّة روايات موضوعة ، والوضّاعون قاموا بعمل رهيب ، فتوجد آلاف الرّوايات الموضوعة ضمن الكتب الرّوائيّة الموجودة عند جميع المسلمين ، والعلماء يحاولون التّحقيق في جميع الرّوايات لتمييز صحيحها من ضعيفها ، وترى بعض العلماء يقول بصحّة ١٠% فقط من الرّوايات الواصلة إلينا ، وتوجد روايات إسرائيليّة في ضمن الموروث الرّوائيّ للمسلمين ، فتسرّبت من أهل الكتاب إلى كتب المسلمين ، والتّراث الرّوائيّ عند جميع مذاهب المسلمين يحتوي على أفكار إسرائيليّة ، ولكن تحوّلت إلى قال النّبيّ أو قال الإمام ، مثلًا من المسؤول عن إخراج أبينا آدم عليه السّلام من الجنّة ؟

---

[١] سبأ : ٢٨ .

[٢] الأنبياء : ١٠٧ .

يقولون زوجته حوّاء ، هذه الفكرة يهوديّة إسرائيليّة .

والقرآن الكريم يقول :

"وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" [١] .

"وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلَا مِن حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا مِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ" [٢] .

وكذلك التركيز على أنّ المرأة شرّ ، ومن القوالب الفكريّة عند المسلمين أنّ المرأة في مستوى أدنى من الرّجل ؛ لأنّ الموروث الرّوائيّ

---

[١] البقرة : ٣٥ – ٣٧ .

[٢] الأعراف : ١٩ – ٢٣ .

ركّز على أنّ المرأة ناقصة ، ناقصة عقل وناقصة دين ، حتّى في الكلام العرفيّ بين النّاس يقولون لا تناقشها إنّها امرأة ولا تعرف كيف تفكّر .

هذا في الموروث الرّوائيّ ، وأمّا القرآن الكريم فإنّه أعطى للمرأة مكانةً عاليةً جدًّا ، ولا بدّ أن نستخرج مكانة المرأة من القرآن أوّلًا ، القرآن ماذا أعطى للمرأة لكي تكون عندنا مبادئ عالميّة للنّساء كما أنّه توجد مبادئ عالميّة للرّجال ، ثمّ نذهب إلى الرّوايات لنرى كيف تتعامل مع المرأة ، فيها استنقاص للمرأة ، مثل المرأة شرّ كلها ، وأكثر أهل النّار النّساء .

وسنأتي بعد ذلك لطرح المنهج المتّبع في مواضيعنا ، أوّلًا القرآن الكريم ، وبعد ذلك نذهب إلى الرّوايات ، وقد بيّنّاه ضمن المحاضرات السّابقة بشكل مختصر ، وبذلك يمكن أن نعرف المنهج القرآنيّ في النّظر إلى أيّ موضوع من المواضيع ، ونعرف نظرة المنهج الرّوائي إلى المواضيع ، وسنرى أنّه يوجد فرق شاسع بين طرح القرآن للمواضيع وبين طرح الموروث الرّوائيّ للمواضيع ، ونقصد بالموروث الرّوائيّ ما هو موجود عند جميع المسلمين من المذاهب المختلفة لا فقط الموجود عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ونحتاج للاطّلاع على المذهب الزّيدي والمذهب الإباضيّ وغيرهما ، ولكي نطرح الدّين العالميّ لا بدّ أن نَدْرُسَ الأديان الأخرى أيضًا ، والآن كم مقدار معلوماتنا ؟ مثلًا ماذا نعرف عن الّذين يقدّسون البقر ؟

وأكثر من ذلك ماذا نعرف عن اليهوديّة والمسيحيّة ؟

معلوماتنا قليلة مع أنّ القرآن تحدّث كثيرًا عن أهل الكتاب ، لماذا لا توجد عندنا بحوث عن أهل الكتاب من اليهوديّة والمسيحيّة ؟ لماذا لا توجد بحوث عندنا عن التّوراة والإنجيل ؟

القرآن الكريم حينما يتحدّث عن أهل الكتاب على ماذا يركّز ، هل كان لهم دور في حرف المسيرة الإسلاميّة أو لم يكن لهم دور ؟

من القرآن يمكن لنا أن نعرف من بداية الدّعوة الإسلاميّة في مكّة أنّه كان يوجد اتّفاق بين مشركي قريش وأهل الكتاب ، وأهل الكتاب قسمان : أهل الكتاب المؤمنين ، وأهل الكتاب المنحرفين ، كما أنّ المسلمين ينقسمون إلى قسمين : مسلمين صالحين ، ومسلمين طالحين ، فأهل الكتاب بعضهم من الكافرين ، وبعضهم من المؤمنين ، ولكن في فكر المسلمين اليوم أنّ جميع أهل الكتاب من المنحرفين الكافرين المشركين ، والتّاريخ ركّز على المنحرفين من أهل الكتاب ، ويوجد مؤمنون من أهل الكتاب كما أنّه يوجد كفّار من أهل الكتاب ، وهذا التّقسيم موجود في جميع الشّرائع السّماويّة ، وهناك من أهل الكتاب من آمن بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، واليوم يوجد مسيحيّون يعتقدون بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله وأنّه مُرْسَلٌ من الله تعالى ، وفي بعض المقابلات في بعض القنوات الفضائيّة مع أحد المسيحيّين يقول بأنّه يعتقد بالنّبيّ محمّد ، نعم هو لم يترك المسيحيّة ،

ولكنّه يعتقد بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله .

لا بدّ أن نطرح أيّ موضوع من المواضيع طرحًا عالميًّا ، وسنأتي إلى الفقه العقائديّ ثمّ الفقه الأخلاقيّ ثمّ الفقه العمليّ لنرى ما هي الأحكام الفقهيّة العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة الّتي تتناسب مع عالميّة الإسلام ، وبعض الأحكام المطروحة اليوم ضمن الموروث الفقهيّ العمليّ لا تتناسب مع عالميّة الإسلام ، مثلًا قتل المرتدّ يسبّب إشكالًا على الإسلام ، فيحتاج إلى علاج ، وإذا طُرِحَتْ هذه المسألة فالإسلام لا يُتَقَبَّلُ كدين عالميّ ، ولا بدّ أن نرجع أوّلًا إلى القرآن لنرى كيف طرح القرآن مسألة المرتدّ ، وبعد ذلك نذهب إلى الرّوايات ، وتوجد مجموعة من الرّوايات عن قتل المرتدّ ، فكيف يمكن التّوفيق بين هذه الرّوايات الّتي طرحت حكم قتل المرتدّ وبين القرآن الّذي لم يطرح حكم قتل المرتدّ ؟ وكيف يمكن العلاج ؟

نحتاج إلى علاج عالميّ من خلال عالميّة الإسلام لكي نجد حلًّا لهذه المشكلة ، وإذا لم نبيّن الحلّ فهذا الإشكال يظلّ على الإسلام ولا يُتَقَبَّلُ كدين عالميّ .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٤)

الرّسول العالميّ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عظّم الله أجورنا وأجوركم باستشهاد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وبهذه المناسبة نطرح موضوعًا عن الرّسول العالميّ محمّد صلّى الله عليه وآله .

نحن نعتقد أنّ النّبيّ محمّدًا صلّى الله عليه وآله هو النّبيّ الخاتم ، وأنّه قد خَتَمَ الرّسالات السّماويّة السّابقة ، ومع ختم الرّسالات السّماويّة لا بدّ أن يكون هذا النّبيّ رسولًا إلى جميع النّاس شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا ، وأنّ دعوته دعوة عالميّة ، ورسالته رسالة عالميّة ، ولا

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ٢٧ صفر ١٤٣٩هـ الموافق ٢٠١٧/١١/١٧ م ، بمناسبة استشهاد رسول الله صلّى الله عليه وآله .

بدّ أن تكون هذه الرّسالة صالحةً لكلّ زمان ومكان ، وضمن جميع الظّروف الزّمانية والمكانيّة ، وجميع الظّروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة وغيرها ، وجميع البيئات الإنسانيّة ، ولكن هذا مجرّد ادّعاء ، ويحتاج كلّه إلى إثبات ، والمسلمون يقولون دائمًا إنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، ويحتاج هذا إلى إثبات لا فقط أن ندّعي هذا الادّعاء .

وطرحنا لهذه المواضيع لإثبات عالميّة الإسلام ، وأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله هو خاتم الأنبياء والمرسَلين ، وأنّ الإسلام صالح لحلّ مشاكل البشريّة في كلّ زمان ومكان ، وأيّ مشكلة من المشاكل لا بدّ أنّ الإسلام قد طرح حلًّا لها ، واليوم المشاكل العالميّة المعاصرة أين الحلول الإسلاميّة لها ؟

لا بدّ أن تكون عندنا كتب ومؤلّفات لأيّ مشكلة من المشاكل الموجودة اليوم في العالم ، مثلًا طرحوا موضوع "العولمة" ، أين الكتب الّتي تعالج هذه المشكلة ؟

نعم قد نجد بعض الكتب ، ولكنّها معدودة على الأصابع ، ونحن نريد أن نحلّ أيّ مشكلة ، فأوّلًا لا بدّ أن نفهم هذه المشكلة ، وبعد ذلك نطرح الحلول المناسبة ، ولو سألنا : ما هي العولمة ؟

كم مسلم يستطيع أن يُجِيبَ ؟

العدد قليل ، وهم الّذين يتابعون هذه المواضيع الّتي تُطْرَحُ في

الغرب ، وفي المقابل هل يمكننا أن نطرح عولمة إسلاميّة ؟

نحتاج إلى التّفكير في مثل هذه المواضيع المطروحة اليوم ، ونطرح الحلول الإسلاميّة لجميع المشاكل الموجودة في العالم ، وهذا كلّه يحتاج إلى بحوث ، وبدون ما نبحث في مثل هذه المواضيع فلا يمكن أن نصل إلى الحلّ الإسلاميّ ، مثلًا هل توجد نظريّة اقتصاديّة في الإسلام ؟ هل توجد نظريّة سياسيّة في الإسلام ؟ هل توجد نظريّة اجتماعيّة في الإسلام ؟ هل توجد نظريّة أخلاقيّة في الإسلام ؟ هل القرآن بيّن هذه النّظريّات ؟

جميع هذه المسائل تحتاج إلى بحوث ، الآن كم بحث عندنا لبيان النّظريّة الأخلاقيّة في القرآن ؟

نجد كتبًا قليلةً لا تتعدّى أصابع اليد .

نأتي إلى هذا الرّسول الّذي جاء لكلّ العالم ، يقول عنه تعالى :

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [١] .

هو مرسل لجميع النّاس ، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون به ، لماذا لا يعلمون بالرّسول صلّى الله عليه وآله ؟

لأنّ المسلمين قصّروا في إيصال اسم النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى كلّ العالم ، أو أنّهم طرحوا النّبيّ صلّى الله عليه وآله بصورة مُشَوَّهَة ،

---

[١] سبأ : ٢٨ .

في الأفلام المشوّهة لصورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله أخذوا المعلومات من مصادر المسلمين ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله مطروح في كتب المسلمين بصورة مُشَوَّهَة ، وتوجد حاجة إلى تنقيح مصادرنا وكتبنا لكي نعرض الرّسول صلّى الله عليه وآله بصورة أخرى .

نتكلّم في هذه اللّيلة عن الرّسول صلّى الله عليه وآله وأنّه رسول إلى كلّ العالم لا أنّه رسول مبعوث للعرب فقط ، فإذا كان رسولًا عالميًّا فإنّ رسالته لا بدّ أن تحتوي على تعاليم ومبادئ وقيم عالميّة بحيث إنّ هذه التّعاليم والمبادئ والقيم حينما تُعْرَضُ على العالم فإنّ النّاس يَقْبَلونَ رسالة الإسلام لأنّها تتناسب مع المبادئ والقيم الموجودة عندهم .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [١] .

هذا مبدأ من المبادئ العالميّة ، فالرّسول صلّى الله عليه وآله مبعوث إلى العالمين ، ولكن مع الرّحمة الإلهيّة ، فالله تعالى رحيم ، ونبيّه الكريم رحيم لأنّه انعكاس للرّحمة الإلهيّة ، والرّسول صلّى الله عليه وآله قمّة الرّحمة الإلهيّة ، ومن يريد أن يكون مُتَّبِعًا للرّسول صلّى الله عليه وآله فلا بدّ أن يتّصف بصفة الرّحمة الإنسانيّة ، فصفة الرّحمة مبدأ إنسانيّ ، ولو عُرِضَ مبدأ الرّحمة على أيّ إنسان فإنّه يقبل هذا

---

[١] الأنبياء : ١٠٧ .

المبدأ ، ولا بدّ أن يعمل جميع النّاس بهذا المبدأ ، ولو كان هذا المبدأ هو السّائد في العالم لما كنّا نرى الحروب ، ولما رأينا المشاكل بين النّاس ، ولما رأينا فقيرًا في العالم ، فكلّ إنسان يرحم أخاه الإنسان ، فعندنا مبدأ **"الرّحمة الإنسانيّة"** ، وهذا مبدأ عالميّ ، وعندنا مبدأ آخر وهو **"الأُخُوَّة الإنسانيّة"** ، فكلّنا من آدم وحوّاء ، وهذا معناه أنّ جميع الناس إخوة بالنّسب ، وإذا كان كذلك فالأخ يرحم أخاه ، ولو تحرّكنا بمبدأ الأخوّة الإنسانيّة لما رأينا أيّ مشكلة في العالم ، فانظر إلى أيّ شخص في العالم بأنّه أخوك في النّسب ، واستشعر هذه الأخوّة الإنسانيّة ، ورتّب الآثار العمليّة على هذا المبدأ ، حينذاك ستنعم البشريّة بجميع أفرادها بالخير والأمان والغنى والسّلام ، ويأمنون من الشّرّ والخوف والحروب .

هذه الحروب إنّما تنشأ من بعض الأفراد المرضى نفسيًّا ، والّذي يرغب بالحروب مريض نفسيّ ، وليس الضّرر من هؤلاء المرضى النّفسيّين فقط ، ولكنّهم يجدون أتباعًا حمقى يكونون حطبًا لنار الحرب ، ويبقى أصحاب النّفوس المريضة على سدّة الحكم ، ويقودون أفراد البشريّة إلى الحروب ، وهم يستأثرون بغنائم الحرب ، ويعطون أتباعهم الحمقى الفتات والقشور ، وحينما تقع الحروب بين البشر فابحث عن شخص مجنون أو شخصين مجنونَيْنِ ، ولكنّ المشكلة أنّ المجنونَيْنِ يحصلون على مجانين مثلهما يكونون هم الجنود الّذين ينفّذون

أفكار المجنونَيْنِ ، هتلر شخص واحد ، ولكن كم هي الحروب الّتي تسبّب بها ، شخص واحد يأتي بعنوان القوميّة أو الطّائفيّة يحرّك الشّعب كلّه ويدخل في حروب ، وهؤلاء الجنود لا يحصلون إلّا على القتل أو الإعاقة أو الأسر ، وهذا القائد المجنون يبقى قائدًا لمجانين آخرين ، وإذا انتصر أعطى لهؤلاء الجنود الفتات ، وهو الّذي يستأثر بالغنائم ، وهو الّذي يسيطر ويبقى على عرشه .

إذن نحتاج إلى مبدأ الرّحمة الإنسانيّة ومبدأ الأخوّة الإنسانيّة ، وهذه مبادئ إسلاميّة ، ولو طرحنا هذين المبدأين فالعالم كلّه يَقْبَلُ الإسلام ، ولكن حينما تطرح أنّ المسلم أخي وغير المسلم عدوّي فالإسلام لا يُقْبَلُ ، حينما تقول أنا مسلم وأحافظ على المسلمين ، ولكن نحارب جميع المشركين والكافرين ، ونقتل جميع النّاس غير المسلمين ، فالإسلام لا يُقْبَلُ كدين عالميّ جاء لجميع النّاس ، مثل الإرهابيّين اليوم الّذين يقومون بقتل الأبرياء وذبحهم ونحرهم ، فالإسلام الّذي يطرحه الإرهابيّون يستحيل أن يكون مقبولًا عالميًّا ، وهو خلاف الطّرح الإسلاميّ ، ففي المدينة المنوّرة كان يوجد أهل الكتاب ولم يقتلهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، بل حتّى المشركين لم يقتلهم النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وحينما انتصر على المشركين والكافرين أطلق سراحهم مع أنه صلّى الله عليه وآله تمكّن منهم .

لماذا عفا النّبيّ صلّى الله عليه وآله عن أعدائه المشركين والكافرين ؟

قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله : يا معشر قريش ، ما تظنّون أنّي فاعل بكم ؟

قالوا : خيرًا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

وكانوا يُطْلِقُونَ عليه قبل البعثة الصّادق الأمين ، وهاتان الصّفتان كانتا للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وكانوا يعلمون أنّه كريم ، لذلك كانوا يتوقّعون منه الخير .

وفي الرّواية عن أمير المؤمنين عليه السّلام في وصف المتّقين : "الخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ" [١] .

هذا الإنسان المؤمن العاديّ ، فكيف برسول الله صلّى الله عليه وآله ؟

قال : اذهبوا فأنتم الطّلقاء .

هذه الحادثة تعكس الرّحمة النّبويّة الّتي هي انعكاس للرّحمة الإلهيّة ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله عنده سموّ المبدأ ، وشرف المقصد ، وخُلُقُ المصلح الّذي لا يتحرّك على أساس المنافع ، وإنّما على أساس المبادئ ، أراد النّبيّ صلّى الله عليه وآله بهذا العفو أن يُفْهِمَ الأعداء

---

[١] نهج البلاغة : الخطبة ١٩٣ .

والعالم كلّه أنّه لا يريد من وراء النّصر إلّا إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل ونشر المبادئ ، وإذا وصل إلى إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل فلا تَشَفِّيَ ولا شماتة ولا انتقام ولا تقتيل ولا تنكيل ، فهو صلّى الله عليه وآله قد وصل إلى المبادئ الّتي يريد تحقيقها ، وليس من خلق النّبيّ صلّى الله عليه وآله إذلال أحد حتّى لو كان من ألدّ أعدائه ، وليس من مبادئ الإسلام إذلال أحد من الخلق ، فكلّ إنسان له عزّة وكرامة .

يقول تعالى :

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" [١] .

والنّبيّ صلّى الله عليه وآله انعكاس للقرآن ، لذلك يحافظ على كرامة أيّ إنسان ، وكرامة الإنسان مبدأ قرآنيّ ، فإذا جاءت روايات تخالف هذا المبدأ الإنسانيّ وتحطّ من كرامة الإنسان فإنّ هذه الرّوايات لا يؤخذ بها ، فإذا أراد شخص الحطّ من كرامة أيّ إنسان بلا سبب فهذا يتعارض مع القرآن الكريم لأنّ الإنسان له كرامة ، وتأتي عدّة مواضيع وأحكام مترتّبة على الكرامة الإنسانيّة ، وسيأتي بيان بعض من هذه المسائل والأحكام خلال المحاضرات ، منها مسألة طهارة أيّ إنسان ، فإذا قلنا بنجاسة أيّ إنسان فهذا خلاف كرامته ، فالإنسان طاهر ذاتًا وظاهر بدنه طاهر إلّا إذا كانت عليه نجاسة خارجيّة

---

[١] الإسراء : ٧٠ .

كالدّم والبول ، وإذلال أحد من الخلق لا يتناسب مع نزاهة الهدف والإخلاص للمبدأ ، وهكذا تظهر حقيقة الرّسول صلّى الله عليه وآله الرّحيم بجميع النّاس لأنّه مبعوثٌ رحمةً للعالمين .

والنّبيّ صلّى الله عليه وآله طبّق مبدأ "الرّحمة الإنسانيّة" ، وهو سيّد الرّحمة وقمّتها ، فيجب على المسلمين بل على جميع النّاس تعلّم الرّحمة من سيّد البشر ، ولا بدّ أن ننشر ثقافة الرّحمة الإنسانيّة بين المسلمين أوّلًا وبين جميع النّاس ثانيًا ، ولكنّ المنتشر اليوم ليس هو ثقافة الرّحمة ، وإنّما ثقافة شديد العقاب ، وكأنّ الأصل في الله سبحانه أنّه شديد العقاب ، إنّ الأصل في الله تعالى هو الرّحمة ، ويبدأ القرآن الكريم بالرّحمة في البسملة **"بسم الله الرّحمن الرّحيم"** ؛ لأنّ الأصل هو الرّحمة ، فالله تعالى يتعامل مع جميع النّاس على أساس الرّحمة ، لذلك يرزق الكافر الّذي لا يعتقد بوجود الله ، ومن الممكن أن يملك المليارات من الأموال ، فتعامل الله عزّ وجلّ مع البشر يكون على أساس الرّحمة ، يعطي الكافر لعلّه يهتدي إلى الحقّ ، ولا بدّ أن يرى العالم على المسلمين آثار الرّحمة الإلهيّة والرّحمة النّبويّة ، فإذا كانت الرّحمة منتشرةً بين المسلمين فالعالم سيتأثّر ، مثلا يأتي شخص غير مسلم للعمل في بلاد المسلمين ، لا بدّ أن يرى الرّحمة من المسلمين ، وأمّا الآن فالوافد غير المسلم لا يشعر بالرّحمة من قِبَلِ المسلمين ، ويُعَامَلُ بجفاء ، وهذا هو واقعنا اليوم ، وَيُتَعَامَلُ معه على أساس

الكِبْر والتّعالي ، فهم يريدون أن يشعروه أنّه في مرتبة أقلّ من المسلم ، ترى شخصًا ينزل من سيّارته ليضرب السّائق الوافد لأقلّ سبب ، والنّاس يتفرّجون وكأنّ الأمر طبيعيّ ؛ لأنّ النّاس عندهم نفس الشّعور بأنّ هذا الوافد أقلّ منزلة منهم ، ووضعنا الحاليّ لا يعبّر عن هذه الرّحمة ، فنرى أنّ ثقافة الكراهية هي المنتشرة اليوم بين المسلمين ، والوضع الحاليّ يحتاج إلى إصلاح ، ويبدأ الإصلاح أوّلًا من جهة علماء الدّين ، وإذا تريد أن ترى وضع المجتمع فإنّ وضع المجتمع المسلم يعكس عادةً آراء علماء الدّين ، فإذا كان علماء الدّين ينشرون الكراهية والفتن بين المسلمين فإنّ النّاس يتغذّون بهذه الثّقافة السّيّئة ، إذن علماء الدّين من جميع مذاهب المسلمين لا بدّ أن ينشروا ثقافة الرّحمة والمحبّة بين جميع النّاس ؛ لأنّ رسالة الإسلام رسالة عالميّة ، فلا بدّ أن تكون كلماتنا ومواعظنا ودعوتنا ومعاملاتنا عالميّة حتّى تتناسب مع ادّعائنا بأنّ الإسلام دين عالميّ ، والادّعاء يحتاج إلى إثبات ، ولا بدّ أن نعكس هذا الادّعاء في واقعنا العملي .

الخطابات العالميّة في القرآن :

النّبيّ صلّى الله عليه وآله رسول عالميّ ، ورسالته رسالة عالميّة ، والقرآن لا بدّ أن يكون قرآنًا عالميًّا ، وإذا كان قرآنًا عالميًّا فلا بدّ أن تكون خطاباته خطاباتٍ عالميّةً ، فلا بدّ أن نراجع القرآن لنرى كيف يخاطب النّاس ، وبناءً على طريقة القرآن في مخاطبة النّاس يكون

خطابنا لغير المسلمين ، فنرى بأنّ القرآن على أيّ شيء يركّز حينما يخاطب النّاس حتّى بالتّالي نحن نركّز على هذه الأشياء ، فخطابات القرآن خطابات عالميّة ، وهذا يدلّ على عالميّة القرآن وعالميّة الإسلام ، وسيكون عندنا بحث مستقلّ تحت عنوان "الخطابات العالميّة في القرآن الكريم" .

ونطرح هنا شيئًا من خطابات القرآن العالميّة لنثبت أنّ دعوة النّبيّ صلّى الله عليه وآله دعوة عالميّة ، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله رسول عالميّ لم يَأْتِ لقوم معيَّنين ، وإنّما هو مُرْسَلٌ لجميع النّاس ، وتأتي هذه الخطابات العالميّة في القرآن الكريم تحت خطاب **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، فكلّ آية فيها **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** لا بدّ أن نرى أنّ الله عزّ وجلّ حينما يوجّه هذا الخطاب إلى النّاس على ماذا يركّز ، فالقرآن يركّز على بعض الأمور ، ونحن في خطاباتنا مع النّاس لا بدّ أن نركّز على نفس الأمور الّتي ركّز عليها القرآن لا أن نركّز على أمور أخرى لم يذكرها القرآن ، وهذا مهمّ في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، والقرآن كتاب معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فالقرآن حينما يطرح شيئًا فإنّ هذا الشّيء حقّ ، ولا بدّ أن يتعلّم المسلمون أساليب القرآن الكريم في دعوة النّاس ، وقد نجد في الرّوايات أساليب أخرى ، ولكنّ الأساس هو القرآن ، ونجد في الرّوايات تفريعات كثيرة ، وقد ينطلق المسلمون من هذه الفروع ، ولكنّ القرآن يركّز

على الأشياء الأساسية ، وتأتي أيضا تحت خطاب "**يَا بَنِي آدَمَ**" .

لنأخذ بعض الآيات كنماذج للخطابات العالميّة في القرآن :

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" [١] .

بيّنت الآية أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله مُرْسَلٌ إلى جميع النّاس ، ثمّ ركّزت على أنّ الله له ملك السّماوات والأرض ، وأنّه إله واحد لا شريك له ، وأنّه يحيي ويميت ، ثمّ طلبت من النّاس الإيمان بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله لأنّه يؤمن بالله ، وطلبت منهم أن يتّبعوا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، والهدف هو هدايتهم ، فإذا كان القرآن يطلب من النّاس أن يؤمنوا بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله فلا بدّ أن تكون عند النّاس أدلّة تدلّ على أنّ هذا النّبيّ مُرْسَلٌ من الله ، وليس من المعقول أنّ القرآن يطلب شيئًا من النّاس بحيث لا يمكن لهم أن يصلوا إليه بالدّليل ، فلا بدّ من وجود أدلّة تثبت أنّ هذا الشّخص رسولٌ مُرْسَلٌ إلى جميع النّاس ، وهذا سيأتي بالتّفصيل في بحث النّبوّة وأنّه كيف يمكن لنا أن نثبت نّبوّة محمد بن عبدالله لجميع النّاس بالدّليل .

---

[١] الأعراف : ١٥٨ .

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" [١] .

النّذير المبين هو النّذير الواضح ، والآية تخاطب جميع النّاس بأنّ دور النّبيّ هو دور الإنذار ، وركّزت على دور الإنذار والتّخويف من العقاب لأنّه يتناسب مع جميع النّاس .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا" [٢] .

أيّها النّاس إذا آمنتم فالنّتيجة ترجع إليكم ، وهي الحصول على الخير ، وإذا كفرتم فإنّ كلّ ما في السّماوات والأرض ملك لله تعالى ، ولا يضرّه سبحانه كفركم به ، ونحتاج إلى بحث عن معنى الكفر في القرآن ، فمن هو الكافر ؟

نقول إن هذا الإنسان كَفَرَ بالله ، فلا بدَ أوّلًا أن يعرف الله حتّى بالتّالي يكفر به ، وإذا شخص لا يعرف الله فلا نسمّيه كافرًا ؛ لأنّه لا بدّ أن يعرف مُتَعَلَّقَ الكفر حتّى يتحقّق الكفر ، ولو قلنا كَفَرَ بالرّسول فلا بدّ أن يعرف الرّسول حتّى بالتّالي يَصْدُقُ عليه أنّه كافر بالرّسول ، ولو افترضنا شخصًا موجودًا في أدغال أفريقيا لم يصل إليه الإسلام ،

---

[١] الحجّ : ٤٩ .

[٢] النّساء : ١٧٠ .

ولا يعرف دعوة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولم يسمع بالله تعالى ولا بالنّبيّ صلّى الله عليه وآله فهذا لا يُطْلَقُ عليه عنوان "الكافر" ، ولكنّ المسلمين اليوم يُطْلِقُونَ على جميع النّاس من غير المسلمين أنّهم كفّار ، فهل كلّ شخص غير مسلم كافر أو لا ؟

حسب التّعريف الحاليّ نعم كلّهم كفّار ، مثلًا إذا كان عدد المسلمين مليار فإنّ ستّة مليارات إنسان يعتبرون كفّارًا ، ولكنّ التّعريف القرآنيّ للكافر يختلف عن التعريف الموجود بين المسلمين ، والتّعريف القرآنيّ للكافر يأتي من آية :

"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" [١] .

فالكافر هو من يعلم بالشّيء وينكره ، هذا هو الإنسان الكافر ، وإذا لم يعلم بالشّيء فلا يُطْلَقُ عليه أنّه كافر بهذا الشّيء ، مثل هذا الإنسان يكون تحت خطاب **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، فهو يُعْتَبَرُ تحت عنوان "النّاس" لا تحت عنوان "الكافر" ، لذلك فالكفّار في العالم يكونون قليلين ، وهم الّذين يعلمون بوجود الإله وينكرونه ، ولكنّ المطروح بين المسلمين هو أنّ جميع العالم كفّار ، ستّة مليارات إنسان كافر ، مع أنّ أكثرهم لا يعرفون الله ولم يسمعوا بالله أو يُطْرَحُ لهم الله بشكل مُشَوَّه ، ولكي نطلق عنوان "الكافر" على أحد من النّاس فلا بدّ أن نعرف أنّ

---

[١] النّمل : ١٤ .

هذا الشّخص يعرف الله ويعلم به أو لا ، وبعد أن يعلم ينكر ، وهذا هو الكافر ، والكفر بالمعنى اللّغويّ هو التّغطية ، فلا بدّ أن يكون عنده شيء يُغَطِّيهِ ، وأمّا إذا كان لا يعرف الله فهو لا يغطّي شيئًا ، فيكون ضمن النّاس ، وهو ليس كافرًا ، ونسأل : هل جميع اليهود والمسيحيّين كفّار ؟

الجواب هو لا ، فإنّه يوجد فيهم المؤمنون والكافرون ، ونأتي إلى بعض الآيات الكريمة :

"مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِن رَّبِّكُمْ" [١] .

والمعنى هو الّذين كفروا ، وهم بعض أهل الكتاب ، فبعض أهل الكتاب هم من الكفّار لا جميع أهل الكتاب بدلالة "مِنْ" التَّبْعِيضِيَّة ، وهذه ليست "مِنْ" البَيَانِيَّة .

"لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ" [٢] .

بعض أهل الكتاب يتلون آيات الله أي يتلون كتابهم ، فالمسيحيّ يتلو الإنجيل ، واليهوديّ يتلو التّوراة ، وهذه الآية تدلّ على أنّ

---

[١] البقرة : ١٠٥ .

[٢] آل عمران : ١١٣ – ١١٤ .

بعض نسخ الإنجيل والتّوراة في عهد النّبيّ صلّى الله عليه وآله كانتا سليمتين من التّحريف ، فليس جميع أهل الكتاب من الكفّار ، فيهم الكفّار وفيهم المؤمنون الصّالحون ، والّذين كانوا يخطّطون لهدم الإسلام ويحاربون الإسلام هم الكفّار من أهل الكتاب ، كان عندهم علاقات مع المشركين من جهة ، ومع المنافقين من جهة أخرى ، فكان يوجد حِلْفٌ بين المشركين والمنافقين والكفّار من أهل الكتاب ، والمنافقون كانوا موجودين من بداية الدّعوة في مكّة المكرّمة ، والقرآن يتحدّث عن النّفاق في مكّة بعد بعث النّبيّ صلّى الله عليه وآله وقبل هجرته إلى المدينة ، والمنافقون لم يكونوا في المدينة بعد هجرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله فقط ، بل كانوا موجودين في مكّة أيضًا قبل هجرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فبعض الأشخاص في مكّة دخلوا الإسلام نفاقًا لكي يمزّقوا الإسلام من الدّاخل ، فكان يوجد اتّفاق بين المشركين والمنافقين وبعض أهل الكتاب وخاصّة اليهود لكي يقضوا على الإسلام من البداية ، وهذا التّخطيط الشّيطانيّ على الإسلام كان من بدايات الدّعوة .

روي عن أبي جعفر الثّاني (أي الإمام الجواد) عليه السّلام أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع : "قد كثرت عليّ الكَذَّابَة (الكِذَابَة) ، وستكثر ، فمن كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النّار ، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله

وسنّتي ، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به" [١] .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السّلام : وقد كُذِبَ على رسول الله صلّى الله عليه وآله على عهده حتّى قام خطيبًا ، فقال : "من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النّار" [٢] .

وقد يكون قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله في بدايات الرّسالة الإسلاميّة لأنّ وضع الأحاديث بدأ مع بداية الدّعوة لكي يشوّهوا الإسلام وصورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فالحرب على الإسلام بدأت من مكّة لا من المدينة ، كان الكفّار من أهل الكتاب يشعرون بأنّ الدّين الجديد سيقضي على دينهم ، وكان عندهم اطّلاع على ظهور نبيّ جديد ، لذلك بدأ التّخطيط من بداية بزوغ الدّين الجديد .

إذن :

نحتاج إلى بحث عن معنى "الكُفْر" في القرآن الكريم .

ومن الخطابات العالميّة في القرآن الكريم :

قوله تعالى :

---

[١] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٥ ح٢ .

[٢] نهج البلاغة خطبة ٢١٠ .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [١] .

يطلب الله تعالى من النّاس عبادته ، وطالما أنّ الله يطلب من النّاس عبادته فلا بدّ أن تكون الأدلّة الّتي تثبت وجوده تعالى أدلةً واضحةً عندهم بحيث يؤمنون به تعالى بكلّ سهولة ، وهذا البحث سيأتي في إثبات وجود الإله بأدلّة واضحة لجميع النّاس ، بالأدلّة الفطريّة والأدلّة العقليّة ، وتتدرج الأدلّة تعقيدًا للمثقّفين والعلماء والمتخّصصين .

وفي الآية : **"خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ"** ، قد يكون المراد أنّه يوجد خلق قبل خلقكم أي قبل أبينا آدم عليه السّلام ، وهم فصائل من البشر كانوا موجودين قبل آدم عليه السّلام ، وسيأتي بحثه .

وهناك خطابات قرآنيّة عالميّة أخرى فيها **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" [٢] .

يطلب الله تعالى من جميع النّاس أن يكونوا متّقين ، فنحتاج إلى بحث عن معنى "التّقوى" في القرآن ، وتعريف التّقوى الموجود حاليًّا

---

[١] البقرة : ٢١ .

[٢] النّساء : ١ .

هـو فعـل الواجـبات وتـرك المحرّمـات ، وهـذا التّعريـف يتناسـب مـع المسلم ، ونحتاج إلى تعريف عام للتّقوى يشمل المسلم وغير المسلم .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ" [١] .

يطلب الله تعالى من النّاس أن يخافوا من يوم القيامة ، فنحتاج إلى أدلّة بسيطة تثبت لجميع النّاس وجود يوم القيامة بحيث إنّ النّاس يقبلون هذه الأدلّة بكلّ بساطة ، وهذا سيأتي في بحث المعاد ويوم القيامة بشكل تفصيليّ إن شاء الله .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ" [٢] .

وهنا أيضًا يوجد ذكر للتّقوى ، فنحتاج إلى تعريف "التّقوى" الّذي يتناسب مع جميع النّاس لا فقط مع المسلم ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم سواء كان ذكرًا أم أنثى ، فالرّجل والمرأة في مستوى واحد ، من يكون منهما أتقى يكون أكرم عند الله تعالى ، إذا كان الرجل أتقى فهو الأكرم عند الله ، وإذا كانت المرأة هي الأتقى فتكون هي الأكرم عند الله ، وهذا حفظ لمكانة المرأة في القرآن ، فالمرأة ليست في مرتبة

---

[١] لقمان : ٣٣ .

[٢] الحجرات : ١٣ .

أقلّ من الرّجل ، يوجد تنافس بين الرّجل والمرأة في بلوغ الكمالات المعنويّة عند الله ، لا أنّ الرّجل هو الأفضل دائمًا ، ونحتاج إلى بحث عن مكانة المرأة في القرآن الكريم ، قبل أن نذهب إلى الرّوايات الّتي تجعل المرأة في الدّرجة الثّانية بعد الرّجل .

ومن الخطابات القرآنيّة العالميّة أيضًا :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" [١] .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنْكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ" [٢] .

أيّها النّاس إذا كنتم في رَيْبٍ من البعث فارجعوا إلى أوّل خلقكم ، خلقناكم من تراب ثمّ تدرّجتم في الرّحم إلى أن اكتمل خلقكم وإلى أن

---

[١] يونس : ٢٣ .

[٢] الحجّ : ٥ – ٧ .

تموتوا ، وترون الأرض هامدةً ، فإذا أنزل الله عليها المطر صارت حيّة وبدأت تنبت من كلّ الثمرات ، وبنفس الطريقة يحيي الله الموتى لأنّه قادر على كلّ شيء ، ويوم القيامة سيأتي بلا شكّ ، وسيبعث الله من في القبور ، وهذا دليل قرآنيّ على إثبات وجود يوم البعث .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهَ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ" [١] .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ" [٢] .

هذه الآية نستفيد منها في بحث "أدلّة إثبات وجود الإله" .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ" [٣] .

هذا مَثَلٌ لِلنَّاسِ ، غير الله لا يمكن أن يخلق ذبابة ، هذه الذّبابة الصّغيرة لو تسلب من الإنسان شيئًا فلا يمكن للإنسان أن يسترجعه منها ، والذبابة ضعيفة ، وحتى الإنسان ضعيف .

ويمكنكم مراجعة باقي الآيات التي فيها **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** واستخراج

---

[١] فاطر : ٣ .

[٢] السورة السّابقة : ١٥ .

[٣] الحجّ : ٧٣ .

مجموعة من المعاني ، وهذا يأتي في بحث مستقلّ إن شاء الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٥)

تابع مظاهر عالميّة الإسلام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ذكرنا سابقًا مظهرين من مظاهر عالميّة الإسلام ، وهما :

المظهر الأوّل :

وصف الله نفسه بأنّه ربّ العالمين ، فيكون ربّ جميع النّاس ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله رحمة لجميع النّاس لا للمسلمين فقط ، والإسلام خاتم الرّسالات السّماويّة ، والنبي صلّى الله عليه وآله خاتم الرّسل .

المظهر الثّاني :

الأصل في الإسلام هو الرّحمة والتّسامح والسّلام مع المسلمين وغير

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ٥ ربيع الأوّل ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١١/٢٤ م .

المسلمين ، ويجب نشر السّلام في العالم ، وعدم الاعتداء على الآخرين ؛ لأنّ الله لا يحبّ المعتدين .

وفي هذه اللّيلة نكمل باقي مظاهر عالميّة الإسلام ، منها :

المظهر الثّالث :

مصادر التّشريع الإسلاميّ هو الكتاب الكريم والسّنّة الشّريفة بناءً على حديث الثّقلين : القرآن الكريم والعترة الطّاهرة .

وحديث الثّقلين مرويّ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله بمضامين مختلفة ، منها :

"إنّي مُسْتَخْلِفٌ فيكم خليفتين : كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض" [١] .

"إنّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض ، ما إن تمسّكتم بهما لم تضلّوا" [٢] .

وعن زيد بن أرقم قال : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن ثم قال : "كأنّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، إنّي قد تركت فيكم الثّقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني

---

[١] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٦ .

[٢] المصدر السّابق .

فيهما ؛ فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض . . ." [١] .

يقول ابن كثير : وقد ثبت في الصّحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال في خطبته بغدير خمّ : "إنّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله وعترتي ، وإنّهما لم يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض" [٢] .

ورواية الكتاب والعترة موجودة عند جميع مذاهب المسلمين ، وهي رواية مسندة في كتب الحديث ، وصحّحها الألبانيّ في السّلسلة الصّحيحة .

يقول الألبانيّ : أخرجه التّرمذيّ (٣٠٨/٢) والطّبرانيّ (٢٦٨٠) عن زيد بن الحسن الأنماطيّ عن جعفر عن أبيه عن جابر بن عبدالله قال . . . . قلت : لكنّ الحديث صحيح ، فإنّ له شاهدًا من حديث زيد بن أرقم . . . ، ثمّ أخرج أحمد (٣٧١/٤) والطّبرانيّ (٥٠٤٠) والطّحاويّ عن طريق عليّ بن ربيعة . . . وإسناده صحيح ، رجاله رجال الصّحيح . . . وله طرق أخرى عند الطّبرانيّ (٣٩٦٩-٤٩٧١ و٤٩٨٠-٤٩٨٢ و٥٠٤٠) وبعضها عند الحاكم (١٠٩/٣ و١٤٨ و٥٣٣) وصحّح هو والذّهبيّ بعضها . . . [٣] .

---

[١] السّنن الكبرى للنّسائي ج٥ ص٤٥ ح٨١٤٨ .

[٢] تفسير ابن كثير ج٤ ص١٢٣ .

[٣] السّلسلة الصّحيحة ج٤ ص٣٥٥ - ٣٥٨ .

وفي بعض الرّوايات : "**أحدهما أكبر من الآخر**" ، أيّهما أكبر : القرآن الكريم أو العترة الطّاهرة ؟

القرآن الكريم هو الأكبر ، وهو المحور ، والدليل على أنّ القرآن هو الأكبر أنّ أهل البيت عليهم السّلام يطلبون عرض رواياتهم على كتاب الله ، لا عرض القرآن على الرّوايات ، فالقرآن هو الأساس والمقياس ، والرّوايات يُؤْخَذُ منها ما لا تتعارض مع القرآن ، فما وافق كتاب الله نأخذ به ، وما عارض كتاب الله نرفضه .

وهذ التّعارض مع القرآن لا يقع مع الرّوايات الواقعيّة ، وإنّما يقع التّعارض مع الرّوايات المنقولة ، ولا بدّ أن نفرّق بين الرّوايات الواقعيّة وبين الرّوايات المنقولة ، والموجود بين أيدي المسلمين هو ما نقله الرّواة ؛ لأنّك لم تسمع من المعصوم بأذنيك مباشرةً ، ولو تسمع المعصوم عليه السّلام مباشرةً فلا تقول له : "سيّدي ، انتظر لحظة لِأَعْرِضَ كلامك على كتاب الله" ، الرّواية الواقعيّة لا يوجد تعارض بينها وبين القرآن ، ولكنّ الرّوايات المنقولة الّتي نُقِلَتْ إلينا عن طريق الرّواة هي الّتي يقع التّعارض بينها وبين القرآن ، فإذا سمعت المعصوم مباشرةً فلا تعرض كلامه على القرآن لعدم وجود التّعارض بينهما ، فالرّوايات الواقعيّة لا تُعْرَضُ على القرآن ، ولا تتعارض مع القرآن ، وأيضًا نفس الرّوايات الواقعيّة لا يقع التّعارض بينها ، فحينما نقول بوقوع التّعارض بين الرّوايات هذه هي الرّوايات المنقولة ؛ لأنّ الرّاوي

قد يشتبه أو يفهم خطأً من المعصوم ، فينقل فهمه ، فيسمع من المعصوم شيئًا وينقل شيئًا آخر ، مثل ما يقع الآن بيننا ، يقول لك شخص : فلان قال كذا ، وعندما تسأل فلانًا يقول لك : لم أقل هكذا ، وإنّما قلت شيئًا آخر والنّاقل فهم خطأً أنّني قصدت ما نقله ، لذلك فإنّ أيّ كلام منقول لا بدّ من أن نتأكّد من صحّته ، وخاصّة إذا نقل شخص لك أنّ فلانًا يتكلّم عنك ، لا بدّ من أن تتأكّد من أنّ نقله صحيح ، أصلًا هذا الشّخص لماذا ينقل لك كلام الآخرين عنك ؟! ما هو هدفه من نقل الكلام إليك ؟!

يريد خلق المشاكل بين الطّرفين ، فليس من حقّه أن ينقل شيئًا ، وقد يكون قد فهم بشكل خاطئ ، وعلى العكس قد يكون فلان مدحك ، ولكن هو فهم أنّه ذمّك ، فلا بد أن ننتبه من الكلام المنقول سواء كان من المعصوم أم من شخص آخر .

وهذا الأمر موجود بيننا ، الآن لو أنّ شخصًا ينطق ببعض الكلمات ، وبعد أسبوع اسأل الحاضرين : ماذا قال ؟

سترى بأنّ كلّ شخص من الحاضرين يقول لك شيئًا مختلفًا عن الآخر ، فبعض الأشخاص يفهمون خطأً ، وقوّة أذهان الأشخاص لها دخل في فهم الكلام ، لذلك فالأصحاب المقرّبون من المعصوم عليه السّلام إذا نقلوا شيئًا ونقل شخص آخر بعيد عن المعصوم – كصاحب بقّالة – نقل شيئًا معارِضًا فإنّك تقدّم كلام الأصحاب

المقرّبين على كلام الشّخص البعيد ، وهذه قاعدة من قواعد التّرجيح بين الرّوايات المتعارِضة ، فتقدّم رواية منقولة على رواية منقولة أخرى بسبب وجود المرجِّحات .

والآن كلامنا في أنّ هذه الرّواية المنقولة تتعارض مع القرآن فلا نأخذ بها حتّى لو كانت صحيحة السّند وجميع الرّواة ثقات ، فلا ننظر إلى السّند فقط ، بل ننظر إلى المَتْنِ أيضًا ، والمتن هو كلمات الرّواية ومضمونها ، فإذا كان مضمون الرّواية يتعارض مع القرآن فلا نعتمد على هذا المضمون ، وأمّا إذا توافقت الرّواية المنقولة مع القرآن فيؤخذ بها حتّى لو كان السّند ضعيفًا .

إذن :

القرآن الكريم هو المحور ، ونعرض الرّوايات المنقولة على القرآن ، فالرّواية التي توافق القرآن نأخذ بها ، والرّواية الّتي تعارض القرآن زخرف كما في رواية عنهم عليهم السّلام .

روي عن أبي جعفر الثّاني (أي الإمام الجواد) عليه السّلام أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع : ". . . فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنّتي ، فما وافق كتاب الله وسنّتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنّتي فلا تأخذوا به" [١] .

---

[١] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٥ ح٢ .

عن أيّوب بن الحرّ قال : سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول : "كلُّ شيءٍ مَرْدُودٌ إلى الكتاب والسّنّة ، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف" [١] .

ويأتي سؤال وهو : **كيف يمكن لكم أن تردّوا الرّوايات ؟**

والجواب هو أنّنا لا نردّ الرّوايات الواقعيّة ، نحن نردّ الرّوايات المنقولة الّتي يكون الرّاوي فيها مُشْتَبِهًا أو ناسِيًا أو مُخْطِئًا في فهمه ، فرفض الرّوايات لا يعني ردّ كلام المعصوم عليه السّلام ، وإنّما يعني ردّ كلام الرّاوي الّذي نقل عن المعصوم عليه السّلام ، فهذا كلام الرّاوي ، وليس كلام المعصوم عليه السّلام مباشرةً ، ومن الممكن أنّ الرّاوي اشتبه في فهم كلام المعصوم عليه السّلام .

المظهر الرّابع :

رسالة الإسلام رسالة عالميّة ، خاطبت كلّ إنسان أينما كان ومتى كان ، أي في كلّ زمان ومكان ، ومبادئ الإسلام تتّسع للحياة الإنسانيّة بمختلف جوانبها وفي جميع مراحلها ؛ لأنّ رسالة الإسلام تلغي كلّ ما هو خاصّ بزمان أو مكان وعنصريّة أو طبقيّة أو طائفيّة أو قوميّة ، ولا يبقى إلّا النّافع الصّالح في كلّ عصر ومصر .

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا " [٢] .

---

[١] الكافي للشّيخ الكلينيّ ج١ ص٦٩ ح٣ .

[٢] الأعراف : ١٥٨ .

الآية الكريمة تقول للنّبيّ صلّى الله عليه وآله أن يخاطب جميع النّاس بأنّه رسول الله إليهم جميعًا .

"وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا" [١] .

فالنّبيّ صلى الله عليه وآله مُرْسَلٌ إلى جميع النّاس .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [٢] .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" [٣] .

هذا بالنّسبة لرسول الله صلّى الله عليه وآله الّذي هو مُرْسَلٌ لجميع النّاس ، فيكون رسول الإنسانيّة ، وأمّا بعض الأنبياء عليهم السّلام فكانوا مبعوثين إلى أقوامهم خاصّة أو إلى أهل زمانهم ولا تتجاوزهم رسالتهم إلى من يأتي بعدهم .

"لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" [٤] .

في هذه الآية أرسل الله نوحًا عليه السّلام إلى قومه ، وخطاب نوح عليه السّلام في هذه الآية مُوَجَّهٌ لقومه ، وهو مُرْسَلٌ لأهل زمانه .

---

[١] النّساء : ٧٩ .

[٢] الأنبياء : ١٠٧ .

[٣] سبأ : ٢٨ .

[٤] الأعراف : ٥٩ .

"وَإِبْـرَاهِيمَ إِذْ قَـالَ لِقَوْمِـهِ اعْبُـدُوا اللهَ وَاتَّقُـوهُ ذَلِكُـمْ خَيْـرٌ لَّكُـمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [١] .

في هـذه الآيـة سيدنا إبـراهيم عليـه السّـلام يخاطـب قومـه ، وهـو مُرْسَلٌ لأهل زمانه ؛ لأنه من الأنبياء أولي العزم .

"وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْـرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ" [٢] .

"وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَـوْمِ اعْبُـدُوا اللهَ مَـا لَكُـم مِّـنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [٣] .

"وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَـوْمِ اعْبُـدُوا اللهَ مَا لَكُـم مِّـنْ إِلَـهٍ غَيْـرُهُ قَـدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَـةٌ مِّن رَّبِّكُـمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْـمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ" [٤] .

نلاحظ خطاب الأنبياء عليهم السّلام إلى أقوامهم ، وفي الآيات التّأكيد على عبادة الله فقط ، وبالنّسبة لكلّ نبيّ من الأنبياء عليهم

---

[١] العنكبوت : ١٦ .

[٢] الأعراف : ٦٥ .

[٣] السّورة السّابقة : ٧٣ .

[٤] السّورة السّابقة : ٨٥ .

السّلام بالإضافة إلى عبادة الله هناك أمور أخرى خاصّة بالنّبيّ ، مثلًا عن شعيب عليه السّلام يقول تعالى :

"فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" .

يظهر أنّه كانت توجد مشكلة في التّجارة عند قوم شعيب عليه السّلام ، فعندهم ميزانان : ميزان للبيع ، وميزان للشّراء ، ففي ميزان البيع يجعل كمّيّة أقل ، مثلا يبيع ٩٠٠ جرام بسعر الكيلو الواحد ، فيقع الضّرر على المشتري ، وفي ميزان الشّراء يشتري كيلو ومائة جرام بسعر الكيلو ، وأيضًا يقع الضّرر على المشتري ، فعندهم مشكلة الكيل والميزان ، فيبخسون النّاس بضائعهم ، وهذه موعظة لنا أيضًا ، لا تَبْخَسُوا النّاسَ أشياءَهم ، إذا كان يوجد شيء طيّب عند شخص فقل له بأنّه لديك شيء طيّب ، ولا تَقُلْ بأنّ لديك شيئًا فاسدًا ، مهما كان هذا الشّيء ، مثلًا في الخلافات بين المذاهب لأنّه من المذهب الآخر فإذا طرح فكرةً جيّدةً فيقول الخصم له بأنّ فكرتك خاطئة ، وهو يعلم بأنّ هذه الفكرة جيّدة ، وإذا كانت عنده صفة حسنة قل بأنّ صفتك هذه حسنة ، وإذا كان من مذهبه فإنّه حتّى الأمور السّيّئة يقول عنها إنّها حسنة ، فلا تبخسوا النّاس أشياءهم خاصّة إذا كان من طرف لا تكون راضيًا عنه ، وهذا أمر أخلاقيّ مهمّ في التعامل مع الآخرين وخاصّة الخصوم .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" [١] .

الشَّنَآنُ هو البُغْضُ ، فكن عادلًا حتّى مع عدوّك وخصمك ، فإذا عنده صفة حسنة امدحه لهذه الصّفة ، مثلًا في الغرب توجد أمور حسنة وأمور سيّئة ، لا تقل بأنّ كلّ ما يأتي من الغرب فهو سيّئ ، قل هذا حسن وذاك سيّئ ، والأمور الحسنة نأخذها منهم ، كالنّظام وتنظيم الوقت وإعطاء الوقت قيمة ، فنمدحهم لهذه الأمور الحسنة ، والأمور السّيّئة نردّها ، كالفساد ، فنترك هذا الفساد ، ولكن للأسف في مجتمعاتنا المسلمة يقع العكس ، يأخذون من الغرب الأمور السّيّئة كقصّات الشّعر ونوعيّة الملابس ، ونترك الأمور الحسنة كالنّظام وتنظيم الوقت ، لا توجد في المجتمعات المسلمة قيمة للوقت ، تعطي موعدًا لشخص فيأتيك بعد نصف ساعة من الموعد ، وهذه صفة عامّة للمجتمع المسلم ، نسأل : هل نظّمت وقتك خلال اليوم من أوّل ما تستيقظ من النّوم صباحًا وإلى أن ترجع إلى النّوم ليلًا ؟ هل عندك برنامج ليومك أو تسير خلال يومك بلا أيّ برنامج ؟

الإنسان الّذي ينظم وقته وعنده برنامج من المؤكَّد أنّه يكون من النّاجحين المتفوّقين المُنْتِجِينَ ، والشّخص الّذي لا يوجد عنده إنتاج

---

[١] المائدة : ٨ .

من المؤكَّد أنّ أوّل مشكلة عنده هي عدم تنظيم الوقت ، وهذا يجري على طلبة المدارس الّذين لا يُنْتِجُونَ لعدم وجود تنظيم الوقت عندهم ، من أولى المشاكل المهمّة في المجتمعات المسلمة هي مشكلة عدم تنظيم الوقت ، ولا بدّ أن نتعلّم تنظيم الوقت ، الغربيّون أنتجوا لأنّهم أعطوا للوقت قيمة ، والوقت له مقابل مادّيّ ، من يعمل في شركة لا بدّ أن يُنْتِجَ حتّى يحصل على الحقوق الشّهريّة ، لا كما في البلدان المسلمة لا يوجد إنتاج من الموظّف ويأخذ المعاش آخر الشّهر ، والبعض يبصم ويخرج ، والبعض جالس في بيته وآخر الشهر يستلم المعاش ، لا يوجد عندنا تنظيم للوقت ، بعض النّاس في شهر رمضان يجلسون أمام التّلفاز ينتقلون من تمثيليّة إلى تمثيليّة أخرى ، إنتاجه في شهر رمضان صفر ، فإذا تريد أن تكون إنسانًا مُنْتِجًا نَظِّمْ وقتَك ، اعْطِ للوقت قيمة ، ولا تضيّع الوقت في أمور تافهة .

نحن نعتقد أنّ شريعة الإسلام شريعة كاملة ، تعالج جميع مشاكل البشريّة ، وتتماشى مع جميع التّغيّرات في حياة النّاس في كلّ زمان ومكان ، وهي قابلة للتّطبيق في الظروف المختلفة ، وفي جميع مجالات الحياة من الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة وغيرها ، ويمكن تحقيق التّوازن بين ثوابت الشّرع وُمُتَغَيّراتِهِ ومستجدّات العصر ، هذا كلام إنشائيّ ، وكلّه يحتاج إلى إثبات .

نسمع دائمًا أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، ويواكب العصر ، أين دليلكم أيّها المسلمون ؟

اثْبِتُوا ذلك ، من يقول هذا القول قُلْ لَهُ اثْبِتْ لنا ذلك ، ويمكن أن تُشْكِلَ عليه إشكالًا بسيطًا : إذا كان الإسلام صالحًا لكلّ زمان ومكان فأنتم أيّها المسلمون لا تلتزمون بالإسلام ، والدّليل هو اذْهَبْ إلى السّوق ، الغشّ منتشر بين المسلمين ، والاختلاس ، والسّرقة ، والإجرام الموجود في المجتمعات المسلمة ، يقول لك في الغرب يوجد إجرام ، نقول له عندكم أيضًا يوجد إجرام ، يقول لو أنّ المجتمعات الغربية تصير مجتمعات مسلمة لانتهى الإجرام عندهم ، نقول له : لماذا لم تَقْضِ المجتمعات المسلمة على الإجرام ؟

وتقرأون في الجرائد أنّ فلانًا قتل فلانًا بسبب موقف سيارة ، وفلان قتل شخصًا لأنّه رمقه بعينه ، وفي المجمّعات التّجاريّة تقع المشاكل بين الشّباب ، إذا لم يمكن للإسلام أن يحلّ مشاكلكم فلماذا تقولون إنّ الإسلام قادر على حلّ مشاكل البشريّة ؟

أنتم – أيّها المسلمون – لم تستطيعوا أن تحلّوا المشاكل الصّغيرة في مجتمعاتكم فكيف تريدون حلّ المشاكل الكبيرة الّتي تواجه البشريّة ؟! كيف يمكنكم حلّ مشكلة الفقر في العالم ؟

تقولون إنّ الإسلام يحلّ مشكلة الفقر فلماذا لم تحلّوا هذه المشكلة في بلدانكم ؟

الآن في بلدنا توجد هذه المشكلة ، أين الحلّ الإسلاميّ ؟

وهذا السّؤال يُوَجَّهُ لجميع مذاهب المسلمين ، كلامنا ليس عن الإسلام ضمن مذهب معيّن ، تقولون إنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان نسأل : على أساس أيّ مذهب ؟

كلّ مذهب يَدَّعِي أنّه قادر على حلّ مشاكل البشريّة ، ضمن المذهب الواحد توجد نظريّات مختلفة ، ولاية عامّة أو ولاية متوسّطة أو ولاية خاصّة ، وضمن المذاهب يوجد اختلاف ، على أساس الخلافة أو على أساس ولاية الفقيه ، أنتم – أيّها المسلمون – لم تتّفقوا على حلّ معيّن .

هذه الإشكالات تُطْرَحُ اليوم ، إذا لا توجد عند المسلمين أجوبة لهذه الأسئلة فلا يمكن لنا أن نقول إنّ الإسلام قادر على حلّ مشاكل البشريّة ، كل هذه الأمور تحتاج إلى إثبات .

وموضوعنا "عالميّة الإسلام" طرحناه لكي يمكن لنا أن نُثْبِتَ أنّ الإسلام قادر على حلّ جميع المشاكل ، فأيّ مشكلة من المشاكل لا بدّ أن يكون عندنا الحلّ لها ، أوّلًا من القرآن الكريم ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات الّتي تتوافق مع القرآن ، إذا لم يمكن طرح حلول لمشاكل البشريّة فالمفروض أن لا نقول إنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، وإذا كنتم تُصِرُّونَ على أنّه صالح لكلّ زمان ومكان اعْطُونَا حلولًا للمشاكل .

نعم المسلمون اليوم لا يطبّقون الحلول ، وهنا لا بدّ من أن نُفَرِّقَ بين الإسلام والمسلمين ، إذا كان المسلمون لا يطبّقون القرآن ولا يطبّقون الإسلام فالمفروض أن لا نُحَمِّلَ الإسلام ذلك ، الإسلام عنده حلّ لكلّ مشكلة سواء التزم المسلمون بالحلّ أم لم يلتزموا ، فعدم التزام المسلمين بالحلول لا يؤثّر على النّظريّة .

مثلًا النّظريّة الإسلاميّة هي :

"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" [١] .

الآن نرى أنّ الإرهابيّين يعتدون ، فيقولون بأنّ هذا هو الإسلام دين الاعتداء على الآمنين ، فنقول إنّ فعل الإرهابيّين ليس هو الإسلام ، الإسلام يقول : **"إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"** ، هذه هي النّظريّة الإسلاميّة ، والمسلمون يقاتلون من يقاتلهم فقط ، وحروب النّبيّ صلّى الله عليه وآله حروب دفاعيّة ، ولا توجد حرب هجوميّة ابتدائيّة عند النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذا سنبحثه تفصيلًا ونأتي بإثباتات على أنّ جميع حروب النّبيّ صلّى الله عليه وآله كانت حروبًا دفاعيّةً ، وأنّه يوجد في الإسلام الجهاد الدّفاعيّ فقط ، ولا يوجد الجهاد الابتدائيّ ، وعنوان "غزوات النّبيّ" عنوان غير صحيح ؛ لأنّ

---

[١] البقرة : ١٩٠ .

النّبيّ صلّى الله عليه وآله لم يَغْزُ أحدًا قطّ ، كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله والمسلمون يدافعون عن أنفسهم فقط ، فلا توجد حروب هجوميّة ولا جهاد ابتدائيّ في الإسلام ، توجد حروب دفاعيّة فقط ، ولا يوجد في الإسلام اعتداء على الأمم الأخرى .

تقول بأنّنا نريد دعوتهم إلى الإسلام ، نعطيك ردّ القرآن الكريم : **"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"** [١] .

يقاتل الآخرين ويقتلهم بعنوان دعوتهم إلى الإسلام ، قل بأنّك تريد الغنائم والسّبايا ، وموضوع السّبايا مشكلة تحتاج إلى علاج ، نسأل : هل يوجد حكم السّبي في الإسلام أو لا يوجد ؟

هذا السّؤال يحتاج إلى بحث للوصول إلى جواب ، وموضوع العبيد والإماء والسّبايا من الإشكالات الّتي تُطْرَحُ على الإسلام ، ولو قلنا بأنّ الإسلام يريد أن يشنّ الحروب على الأمم الأخرى لأجل الحصول على الغنائم والسبايا فالنّاس اليوم لا يقبلون هكذا دين .

والإشكالات الّتي تُطْرَحُ على المواقع والقنوات لا بدّ من الاطّلاع عليها لكي نعرفها ونجيب عليها ، وهدفنا من هذه المحاضرات هي الإجابة على هذه الإشكالات ، وإجابة كلّ إشكال تأتي ضمن البحث الّذي نبحثه عن الموضوع الّذي تَرِدُ فيه هذه الإشكالات .

---

[١] النّحل : ١٢٥ .

وتوجد إشكالات على الإسلام من الملحدين ومن اليهود والمسيحيّين ، وبعض القنوات المسيحيّة مختصّة بطرح الإشكالات على الإسلام ، البعض عنده إشكالات على القرآن ، وبعض الإشكالات على الرّوايات ، وبعضها على سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؛ لأنّ السّيرة في كتب المسلمين سيرة مُشَوَّهَة ، فيأتون إلى التّراث من صحاح وكتب روائيّة أو تاريخيّة وَيُشْكِلُونَ ، والوضّاعون اشتغلوا شغلًا هائلًا في تشويه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، الآن صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله صورة مُشَوَّهَة ، فلا بدّ أن نأتي إلى كتبنا أوّلًا لتنقيحها ، فالأمور الّتي تُشَوِّهُ الإسلام وتُشَوِّهُ صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا بدّ من إزالتها ، فنحتاج إلى تنقيح تراث المسلمين في جميع المذاهب ، وكثير من الإسرائيليّات تسرّبت إلى موروث المسلمين حتّى الموروث الرّوائيّ ، فتوجد روايات مرويّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولكنّها روايات إسرائيليّة ، وتوجد روايات مرويّة عن الأئمّة عليهم السّلام فيها موضوعات ، وفي الرّوايات لا بدّ أن نبحث عن جذورها ، فنتتبّع الرّواية لأجل الوصول إلى أصولها وجذورها ، ومشكلتنا أنّه لا يوجد عند المسلمين اطّلاع كافي على التّوراة والإنجيل وعلى التّراث اليهوديّ والتّراث المسيحيّ لكي نقارن بينها وبين تراث المسلمين لنصل إلى الجذور ، فلا توجد عند المسلمين دراسات كافية للتّوراة والإنجيل والتّراثين اليهوديّ والمسيحيّ ، ولا يوجد اطّلاع على كتب التّاريخ

الموجودة عند اليهود والمسيحيّين ، فهم حينما كانوا في صراع مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله كتبوا تاريخًا ، والمسلمون لا يوجد عندهم معرفة بهذا التّاريخ المكتوب عند اليهود والمسيحيّين لكي نرى ماذا يقولون عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وعن المسلمين .

وأهل الكتاب حينما يُذْكَرُونَ في القرآن فمعنى ذلك أنّ أهل الكتاب كانوا موجودين في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وكانوا يخطّطون على الإسلام ، وكان يوجد حِلْفٌ قويّ بين أهل الكتاب وخاصّة اليهود مع مشركي قريش ومع المنافقين ، واشتغلوا شغلًا رهيبًا في تشويه الإسلام ، وهذا الحِلْف لا بدّ من تتبّع آثاره ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله أثناء حياته يقول :

"قد كثرت عليّ الكَذَّابَة (الكِذَابَة) ، وستكثر ، فمن كذب عليّ متعمّدًا فليتبوّأ مقعده من النّار . . ." [١] .

فوضع الأحاديث كان موجودًا أثناء حياة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، يقولون : قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولكن في الواقع النّبيّ صلّى الله عليه وآله لم يقل ذلك ، الموروث الرّوائيّ اليوم عند المسلمين فيه روايات كثيرة موضوعة ، وفيه قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وقال الإمام عليه السّلام ، لذلك يجب تنقيح كتب الرّوايات .

---

[١] بحار الأنوار ج٢ ص٢٢٥ ح٢ .

إنّ الشخص الّذي يضع الأحاديث يأتي بسند قويّ ، مثل فلان عن فلان عن فلان عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ثمّ يضع الحديث ، ولا يكتب الحديث عن شخص مجهول ، لذلك تمييز الرّوايات لا يكون عن طريق السّند فقط ، بل عن طريق السّند والمتن معًا ، والمتن هو مضمون الرّواية ومحتواها .

إذن صلاحية الإسلام لكلّ زمان ومكان تحتاج إلى إثبات ، فلا بدّ أن نثبت هذه الصّلاحية ، فأيّ موضوع من المواضيع نبحث فيه ثمّ نعطي الحلّ الإسلاميّ لأيّ مشكلة فيه ، وهذا هو الحلّ النّظريّ ، ويحتاج إلى تطبيق ، ثمّ نأتي إلى المشكلة الثّانية ونبيّن الحلّ الإسلاميّ ، وهكذا في بقيّة المشاكل ، فكلّ مشكلة من المشاكل تحتاج إلى حلّ ، والإشكالات الّتي تُوَجَّهُ إلى الإسلام والقرآن لا بدّ من الإجابة عليها ، وإذا لا يوجد عند المسلمين الجواب فمعنى ذلك أنّ الإشكال صحيح ولا توجد عندهم قدرة على الإجابة .

ولا ننظر إلى الإشكالات المطروحة قبل ألف سنة ، ولا نرجع إلى كتب العلماء السّابقين لنرى الإشكالات العقائديّة المطروحة في الأزمنة السّابقة ، فتطرح حلولًا للإشكالات الّتي لا يطرحها اليوم أحد من النّاس ، لذلك لا بدّ أن نأتي إلى زماننا الحاليّ لنرى الإشكالات المطروحة اليوم ، وفي كلّ زمان توجد مجموعة من الإشكالات ، فأوّلًا لا بدّ أن يعرف المسلمون إشكالات زمانهم الّذي يعيشون فيه .

مثلًا الملحدون عندهم إشكالات على وجود الإله ، لا بدّ أن يتمّ الرّدّ على إشكالاتهم ، ولا نجيب على الإشكالات القديمة الّتي ردّ عليها العلماء السّابقون ، والّتي لا يطرحها اليوم أحد ، ودور العلماء متابعة الإشكالات ، والّذين يُشْكِلُونَ على الإسلام ما هي إشكالاتهم في زماننا الحاليّ ، ونطرح حلولًا لهذه الإشكالات المعاصِرة ، وكلّ عالم في زمانه يَرُدُّ على الإشكالات المعاصرة له ، وعلماؤنا السّابقون كانوا يقومون بهذا الدور ويحلّون إشكالات زمانهم .

والآن حينما نريد أن نُدَرِّسَ العقائد نأتي إلى كتاب قديم لأحد العلماء السّابقين ونحلّ الإشكالات الموجودة في ذاك الكتاب ، مع أنّ هذه الإشكالات غير مطروحة اليوم ، فلا بدّ أن نأتي إلى الإشكالات المُسْتَحْدَثَة ، لذلك يُشْتَرَطُ أن ترجع إلى الأعلم الحيّ ؛ لأنّ الحيّ هو الّذي يتابع المواضيع الحديثة ، حتّى في التّقليد في الفقه العمليّ يجب الرّجوع إلى الأعلم الحيّ ، تقول إنّ المرجع السّابق طرح هذه المسألة وبيّن رأيه فيها ، نقول بأنّ المرجع السّابق كان يتكلّم بناءً على ظروفه الزّمانيّة والمكانيّة ، وعلى أساس منظومته الفكريّة الخاصّة به ، فقد يكون نفس الموضوع والمرجع قبل ألف سنة طرح فتوى معيَّنة ، والآن ضمن الظّروف الزّمانيّة والمكانية في هذا الزّمان من الممكن أن تتغيّر الفتوى حيث تدخل عوامل جديدة ، فيجب أن نرجع دائمًا إلى الأعلم الحيّ ، وهذا يأتي في بحث التّقليد في مسألة البقاء على تقليد

الميّت .

وبعض الأشخاص إذا يوجد موضوع معيّن يأتي ببعض الفتاوى للعلماء السّابقين قبل ألف سنة ، فيقول الشّيخ المفيد أو الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليهما قالا كذا ، أو فتاوى العلماء قبل مائة سنة ، نقول إنّ هذه الفتاوى كانت لزمانهم ، يجب الرّجوع إلى العلماء الأحياء المعاصرين لنرى ماذا يقولون في هذا الموضوع ، فلا نأتي إلى آراء العلماء السّابقين قبل مئات السّنين في موضوع معاصر في زماننا الحاليّ ، نعم العالم السّابق قد يطرح رأيًا في أمر ثابت على مرّ العصور ، فيمكن أن نأخذ رأيه ، والإسلام يشتمل على أحكام ثابتة وأحكام متغيّرة ، في الأحكام الثّابتة العلماء السّابقون والعلماء الحاليّون يتكلّمون عن نفس الموضوع ، مثل وجود الله تعالى في الفقه العقائديّ ، ومثل كيفيّة التّعامل مع النّاس في الفقه الأخلاقيّ ، ومثل الصّلاة في الفقه العمليّ ، ولكن طريقة الطّرح قد تختلف ، ومن الممكن أن يأتوا بأدلّة جديدة على هذه المسائل الثّابتة .

وتوجد متغيّرات في الدّين ، مثلًا هل الأمور الضّروريّة في السّابق لا بدّ أن تكون ضروريّة اليوم ؟

نقول لا ، حتّى في الفقه العقائديّ ، قد توجد عقيدة ضروريّة سابقًا ، ولكنّها اليوم تغيّرت إلى أن تصير من العقائد غير الضّروريّة ، نعم توجد عقائد ضروريّة لا تتغيّر ، ولكن بعض العقائد قد تتغيّر ،

مثلًا سهو النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، هل يجوز السّهو على النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو لا يجوز ؟

ترجع إلى زمان الشّيخ الصّدوق رضوان الله عليه كان يقول بجواز وقوع السّهو من النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، والعلماء الحاليّون لا يقولون بجواز سهو النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فبعض العقائد قد تتغيّر ، وكيف تعرف أنّها تتغيّر أو لا ؟

الجواب هو أنّ العلماء يتعاملون مع الدّليل على أيّ رأي كان ، والدّليل هو المهمّ عند العلماء ، فالعلماء يسألون دائمًا : ما هو الدّليل على هذا الرّأي ؟

قد يقول أحد العلماء برأي معيّن ، والعلماء حينما يبحثون لا يتعاملون مع الرّأي فقط ، بل يبحثون عن الدّليل على أيّ رأي من الآراء ، نعم غير العالم يكتفي بالرّأي ، لذلك يأخذ بالفتوى ويعمل بها ، وأمّا العالم فلا ينظر إلى الفتوى فقط ، وإنّما يبحث عن دليل الفتوى ، لذلك يَرُدُّ العلماء بعضهم على بعض ، فيردّون على الآراء ، والرّدّ على الآراء ليس معناه الطّعن في العالم صاحب الرّأي ، ففهم الدّين يتطوّر بسبب الإشكالات والأجوبة عليها ، فالعالم اللّاحق يطرح الإشكالات على رأي العالم السّابق ، ويأتي برأي جديد ، وهكذا تتطوّر العلوم الدّينيّة وغير الدّينيّة ، إذن مناقشة رأي العالم لا تقلّل من مكانة العالم ، فمكانة العلماء محفوظة ، ولكنّ الآراء لا

يوجد فيها تقديس ، لذلك يناقش العلماء بعضهم البعض ، ولو كانت الآراء مُقَدَّسَةً لما ردّ العلماء بعضهم على بعض ، مثلًا الشّيخ المفيد قد يردّ على آراء الشّيخ الصّدوق رضوان الله عليهما ، وهذا لا يقلّل من قيمة الشّيخ الصّدوق ولا يمسّ مكانته ، لذلك فإنّ كتاب الشّيخ الصّدوق "من لا يحضره الفقيه" لحدّ الآن يرجع إليه العلماء ، ولكنّ آراء العلماء قابلة للنقاش ، فلا يوجد تقديس للآراء ، والرّأي يُنْظَرُ إلى دليله ، فإذا رأى العالم أنّ هذا الدّليل صحيح فإنّه يأخذ بهذا الرّأي ، وإذا رأى أنّ الدّليل غير صحيح فيردّ على هذا الرّأي ، بالإضافة إلى ذلك يوجد تعدّد في قراءة النصّ الواحد ، فتوجد قراءات وأفهام متعدّدة للنّصّ الواحد ، فالفتاوى تتغيّر من عالِم إلى آخر مع أنّ الرّواية واحدة ؛ لأنّ كل عالم يفهم الرّواية بفهمه الخاصّ ، وهذا يسمّى تعدّد قراءات وفهم النّصّ الواحد ، نصّ واحد وقراءات وأفهام متعدّدة ، لماذا هذا العالم يختلف في فهمه للنّصّ عن العالم الآخر ؟

هذا الاختلاف في قراءة وفهم النّصّ الواحد بسبب دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة والمنظومة الفكريّة للعالم ، إنسان يعيش في قرية قبل ألف سنة ولم يخرج إلى خارج حدود قريته يفهم الآيات القرآنيّة بفهم معيّن على مستوى فكره القرويّ ، ولكن إنسان آخر يعيش في زماننا الحاليّ وضمن الأطروحات المختلفة في العالَم وضمن منظومته الفكريّة الأوسع بكثير من ذاك الإنسان القرويّ الّذي كان يعيش قبل ألف

سنة – حينما يقرأ القرآن يقرأ بفهم آخر مختلف عن ذاك الإنسان القرويّ ، الإنسان الّذي يعيش في المدينة يختلف فهمه للآية والرّواية عن فهم الإنسان القرويّ .

إذن المنظومة الفكريّة للعالم تؤثّر في قراءته وفهمه للنّصّ الدّينيّ ، وكلّما ازداد الإنسان علمًا يكون فهمه للنّصّ أوسع ، فيوجد تعدّد في قراءة وفهم النّصّ الواحد .

تسأل : **ما هو الدّليل على تعدّد قراءة وفهم النّصّ الواحد ؟**

الجواب أنّ الدليل هو اختلاف العلماء في قراءة وفهم النّصّ الواحد .

والبعض قد يعترض بأنّه لا يوجد شيء اسمه تعدّد قراءة وفهم النّصّ الواحد ، فنسأله : إذا لم يكن اختلاف العلماء في قراءة وفهم النّصّ الواحد دليل على وجود تعدّد في القراءة والفهم فعلى ماذا يدلّ اختلافهم في قراءة وفهم النّصّ الواحد ؟!

إنّ قولنا اختلاف العلماء في قراءة وفهم النّصّ الواحد هو نفس معنى تعدّد قراءات وأفهام العلماء للنّصّ الواحد ، فأحدهم يقول واجب ، والثّاني يقول مستحبّ ، والثّالث يقول احتياط وجوبيّ ، والرّابع يقول احتياط استحبابيّ ، وحينما نرجع إلى كتب هؤلاء العلماء نجد أنّهم يرجعون إلى نفس الآيات القرآنيّة ونفس الرّوايات .

نسأل : **ما الّذي يؤدّي إلى اختلاف القراءات والأفهام ؟**

تـدخل المنظومـة الفكريّـة للإنسـان والظّـروف الزّمانيّـة والمكانيّـة ، فتوجد قراءة وفهم مختلف للنّصّ ، فالشّيخ المفيد رضوان الله عليه يفهم شيئًا من النّصّ ، والعلماء اليوم قد يختلفون عن الشّيخ المفيد في فهم نفس النّصّ .

مثال فقهيّ بسيط : رمس الرّأس في الماء أثناء نهار شهر رمضان ، المشهور يقولون ببطلان الصّيام ، وأحد العلماء المعاصرين يقول بعدم بطلان الصيام ، وإنّما يقول بالكراهة ، مع أنّهم يستندون إلى نفس الأدلّة ، وهذا دليل على اختلاف القراءات والأفهام للنّصّ الواحد ، وسيأتي بحث مستقلّ عن تعدّد قراءة وفهم النّصّ الواحد ، نصّ واحد تختلف فيه قراءات وأفهام العلماء .

وتتشعّب المواضيع لأنّ موضوع "عالميّة الإسلام" موضوع واسع ، والآن نطرح بعض العناوين بشكل مختصر ، وكلّ عنوان سنبحثه في عدّة محاضرات بشكل تفصيليّ ، وجميع هذه العناوين تحتاج إلى بحوث مستقلّة ، والآن موضوع تعدّد قراءة وفهم النّصّ الواحد مطروح في العالم كلّه ، فهل يدخل هذا الموضوع في فهم النّصوص القرآنيّة والرّوائيّة أو لا يدخل ؟

هذا لا بدّ أن نبحثه بحثًا تفصيليًّا لكي نصل إلى نتيجة ، وهي أنّه هل يوجد تعدّد القراءات والأفهام في النّصوص الدّينيّة أو توجد وحدة في قراءة النّصوص وفهمها ؟

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٦)

تابع مظاهر عالميّة الإسلام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في مظاهر عالميّة الإسلام ، أخذنا أربعة مظاهر ، وندخل إلى باقي المظاهر :

المظهر الخامس :

لا عنصريّةَ ولا انحيازَ لأحد على أحد ، أو لذكر على أنثى ، ولا بدّ من نبذ العصبيّة والقبليّة والعشائريّة ، فالإسلام يوفّر المساواة والعدالة لجميع النّاس ، والمسألة المهمّة في هذا الموضوع والّتي تأتي الإشكالات عليها هي :

هل حفظ الإسلام مكانة المرأة ؟

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ١٢ربيع الأوّل ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١٢/١ م .

هل حفظ الإسلام حقوق غير المسلمين من أهل الكتاب ومن غير أهل الكتاب في المجتمع الإسلاميّ ؟

توجد في موضوع عالميّة الإسلام نقطتان مهمّتان : مكانة المرأة في الإسلام ، وحقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلاميّ ، والإشكالات تأتي في هاتين النّقطتين .

في القرآن الكريم بعض الآيات قد يُفْهَمُ منها عدم حفظ مكانة المرأة ، مثل ضرب الزّوجات كما في الآية :

"وَالـلَّاتِي تَخَـافُونَ نُشُـوزَهُنَّ فَعِظُـوهُنَّ وَاهْجُـرُوهُنَّ فِي الْمَضَـاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ" [١] .

وعدم حفظ حقوق غير المسلمين ، كما في الآيات الّتي ظاهرها قتال المشركين وقتلهم ، مثل :

"وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً" [٢] .

"فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ" [٣] .

وهذان الموضوعان يحتاجان إلى علاج ، فإذا أردنا أن نبيّن عالميّة الإسلام فلا بدّ أن نجيب عن الإشكالات في هذين الموضوعين ، وهنا نريد أن نبيّن العناوين الّتي سنبحث فيها ، وهذان الأمران سيأتيان في

---

[١] النّساء : ٣٤ .

[٢] التّوبة : ٣٦ .

[٣] السّورة السّابقة : ٥ .

موضوعين مستقلّين نتناولهما بالتّفصيل لنثبت أنّ القرآن حفظ حقوق المرأة وحقوق غير المسلمين .

وسنأتي إلى الرّوايات الّتي فيها كثير من الآفات ، مثلًا في بعض الرّوايات :

"المَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا ، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا" [١] .

"مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ . . ." [٢] .

والإشكالات على الإسلام تأتي من مثل هذه الرّوايات .

وكذلك موضوع الجزية على أهل الكتاب :

"قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" [٣] .

ما معنى هذه الآية ؟ هل الآية تفرض الجزية على أهل الكتاب أو لها معنى آخر ؟

والآية تقول : **"وَهُمْ صَاغِرُونَ"** ، أي يعطون الجزية مع إهانة وذلّة ، فهل الجزية على أهل الكتاب تُعْطِي حكمًا شرعيًّا أو أنّ سياق الآيات يعطي معنًى آخر ؟

---

[١] بحار الأنوار ج١٠٠ ص٢٥٢ ح٥٣ .

[٢] صحيح البخاريّ ج١ ص٧٨ ، صحيح مسلم ج١ ص٦١ .

[٣] التّوبة : ٢٩ .

هذه الأسئلة ستأتي الإجابة عنها في محلّها المناسب حينما نبحث في موضوع الجزية في الإسلام .

ويقال بأنّ أهل الكتاب إمّا أن يُسْلِمُوا وإمّا أن يدفعوا الجزية وإمّا أن يُقْتَلُوا ، وغير أهل الكتاب إمّا أن يُسْلِمُوا وإمّا أن يُقْتَلُوا ، وهذا هو المطروح الآن ، وهذا يحتاج أيضًا إلى علاج ، فأوّلًا لا بدّ أن نبحث هل كفل الإسلام حرّيّة الاعتقاد أو لا ؟ هل الإنسان حرّ في أن يتّخذ أيّ عقيدة يريدها ؟

نعم باب النّقاش يكون مفتوحًا معه ، ولكن لا يتمّ التّعرّض لأمواله ولا عرضه ولا دمه .

ونبدأ البحث عن حرّيّة الاعتقاد في القرآن ، فهل القرآن حفظ حرّيّة الاعتقاد للإنسان أو لا ؟

وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، وفي البداية يكون البحث بحثًا قرآنيًّا ، ثمّ نأتي إلى الرّوايات لنرى أنّ الروايات تتوافق مع القرآن أو لا تتوافق .

ولنأخذ هذه القاعدة وهي أنّ الإسلام لا يرضى بإهانة أيّ إنسان أو انتقاصه ، وهذا أصل قرآنيّ ، مثلًا المرأة تُنْتَقَصُ لأنّها امرأة ، أو غير المسلم يُنْتَقَصُ لأنّه غير مسلم ، الإسلام لا يرضى بالذّلّ لأيّ إنسان حتّى لو لم يكن مسلمًا ، والمسلم قد يُهَانُ إذا ارتكب جريمة وَيُسْجَنُ ، والسّجن عقوبة له .

المرأة لا تُنْتَقَصُ بسبب عنوان "المرأة" ، وغير المسلم لا يُهَانُ بسبب عنوان "غير المسلم" ، ونأخذ هذه القاعدة ونجعلها نصب أعيننا ، وهي أنّ أيّ رواية تأتي بإهانة أو استنقاص للمرأة أو لغير المسلم أو لقوميّة أو لطائفة أو لقبيلة أو لعشيرة فإنّها رواية تخالف القرآن الكريم ، فيتمّ رفضها ورفض أيّ قول يقول بها ، فالقرآن الكريم جاء بمبدأ الكرامة الإنسانيّة .

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" [١] .

فكرامة أيّ إنسان لا بدّ أن تكون محفوظة ، وهذا مبدأ إسلاميّ عالميّ ، الكرامة الإنسانيّة تتناسب مع عالميّة أيّ رسالة ، فإذا طرحنا أنّ الإسلام يحفظ كرامة أيّ إنسان فهذا الدّين يكون مقبولًا كدين عالميّ ، ولا بدّ أن تكون حقوق الإنسان موجودة في الإسلام قبل أن تطرح هيئة الأمم المتّحدة حقوق الإنسان ، وسيأتي بحث مستقلّ عن حقوق الإنسان في القرآن ، فحقوق أيّ إنسان لا بدّ أن تكون محفوظةً ، ثمّ نأتي إلى الرّوايات الّتي تتوافق مع القرآن فنأخذ بها ، والرّوايات الّتي لا تتوافق نرفضها .

مثلًا في رواية أنّ الأكراد حيّ من الجنّ ، وهذه الرّواية مقطوعة السّند أو ضعيفة السّند أو مُرْسَلَة ، فيها "عمّن حَدَّثَهُ" ، ولا يُعْرَفُ من هو هذا المحدِّث .

---

[١] الإسراء : ٧٠ .

محمّد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عمّن حدّثه عن أبي الرّبيع الشّاميّ قال : سألت أبا عبدالله عليه السّلام فقلت : إنّ عندنا قومًا من الأكراد وإنّهم لا يزالون يجيئون بالبيع فنخالطهم ونبايعهم . فقال : "يا أبا الربيع ، لا تخالطوهم فإنّ الأكراد حيّ من أحياء الجنّ كشف الله عنهم الغطاء فلا تخالطوهم" [١] .

وقد تجد بعض الفتاوى تقول بكراهة المعاملة مع الأكراد استنادًا إلى هذه الرّواية الضعيفة ، فمثل هذه الرّواية لا تُقْبَلُ لأنّها خلاف روح القرآن ، وتتعارض مع القرآن لأنّ التمييز في هذه الرّواية على أساس القوميّة ، والإسلام لا يدعو إلى القوميّة ، ولا يتبنّى أنّ قومًا لهم الكرامة وقومًا آخرين ليس لهم الكرامة ، فأمثال هذه الرّوايات لا تُقْبَلُ ، إنّ أيّ رواية تخالف القرآن تكون مرفوضة ، وخلال البحوث سنأتي إلى أمثلة من الرّوايات ، نبيّن أوّلًا القاعدة القرآنيّة ثمّ نأتي إلى هذه الرّوايات لنبيّن أنّها تخالف القرآن .

إذن :

مبدأ الكرامة الإنسانيّة مبدأ إسلاميّ عالميّ ، والإسلام يحافظ على هذا المبدأ بقوة ، فأيّ رواية تخالف كرامة الإنسان لا تُقْبَلُ حتّى لو كانت صحيحة السّند .

---

[١] الكافي ج٥ ص١٥٨ ح٢ .

المظهر السّادس :

غير المسلمين يعيشون في المجتمعات الإسلاميّة ضمن العدل والحرّيّة والمساواة وحفظ الحقوق ، فلا يُمَيَّزُونَ على أساس دينهم ، ولا يجوز لأحدٍ التّعدّي عليهم لا بقول ولا بفعل ، ولا يُعْتَدَى على دمائهم ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ، فدماؤهم وأعراضهم وأموالهم محترمة سواء كانوا من أهل الكتاب أم من غير أهل الكتاب ، مثلًا إنسان بوذيّ عنده أموال فلا يجوز التّعدّي على أمواله ، هذه الأموال ملك وحقّ له ، فلا يجوز الاعتداء على أموال البوذيّ أو أيّ ديانة أخرى سواء كانت سماويّة أم وضعيّة ، حتّى لو كان يعبد قردًا أو فأرًا ، المال ماله ، هو الّذي اكتسب هذا المال بجهده ، فماله محترم .

والإسلام يسعى إلى تأليف قلوب جميع النّاس بلا استثناء ، كان مسلمًا أو غير مسلم ، كان عنده دين سماويّ أو دين غير سماويّ ، مثلًا لو كان عندك جار سيخيّ لا بدّ أن تقوم العلاقة معه على حسن الجوار ، لو كان المسلمون يتعاملون مع النّاس بأخلاق لتأثّر النّاس بالمسلمين ، لو كانت المجتمعات المسلمة تتعامل بأخلاق مع غير المسلمين لأُعْجِبُوا بالإسلام ، ولكنّ المشكلة أنّ الوافد حتّى لو كان مسلمًا يُتَعَامَلُ معه بإهانة وكِبْر ، والنّاس صنفان : إمّا أخ أو أخت لك في الدّين وإمّا أخ أو أخت لك في الإنسانيّة ، فجميع النّاس ينتهي نسبهم إلى آدم وحوّاء ، هذا الفرد ينتهي نسبه إلى أمّك

وأبيك فهو أخ أو أخت لك ، فغير المسلم أخ أو أخت لك في الإنسانيّة ، وهو نظير لك في الخلق بمعنى أنّكما بمستوى واحد من الخَلْق ، فأخ أو أخت لك في الدّين إذا كان مسلمًا أو مسلمةً ، وأخ أو أخت لك في الإنسانيّة إذا لم يكن مسلمًا أو مسلمةً ، فتتعامل معهما على أساس الإنسانيّة .

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" [١] .

ونكرّر هذه الآية كثيرًا لأنّها أساسيّة في كثير من الأحكام الشّرعيّة .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ" [٢] .

الخِطابُ مُوَجَّهٌ لجميع الناس ، الذّكر والأنثى في مستوى واحد من الخَلْق ، والآية لم تقل إنّ الذّكر أفضل من الأنثى .

تسأل : وماذا نفعل بآية : **"الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ"** [٣] ؟

والجواب هو أنّه ستأتي الآية في محلّها في بحث قوامة الرّجل على المرأة ، فما معنى القوامة ؟

---

[١] الإسراء : ٧٠ .

[٢] الحجرات : ١٣ .

[٣] النّساء : ٣٤ .

وحسبما نُقِلَ أنّه في بعض المجتمعات الأفريقيّة يكون الأب في البيت للقيام بأعمال المنزل من الطّبخ وغيره ، والمرأة تخرج للعمل ، في ذاك المجتمع القوامة لمن ؟

القوامة هناك للزّوجة والأمّ .

وماذا نفعل بآية : **"وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ"** [١] ؟

ما هي هذه الدّرجة ؟ هل هي درجة في الأفضليّة وأنّ الرّجل أفضل من المرأة في الخَلْق ؟ وهل خَلْقُ الرّجل يختلف عن خلق المرأة ؟

إنّ الرّجل والمرأة خُلِقَا من نَفْسٍ واحدة ، نَفْسُ الرَّجل هي نَفْسُ المرأة لا شيء آخر .

هل توجد أفضليّة للرّجل على المرأة بحيث إنّ المرأة تكون ناقصة دين وعقل كما هو الدّارج عند المسلمين ؟

إذا قيل لك إنّ تلك المرأة فعلت كذا ، فتقول نعم هي امرأة – بصيغة الاستنقاص – ، مع أنّنا لو راجعنا تاريخ البشريّة من هو سبب المشاكل في العالم : المرأة أو الرّجل ؟

الحروب من يقوم بها : الرّجال أو النّساء ؟

إنّ مشاكل البشريّة عبر التّاريخ نشأت من الرّجال لا من النّساء ، قد تجد أحيانًا في التّاريخ امرأة تسبّب المشاكل كامرأة لوط أو امرأة نوح ، فالنّساء اللّاتي سبّبن المشاكل عبر التّاريخ نساء معدودات ،

---

[١] البقرة : ٢٢٨ .

وعادةً الرّجال هم سبب المشاكل في العالم ، جميع الحروب في العالم سببها رجال ، كم من ملايين الرّجال قُتِلُوا في الحروب إرضاءً لزعيمهم الرّجل ؟ فمن هو ناقص العقل : الرّجل أو المرأة ؟!

هذا هو الإثبات التّاريخيّ لقلّة عقل الرجل ، وهو إثبات وجدانيّ ، فأنت ترى بنفسك أنّ سبب المشاكل في العالم ولحدّ هذا اليوم هم الرّجال لا النّساء ، والتّخطيط العالميّ اليوم سببه شياطين الإنس الرّجال .

"وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" [١] .

الغاية من جعل الله للشّعوب والقبائل في العالم هي التّعارف لا التّقاتل ، فإذا كان من أجل التّعارف فلا بدّ من وجود الاحترام المتبادَل بينهم ، وإذا تريد أن تتعارف معهم فتقول له : أنت كافر نجس ، فهل يتحقّق التّعارف أو العداوة ؟

الله عزّ وجلّ يريد من النّاس أن يتعارفوا ، والتّعارف يستلزم إقامة العلاقات معهم ، والعلاقات بين الأفراد وبين الشّعوب وبين الدّول تكون على أساس الاحترام المتبادل والكرامة الإنسانيّة .

إذن كلّ إنسان مكرَّمٌ مُحْتَرَمٌ ، وهذا ينتج منه عدّة أحكام ، منها مسألة طهارة أو نجاسة الإنسان ، فهل نقول بطهارته الذّاتيّة أو بنجاسته الذّاتيّة ؟

---

[١] الحجرات : ١٣ .

الإنسان غير المسلم إذا كان يعتقد بكتاب سماويّ – أي يكون من أهل الكتاب – هل هو طاهر أو نجس ذاتًا ؟

وإذا لم يكن من أهل الكتاب بل يعتقد بدين وضعيّ – كالبوذيّ أو السّيخيّ – هل هو طاهر أو نجس ذاتًا ؟

وإذا قلنا بأنّ غير المسلم نجس ذاتًا هل يتعارض مع كرامته الإنسانيّة أو لا يتعارض ؟

نعم يتعارض ، فإذا قلنا بالكرامة الإنسانيّة – كما تقول الآية – فإنّ كلّ إنسان يكون طاهرًا ذاتًا .

إذا أردنا أن يتحقّق التّعارف بين الشّعوب والقبائل فلا بدّ أن نقول بالطّهارة الذّاتيّة لكلّ إنسان ، وإذا قال المسلمون عنه بأنّه نجس فإنّه لا يقبل بالتّعارف معهم .

"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ" [١] .

الخطاب مُوَجَّهٌ لجميع النّاس ، والله عزّ وجلّ يريد من النّاس التّقوى ، فما معنى التّقوى ؟ وما معنى الأتقى في الآية الكريمة ؟

الخطاب ليس مُوَجَّهًا لخصوص المسلمين لكي نُعَرِّفَ التّقوى بأنّها الالتزام بالواجبات وترك المحرّمات ، هذا هو التّعريف الشّرعيّ لتقوى المسلم ، فيكون المتّقي هو الّذي يلتزم بالواجبات ويترك المحرّمات حسب الشّرع الإسلاميّ ، والخطاب في الآية مُوَجَّهٌ لجميع النّاس لا

---

[١] الحجرات : ١٣ .

لخصوص المسلمين ، والله يريد من النّاس أن يكون متّقين ، فتوجد تقوى إنسانيّة ، والتّعريف لا بدّ أن يكون متناسبًا مع جميع النّاس ، ويمكن أن نُعَرِّفَ التّقوى بأنّها هي النّفسيّة الإنسانيّة الصّالحة الّتي تريد الخير لجميع النّاس ولا تريد الشّرّ لأحد من النّاس ، وتترتّب على التّقوى الإنسانيّة نتائج ، ومن نتائجها نشر الخير وكفّ الشّرّ والأذى وعدم الاعتداء على الآخرين من نفس الدّين أو من دين آخر سماويّ أو وضعيّ بل حتّى اللّادينيّ الملحد وغير الملحد ، واللّادينيّ الّذي لا يعتقد بوجود إله خالق فهذا هو الملحد ، وأمّا اللّادينيّ الّذي يعتقد بوجود إله خالق ، ولكنّه يقول بأنّ الإله الخالق ليس هو الله الّذي يقول به المسلمون أو الإله الّذي يقول به اليهود أو المسيحيّون ، ولا يعتقد بالأديان ، فيكون لادينيًّا ربوبيًّا .

والمسلمون يطرحون أنّ الله شديد العقاب ، وممارسات المسلمين تدلّ على أنّ الله شديد العقاب ، والمفروض أنّ الإله لا بدّ أن يكون مصدرًا للرّحمة والخير ، والمسلمون يُشَوِّهُونَ صورة الله أمام العالم ، وعدم اعتقاد النّاس بالله سبحانه سببه المسلمون ، والأصل أنّ الله رحيم بعباده ، فإذا كان الله رحيمًا بعباده فالمفروض أنّ المسلمين يكونون رحماء مع جميع الناس ، ولكنّ الإرهابيّين اليوم لا يطرحون مبدأ الرّحمة ، والصّورة المنعكسة عن الإسلام هي أنّه دين الإرهاب ، والإرهابيّون يطرحون النّبيّ صلّى الله عليه وآله على أنّه قَتَّالٌ وأنّ الله

سبحانه يريد قتل جميع الكفّار والمشركين في العالم .

والشّخص الّذي يعتقد بوجود إله خالق للكون لا يعتقد أنّ هذا الإله الخالق هو الله نتيجة ممارسات المسلمين ، فالمسلمون تسبّبوا بتشويه صورة الله تعالى وصورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وصورة الإسلام .

وفي الشّرق والغرب لا يميّزون بين المسلم الإرهابيّ والمسلم غير الإرهابيّ ، فالإرهابيّ هو الصورة المنعكسة عن المسلم ، تقول إنّ هؤلاء الإرهابيّين لا يمثّلون الإسلام ، فنقول بأنّه أمام العالم هؤلاء يمثّلون الإسلام لأنّهم يستندون إلى نصوص قرآنيّة وروائيّة .

إنّ هذه الصّورة عن الله سبحانه تحتاج إلى تغيير ، فإذا كانت الصّورة هي أنّ الله شديد العقاب فلا يُقْبَلُ هذا الإله ، ولا بدّ أن نطرح أنّ الله رحيم ، وهذه الرّحمة لا بدّ أن تظهر بين المسلمين ، ويكون المسلمون رحماء بالنّاس ، لا أن يتعامل المسلمون مع النّاس على أساس شدّة العقاب وأنّه يجب قتل جميع الكفّار والمشركين ، ويكون هذا العالَم لألف شخص فقط ، وأنّ الجنّة تكون لمجموعة قليلة من المسلمين ، وباقي المسلمين والنّاس كلّهم في نار جهنّم ، وهذا بناء على أنّ المسلمين ينقسمون إلى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة ناجية والباقي في النّار ، فحصرنا الفرقة النّاجية ضمن دائرة ضيّقة جدًّا ، مع أنّ المفروض أنّ الدّاخلين إلى الجنّة يكونون أكثر النّاس ؛ لأنّ الأساس

هو الرّحمة الإلهيّة ، وإذا كان الله يتعامل مع النّاس على أساس الرّحمة فلا بدّ أنّ أكثر النّاس يدخلون إلى الجنّة ، وتظلّ مجموعة قليلة جدًّا يدخلون إلى النّار .

إنّ الفكرة المطروحة اليوم بين المسلمين هي أنّ كلّ مذهب يقول نحن الفرقة الناجية ، وباقي المسلمين من المذاهب الأخرى والكفّار والمشركون كلّهم في النار .

هل هذه الفكرة صحيحة أو أنّ الأصل أنّ أكثر النّاس يدخلون إلى الجنّة لأنّه يتناسب مع رحمة الله ؟ وكيف يمكن لنا بيان أنّ أكثر النّاس يدخلون الجنّة وتظلّ فئة قليلة جدًّا يدخلون النّار ؟

وهذا سيأتي في بحث مستقلّ إن شاء الله تعالى .

إذن :

الأصل الإسلاميّ القرآنيّ هو عدم الاعتداء على الآخرين سواء كان مسلمًا أم غير مسلم ، من شريعة سماويّة أم دين وضعيّ ، ملحدًا أو غير ملحد ، ويكون كلّ إنسان محقون الدّم مُصَان العِرْض محفوظ المال ، وليس من حقّ أحد أن يعتدي على غيره ، وهذه قاعدة إسلاميّة إنسانيّة يجب الالتزام بها .

وهنا التّقوى الّتي تتناسب مع جميع النّاس من نتائجها عدم الاعتداء ، لذلك يقول القرآن : **"إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ"** [١] .

---

[١] البقرة : ١٩٠ .

إنّ الله عزّ وجلّ لا يحبّ المعتدين سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين ، فمن نتائج التّقوى بين النّاس هو عدم الاعتداء على أحد ، لا أحد يعتدي على أحد ، فتكون القاعدة الإسلاميّة الإنسانيّة هي عدم الاعتداء على الآخرين .

ولو أنّ الناس يطبّقون هذه القاعدة لانتهت الحروب في العالم بين الدّول ، فلا فرد يعتدي على فرد ، ولا دولة تعتدي على دولة ، تقول إنّنا نريد أن ندعو إلى الإسلام فنفتح البلدان الأخرى لكي ننشر الإسلام فيها ، فنقول ليس من حقّك أن تعتدي على أحد ، انْشُرِ الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، عن طريق الإقناع لا عن طريق السّيف .

الآن الصّورة الموجودة عند الغرب هي أنّ الإسلام انتشر بحدّ السّيف لأنّ واقع المسلمين كان هكذا ، وهذه الصّورة ليست صورةً صحيحةً لأنّ الإسلام لا يدعو إلى الاعتداء ، فالله تعالى لا يحبّ المعتدين .

وآية : **"إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الـمُعْتَدِينَ"** لم تُنْسَخْ ، وإذا قلنا بأنّ هذه الآية نُسِخَتْ فمعنى ذلك أنّ الله يحبّ المعتدين ، ويستحيل أنّ الله سبحانه يحبّ المعتدين .

المظهر السّابع :

صمود الإسلام أمام الفتن وعدم زواله ممّا يدلّ على قوّته ، الإسلام

حافظ على قوّته خلال ١٤٠٠ سنة تقريبًا ، مع كثرة المكائد من شياطين الإنس من الدّاخل والخارج ، فالمنافقون قاموا بعمل رهيب لأجل حرف الإسلام ، فكثير من الرّوايات موضوعة ، مثلًا تشويه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله بناءً على الرّوايات الموضوعة ، وقد وضعوا آلاف الرّوايات ، ووضع الرّوايات موجود في جميع المذاهب ، حتّى في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يوجد وضّاعون للرّوايات ، حاولوا حرف الإسلام ، وهذه المدرسة كما هو الحال في المدارس الأخرى ، لذلك فإنّ العلماء حينما يريدون أن يحقّقوا في الرّوايات يتناولون رواية رواية ، فيقولون هذه الرّواية صحيحة أو بسند صحيح ، وتلك الرّواية بسند ضعيف ، وهذه الرواية موضوعة ، وتلك الرواية عن مجهول .

وهذا التّحقيق تطلّب جهدًا جبّارًا من العلماء ، وما قام به العلماء من جهود جبّارة في حفظ الدّين لا يمكن أن يُنْسَى ، وكل عالم قام ببذل جهده في مجال تخصّصه ، المتخصّص في الفقه العقائديّ أعطانا كتبًا في تخصّصه ، والمتخصّص في الفقه العمليّ ألّف في هذا التّخصّص ، وكذلك في الفقه الأخلاقيّ ، وفي التّاريخ والتّفسير والفلسفة ، وفي جميع المجالات ، بحيث إنّ الدّين الموجود اليوم بأيدينا دين قام على جهود كثير من العلماء ، بل قام على دماء أهل البيت عليهم السّلام أوّلًا ، وبعد ذلك دماء العلماء ، فوصل إلينا هذا الدّين

الصّافي .

والآن حينما تريد أن تَدْرُسَ الفقه العقائديّ تجد الكتب في هذا التّخصّص ، وتجد كتبًا في الفقه الأخلاقيّ ، وتجد الرّسائل العمليّة في الفقه العمليّ .

ولو نرجع ألف سنة إلى الوراء لما وجدنا كلّ هذه الكتب وفي جميع التّخصّصات ، والمؤمن لم يكن يُظْهِرُ إيمانه ، لأنّه بمجرّد ما يُتَّهَمُ يُقْتَلُ ، فكانوا يُقْتَلُونَ على التّهمة ، إذا كان الجار لا يعجب جاره يذهب إلى السّلطة يتّهمه لكي يُقْتَلَ ، وقد يُسْجَنُ ، ولا يُعْطَى حقوقه من بيت المال ، وَيُمْسَحُ اسمه من ديوان العطاءات .

إنّ هذا الدّين وهذا العلم الّذي وَصَلَنَا كانا نتيجة جهود جبّارة من العلماء ، فالعلماء بنوا ، والعلماء الحاليّون يبنون على ما بنى العلماء السّابقون ، وهذا البنيان يرتفع يومًا بعد يوم .

وإذا أتى شخص وأراد أن يهدم البنيان السّابق ولا يعترف بجهود العلماء السّابقين ، وقال بأنّ العلماء السّابقين لم يفعلوا شيئًا ولم يقوموا بأيّ جهد فأمره مريب ، مثل ما الآن توجد دعوات كثيرة للطّعن في الحوزات العلميّة ، والطّعن في العلماء ، والطّعن في المراجع ، والهدف هو القضاء على الدّين ، وليس الهدف هو شخص العالم وشخص المرجع .

ومن الدّعوات أنّه لا نحتاج إلى التّقليد أي الرّجوع إلى العلماء

المتخصّصين لأخذ أحكام الدّين ، فيمكن لنا أن نرجع إلى القرآن والرّوايات ونستنبط الأحكام الشّرعيّة ، يظنّون أنّ الاستنباط أمر سهل ، فلا يعرف معاني ألفاظ القرآن ، ولا يعرف الرّواية الصّحيحة من غير الصّحيحة ، ويريد أن يستنبط الأحكام بلا أيّ علم عن القرآن والرّوايات .

ومثل هذه الدّعوات تنتشر بين الشّباب ، ونحتاج إلى طرح مواضيع عن التّقليد والرّجوع إلى العلماء لأجل بيان معنى التّقليد ، والنّاس يحتاجون إلى هذه المواضيع ، ويمكنكم مراجعة محاضرات "التّقليد والأعلميّة" الّتي أُلْقِيَتْ في الدّيوانية ، وعدد المحاضرات ثلاث وثلاثون محاضرة أُلْقِيَتْ بين سنة ٢٠١٥ و ٢٠١٧ م ، وأحد الحاضرين قال بأنّه الآن يحسّ بأهمّيّة تلك المحاضرات حينما رأى الإشكالات الّتي تُطْرَحُ من قِبَلِ الشّباب ، وقد أجبنا في تلك المحاضرات على الإشكالات الّتي تُطْرَحُ على التّقليد والأعلمية ، وعلى الشّباب أن يتعلّموا معالم الإسلام لكي يمكنهم ردّ الشّبهات والإشكالات الّتي تُطْرَحُ على الدّين ، مع أنّ الأمر بديهيّ وهو أنّ الجاهل يرجع إلى العالم لأخذ المعلومة ، وهذا موجود في جميع العلوم ، فمن لا يعلم يرجع إلى من يعلم ، فالجاهل في الطّبّ يرجع إلى الطّبيب المتخصّص في أحكام الطّبّ ، وكلّ إنسان يعمل بهذا الأمر البديهيّ ، فحينما يكون مريضًا يذهب إلى الطّبيب ، ولكن حينما

يأتي إلى الدّين يتوقّف ويقول لا نحتاج إلى العالم المتخصّص في أحكام الدّين .

والملاحظ أنّ كلّ شخص يتكلّم في المسائل الدّينيّة ، في الجرائد والمجلّات توجد أعمدة يتكلّم فيها الكاتب في مسألة دينيّة ، وترى امرأة سافرة تتكلّم في الدّين ، وشخص غير ملتزم يتكلّم في الدين ، ولكن إذا تكلّم عالم الدّين في الطّبّ يقال له لا تتكلّم فإنّ هذا ليس تخصّصك .

إن تخصّص العلوم الدّينيّة حاله حال التّخصّص في العلوم الطّبّيّة ، الدّين فيه عالم متخصّص كما أنّ الطّبّ فيه عالم متخصّص ، هذا الشّخص يدرس عدّة سنوات لكي في النّهاية يُطْلَقَ عليه "عالم طبّ" ، كذلك الشّخص الآخر يدرس عدّة سنوات لكي يُطْلَقَ عليه فيما بعد "عالم دين" ، فيدرس مجموعة من العلوم في الحوزة العلميّة حتّى بعد ذلك يمكن له أن يستنبط الأحكام الشّرعيّة من القرآن والسّنّة ، فيدرس أكثر من عشرة علوم لكي يكون عالِمًا في المسائل الدّينيّة ، يدرس العلوم النّقليّة من القرآن والسّنّة ، والعلوم العقليّة من المنطق والفلسفة ، ويبذل جهودًا كبيرةً لتحصيل هذه العلوم ، ويصير مجتهدًا ، ثمّ يصير مرجعًا حينما يكسو لحيته البياض ، والعلماء بذلوا جهودًا جبّارة ليصل إلينا الدّين في زماننا الحاليّ .

ودور العلماء اليوم هو أن يبنوا على ما بناه العلماء السّابقون ، نعم

النّظريّات قد تتغيّر ، فالعالم اللّاحق يُشْكِلُ على رأي العالم السّابق ، ثمّ يأتي عالم آخر وَيُشْكِلُ على رأي العالم اللّاحق ، وهذا موجود بين العلماء ، وقيمة العالم محفوظة ، فمكانة الشّيخ المفيد والشّيخ الطّوسيّ والسّيّد المرتضى مثلًا مكانتهم محفوظة ، ولكنّ العلماء يردّون على آراء بعضهم البعض ، وهذا الأمر مستمرّ إلى يومنا الحاليّ ، فيأتي العالم اليوم وَيُشْكِلُ على آراء العلماء السّابقين ، وهكذا تتطوّر العلوم الدّينيّة ، مثلًا سابقًا كانوا يدرسون في أصول الفقه كتاب معالم الدّين للشّيخ حسن ابن الشّهيد الثّاني رضوان الله عليهما ، وهو في ثلاثمائة وخمسين صفحة تقريبًا ، وبناءً على هذا الكتاب يصير مجتهدًا قادرًا على استنباط الأحكام الشّرعيّة من الأدلّة ، وبعد ذلك جاء الميرزا القُمِيّ رضوان الله عليه وألّف كتاب قوانين الأصول ، والآن من يدخل بحث الخارج يدرس عشرين سنة تقريبًا حتّى يصير مجتهدًا ، والآن كتاب أصول الفقه يقع في عشرة مجلّدات أو أكثر ، فالعلوم الدّينيّة تتطوّر يومًا بعد يوم ، كما تتطوّر العلوم الأخرى كالطّبّ والعلوم الطّبيعيّة .

وعالم الدّين اليوم يبذل جهودًا كثيرةً لكي يصل إلى مرتبة عالية من العلم ، وهو بالإضافة إلى القضايا الدّينيّة لا بدّ أن يطّلع على أوضاع العالم والمشاكل المعاصرة لأنّنا نقول بأنّ الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ أن يطّلع عالم الدّين على ما يوجد في عالمنا المعاصر ، لذلك فالفقيه

يعطي أجوبة للأسئلة في المسائل المُسْتَحْدَثَة .

في القضايا الطّبيّة توجد اكتشافات جديدة يومًا بعد يوم ، مثلًا التّلقيح الصّناعيّ والاستنساخ قد يكونان أقلّ شيء ، ويقال إنّه في كلّ يوم يوجد ٢٠٠ مُكْتَشَف طبّيّ ، طبعًا هذا في الغرب ، وأمّا في بلدان المسلمين فلا يوجد شيء من الاكتشافات ، وللأسف أنّ المسلمين لا يفعلون شيئًا ، والمسلمون منشغلون بالحروب الطّائفيّة والمذهبيّة ، ففكر المسلمين اليوم أنّ كلّ طائفة تريد أن تردّ على الطّوائف الأخرى ، وكلّ مذهب يريد أن يردّ على المذاهب الأخرى ، وبعض القنوات الفضائيّة اليوم مشغولة بهذه الأمور ، قنوات مختصّة في الرّدود على إشكالات المذهب الآخر والطّائفة الأخرى ، والمسلمون بعيدون عمّا يجري في العالم ، وتاركون الأمور للعالَم الّذي يحارب الإسلام ، توجد إشكالات تُطْرَحُ من قِبَلِ الشّرق والغرب على الإسلام ، ولا نردّ على هذه الإشكالات العالميّة ، ويكتفي كلّ فئة بالرّدّ على الفئة الأخرى ، نعم يوجد بعض العلماء ملتفتين إلى هذا الأمر حيث يتابعون ما يجري في العالم من أحداث .

إنّ الفقيه تأتي إليه أسئلة في المسائل المُسْتَحْدَثَة من الشّرق والغرب ، ويجيب عليها ، مثلًا المختصّ في الفقه العقائديّ يجيب على الشّبهات والإشكالات العقائديّة ، والعلماء متنوّعون في التخصّصات المختلفة ، والتّنوّع في التّخصّص مطلوب من علماء الدّين ، والمفروض

أن لا يذهب جميع الطّلبة إلى الفقه والأصول .

إنّ العالم لا يستطيع أن يُحِيطَ بجميع التّخصّصات لأنّ الوقت لا يتّسع ، سابقًا شخص واحد كان يحيط بجميع مسائل الطّبّ كابن سينا ، ولكنّ اليوم ترى طبيبًا مختصًّا بالعين فقط ، وطبيبًا آخر مختصًّا بالأنف والأذن والحنجرة ، وثالثًا مختصًّا بالقلب ، ورابعًا مختصًّا بالمسالك البوليّة ، وهذه نتيجة تشعّب العلم ، وهذا التّشعّب موجود أيضًا في العلوم الدّينيّة ، وبدأ الآن نظام التّخصّص في العلوم الدّينيّة ، فيكون عندنا مجتهد في الفقه العقائديّ ، ومجتهد في الفقه الأخلاقيّ ، ومجتهد في الفقه العمليّ ، ومجتهد في تفسير القرآن ، وهذه هي طبيعة العلوم ، فطبيعة العلوم أنّها كلّما زادت التّشعّبات فيها فلا يمكن لشخص واحد أن يحيط بها كلّها .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٧)

تابع مظاهر عالميّة الإسلام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في مظاهر عالميّة الإسلام ، ذكرنا سبعة مظاهر ، ونأتي إلى المظاهر الأخرى .

المظهر الثّامن :

الإسلام يهتمّ بحفظ الحياة والعِرْض والمال لجميع النّاس ، فكلّ إنسان حياتُه وعِرْضُه ومالُه محترم مهما كان دينه أو لونه أو قوميّته أو جنسه ، بدلالة الآية الكريمة :

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" [١] .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ١٩ربيع الأوّل ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١٢/٨ م .

[١] الإسراء : ٧٠ .

وهذه الآية الكريمة نستدلّ بها على كثير من الأحكام ؛ لأنّها تدلّ على الكرامة الإنسانيّة ، وكلّ ما يتعارض مع الكرامة الإنسانيّة لا يكون مقبولًا ، فالأمر الّذي يكون فيه إهانة وإذلال واستنقاص لأيّ إنسان يكون محرَّمًا ، وهذه الآية الكريمة قد لا تُطْرَحُ ضمن آيات الأحكام الخمسمائة ، ولكن رأينا أنّ هذه الآية الكريمة تدخل في استنباط كثير من الأحكام في الفقه العمليّ في الرّسالة العمليّة ، وكذلك توجد بعض الآيات الّتي لا نراها مطروحة ضمن آيات الأحكام المذكورة في كتب الفقه العمليّ ، ولكن هذه الآيات يمكن الاستدلال بها ، لذلك لا بدّ أن يكون الفقيه مُطَّلِعًا على تفسير القرآن الكريم لا على آيات الأحكام الخمسمائة فقط ، فتوجد بعض الآيات الأخرى يمكن الاستدلال بها على بعض الأحكام ، وآيات الأحكام في الفقه العمليّ خمسمائة آية تقريبًا ، ولكن يمكن إضافة آيات أخرى إلى هذه الآيات الخمسمائة .

وبعض الأحكام قد لا توجد عليها آية معيّنة ، ولكن تُفْهَمُ من روح القرآن ومنهج القرآن ، فالقرآن باتّجاهه العامّ يكون في هذا الاتّجاه ولا يكون في الاتّجاه الآخر ، وهذا الحكم الشّرعيّ يتناسب مع الاتّجاه العام للقرآن ، فمن الممكن أن توجد عندنا أكثر من خمسمائة آية في أحكام الفقه العمليّ ، ويستنبط منها أحكام شرعيّة ، وتوجد كُتُب بعنوان "آيات الأحكام" لمن يريد الاطّلاع عليها ، وعلماء

المسلمين من جميع المذاهب كتبوا في آيات الأحكام .

إنّ حفظ الدّماء والأعراض والأموال لجميع النّاس من أولويّات الإسلام ، وهذا مبدأ عالميّ ، فإذا يوجد دين يدعو إلى حفظ حياة النّاس وأموالهم وأعراضهم فهذا يصلح أن يكون دينًا عالميًّا ، وأمّا الدّين الّذي يدعو إلى قتل جميع من لا يعتقد بهذا الدّين فلا يصلح أن يكون دينًا عالميًّا ، فالدّين العالميّ هو الدّين الّذي يحفظ حقوق جميع النّاس ، وهذا هو الدّين الّذي يكون مقبولًا كدين عالميّ ؛ لأنّه يحفظ حقوق جميع النّاس ، لا أنّه يحفظ حقوق أتباعه فقط ، ويقول بعدم وجود أيّ حقوق لغير أتباعه ، فالدّين العالميّ هو الّذي يكون حافظًا لحياة النّاس وأعراضهم وأموالهم ، وهذا هو الدّين الّذي يقبله جميع النّاس لأنّه يحفظ حقوقهم ، لا أنّ أموال من لا يعتقد بهذا الدّين أموال حلال يجوز أخذها ، فهذا الإنسان كسب هذه الأموال بجهده وعرقه ، فماله محترم ، مثلًا لو حصل حادث سيّارة وَصَدَمْتَ سيّارة شخص بوذيّ فيجب عليك إصلاح سيّارته لا أن تقول إنّه لا يستحقّ شيئًا لأنّه غير مسلم ، فأمواله يجب أن تكون محفوظةً ، ويجب على المسلم إصلاح ممتلكات غير المسلم إذا أصابها ضرر بسببه ، وهذا من حقّه لأنّ ماله محترم ، فأموال من لا يعتقد بالإسلام ليست أموالًا حلالًا للمسلمين ، ولا يجوز أن تُؤْخَذَ بعنوان الاستنقاذ أو غيرها من العناوين ، فأموال غير المسلم محترمة ، وتجب المحافظة

على أمواله ، فليس من حقّ المسلم أخذ أموال غير المسلم بلا وجه حقّ ، ومبدأ حفظ حقوق الإنسان مبدأ عالميّ ينادي به الإسلام .
والآية الكريمة :

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" [١] .

يمكن الاستدلال بها أيضًا على الطّهارة الذّاتيّة لكلّ إنسان مهما كان دينه ، بل وحتّى طهارة الإنسان الّذي لا دين له أو له دين وضعيّ كالإنسان البوذيّ .

المظهر التّاسع :

بعض العبادات في الإسلام تُؤَدَّى بشكل فرديّ ، كالصّلاة الفراديّة والصّيام ، وبعض العبادات تُؤَدَّى بشكل جماعيّ ، كصلاة الجماعة ، والحجّ حيث يجمع المسلمين بمختلف جنسيّاتهم وألوانهم وأعراقهم ، والإسلام يريد أن يذيب الطّائفيّة والقوميّة والطّبقيّة بين النّاس ، ودعوة الإسلام هي أنّه لا طائفيّة ولا قوميّة ولا طبقيّة ، فالنّاس سواسية في واجباتهم وحقوقهم ، وفي صلاة الجماعة في المسجد ترى أبناء بلدك والوافدين من بلدان مختلفة ، وإذا رأيت شخصًا وافدًا من بلد آخر يقف في الصّفّ الأوّل في المسجد فليس من حقّك أن تقول له ارجع إلى الصّفوف الخلفيّة ، ولنفرض أنّه في كلّ الصّفّين الأوّل والثّاني يقف

---

[١] الإسراء : ٧٠ .

أشخاص ليسوا من أبناء البلد ، فليس من حقّ أحد أن يقول لهم لا يحقّ لكم الوقوف في الصّفوف الأولى ونحن أبناء البلد لنا الحقّ في الوقوف في الصّفوف الأولى ، لا من ناحية عمليّة فقط ، بل حتّى من ناحية قلبيّة ، فلا يجوز لك من ناحية أخلاقيّة قلبيّة أن تشعر بالضّيق من وجودهم في الصّفوف الأولى ، ومن يريد منهم أن يرجعوا فمعنى ذلك أنّ فيه حالة الكِبْر .

والكِبْر مرض نفسيّ موجود عند كثير من النّاس ، ولكنّهم لا يشعرون به ، مثلًا حينما يرى في الطّريق سيارة فخمة فإنّه يفسح لها الطّريق ، ولكنّه حينما يرى سيارة مستضعف فلا يفسح لها الطّريق ، وإذا تجازوته يضرب لها البوق ويلحق بها ويحاول مضايقة صاحبها ، ولو كانت سيّارة فخمة فإنّه لا يقوم بهذا العمل ، هذا عنده مرض نفسيّ ، ولا بد أن يراجع نفسه لإصلاحها ، وكثير من النّاس عندهم هذه الأمراض النّفسيّة ، ولكنهم لا يلتفتون إلى أنفسهم ، ويظنّون أنّ الأمر عاديّ ، وهذا بسبب قلّة اطّلاع المسلمين على علم الأخلاق ، واهتمامنا منصبّ على الفقه العمليّ فقط ، وأهملنا الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، والفقه العمليّ لا يبيّن لك القضايا الأخلاقيّة ، ولا بدّ أن يَدْرُسَ المسلم علم الأخلاق ، ويظنّ بأنّ كلّ الدّين موجود في الرّسالة العمليّة فقط ، ولا يوجد اهتمام بدراسة الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ .

إنّ الرّسالة العمليّة قائمة على الفقه الفرديّ ، فينظر الفرد إلى أنّ عمله صحيح أو غير صحيح ، ولا تشير الرّسالة العمليّة إلى من يوجد حول هذا الفرد ، وأنت تسأل دائمًا : ما هو تكليفي ؟ ماذا أفعل ؟

فيأتي لك الجواب ، فالرّسالة العمليّة تخاطب المكلّف الفرد ، فيبدأ بباب التقليد ، ويبيّن له من المرجع الّذي يقلّده المكلّف كفرد ، وفي باب الصّلاة أنت كفرد تنظر إلى أنّ صلاتك صحيحة أو باطلة ، وفي باب صلاة الجماعة أنت كفرد تكون حريصًا على صحّة صلاتك ، ولا تلتفت إلى أنّ صلاة الآخرين الموجودين معك في صلاة الجماعة صلاتهم صحيحة أو باطلة ، مع أنّك في صلاة الجماعة ، فكما تكون حريصًا على أن تكون صلاتك صحيحة فلا بدّ أن تكون حريصًا أيضًا على صحّة صلوات الآخرين ، وهذا الّذي يدخل إلى المسجد متأخِّرًا والنّاس قد انتهوا من صلاة المغرب يتقدّم إلى الصّفّ الأوّل مع أنّه يريد أن يصلّي صلاة المغرب ، وعلى قول بعض الفقهاء هو يصير فاصِلًا بين المصلّين والإمام حينما يقوم من صلاة المغرب للّحاق بالإمام في صلاة العشاء ، وهو ينتهي من صلاته فيقوم إلى الرّكعة الأولى لصلاة العشاء ويكون الإمام في الرّكعة الأخيرة من صلاة العشاء ، فالّذين يقفون بعده تكون صلاة الجماعة باطلة بالنّسبة إليهم إذا كانوا يعلمون بوجوده ، ولكنّه لا يهتمّ ببطلان صلاة الآخرين ، المهمّ أن تكون صلاته صحيحةً ، وهذا ناتج من عدم

معرفته بالمسألة الشرعيّة ، فهو جاهل بأحكام صلاة الجماعة ، ومن يكون جاهلًا بأحكام صلاة الجماعة فالمفروض أن لا يقف في الصّفّ الأوّل ، فالصّفّ الأوّل يكون لمن يعرفون أحكام صلاة الجماعة ، ويعرفون قراءة القرآن حتّى إذا أخطأ الإمام في قراءة آية من القرآن فإنّهم يصحّحون له خطأه .

وأحيانًا تجد في الصّفّ الأوّل بعض الأطفال الصّغار وإن كانوا مُمَيِّزِينَ ، والأب يأتي مع طفله الصّغير ويقف في الصّف الأوّل ، هذه حالة لا مبالاة بمن حوله من المصلّين ، الهدف من صلاة الجماعة أن تهتمّ بالمصلّين الآخرين ، فتحرص على أن تكون صلاتك صحيحةً ، وتحرص أيضًا على أن تكون صلاة الآخرين صحيحةً ، فيوجد عندك اهتمام بمن يصلّي في المسجد معك .

إنّ الهدف من صلاة الجماعة هو التّعارف بين المصلّين ، وتقوية علاقات المسلمين ، لذلك من اللّطيف في المسجد أن تأخذ الإدارة أسماء المصلّين وأرقام هواتفهم ، وتوجد لجنة مشرفة على هذا الأمر ، وإذا أحد المصلّين لم يحضر لعدّة أيام يتمّ الاتصال به للاطمئنان عليه ، فقد يكون مريضًا .

وفي المسجد في كثير من الأحيان لا تعرف أسماء المصلّين ، ولكن تعرفه بكنيته وأنّه أبو فلان ، وهذا الشّخص قد يكون مضى على موته أشهر وأنت لا تعلم ، فتقرأ في الجريدة الاسم وأنت تعرف كنيته

فقط ، فخمسون شخصًا يحملون كنية "أبو محمّد" ، وعشرون شخصًا يحملون كنية "أبو عليّ" ، وثلاثون شخصًا عندهم كنية "أبو حسين" ، فتوجد في المسجد لجنة مشرفة للاطمئنان على روّاد المسجد ، وإذا مرض أحد المصلّين أو تُوُفِّي يضعون صورته الشّخصيّة مع اسمه على لوحة مخصّصة لهذا الأمر ومعلّقة في مدخل المسجد ، فالمسجد هدفه تقوية العلاقات الاجتماعيّة بين المصلّين ، وأمّا الآن فالمسلم يدخل إلى المسجد يصلّي جماعةً ولا يعرف من على يمينه ومن على يساره ، فيصلّي ويخرج من المسجد بدون أن يتعارف مع الآخرين ، والمطلوب أن يصلّي وينتهي من صلاته ويسبّح تسبيح الزّهراء عليها السّلام ويسجد سجدة الشّكر ثمّ يسلّم على من يوجد على يمينه ويساره ، ويسأل عن اسمه لا كنيته فقط ، وهكذا يتمّ التّعارف بينهم ، وفي كلّ صلاة يتعرّف على شخصين ، وتدريجيًّا يتعرّف على جميع المصلّين ، وبهذه الطّريقة قد تتكوّن علاقات صداقة قويّة بين المصلّين ، وأما إذا كان يصلّي ولا ينظر إلى من حوله ويخرج ويذهب إلى البيت فلا يحقّق الهدف من وجوده في المسجد .

إذن صلاة الجماعة لها هدف وغاية ، واعتمادًا على الرّسالة العمليّة أنت تدخل إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة ويكون هدفك هو صحّة صلاتك أنت فقط ، ولا تهتمّ بصحّة صلاة الآخرين ، ومع أنّه يُكْرَهُ رفع الصّوت أثناء صلاة الجماعة ، ولكن مع وجود هذه المسألة

الفقهيّة نجد أنّ بعض المصلّين يرفعون أصواتهم أثناء الصّلاة وَيُشَوِّشُونَ على من حولهم من المصلِّين ، ومن المهمّ أنّ صلاة الجماعة تكون صلاة جماعة حقيقيّة لا صلاة فرادى بصورة الجماعة ، فالرّسالة العمليّة بشكل عامّ مبنيّة على العمل الفرديّ ، ولكن لا بدّ أن ننظر إلى الفقه الاجتماعيّ والفقه السّياسيّ والفقه الاقتصاديّ وفقه العلاقات الدّوليّة بين الدّول ، ونحتاج إلى فقه القوانين الّتي تحكم علاقة الدّول بين بعضها البعض ، فالنّواحي الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة تدخل كعوامل في الأحكام الشّرعيّة ، وقد تتغيّر بعض الأحكام الشّرعيّة بناءً على تغيّر العوامل الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة ، لا فقط الأحكام الّتي تتعلّق بالمكلّف كفرد ، وإنّما المكلّف ضمن مجموع الأفراد ، المكلّف يعيش مع النّاس ، فلا بدّ أن يكون عنده اهتمام بالأحكام الاجتماعيّة ، وبعض القضايا الاجتماعيّة تؤثّر في الأحكام الشّرعيّة ، وبعض القضايا السّياسيّة لها تأثير في الأحكام الشّرعيّة ، وتوجد قضايا اقتصاديّة تؤثّر في الأحكام الشّرعيّة ، فالظّروف الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة لها تأثير على الأحكام الشّرعيّة .

مثال ١ :

قاعدة الضّرر ، ما هو الضّرر المقصود في هذه القاعدة ؟

يقال : أيّها المكلّف ، إنّ هذا العمل إذا كان فيه ضرر عليك فإنّه

يحرم عليك ، فالنّظر هنا يكون إلى الضّرر الفرديّ الّذي يقع على المكلّف ، ولكن الضّرر على الدّين هل يُؤْخَذُ كعامل أو لا ؟

بمعنى أنّه إذا قام المكلّف بعمل معيّن فيقع ضرر على الدّين أمام العالَم ، وعنوانه "تشويه الدّين" ، فيقال بأنّ هذا العنوان غير موجود ضمن العناوين الشّرعيّة ، فنجيب بأنّه يوجد هذا العنوان ، ولكن بألفاظ أخرى ، وهو "الضّرر على الدّين" ، فإذا كان الضّرر يقع على الدّين فهل نهتمّ به كاهتمامنا بالضّرر الواقع على الفرد أو لا نهتمّ بذلك ؟

عمل قد تقوم به ولا يقع فيه الضّرر على المكلّف كفرد ، ولكن فيه ضرر على الدّين ، ويُشَوِّهُ الدّين ، فإذا أخذنا الضّرر على الدّين كعامل فإنّ هذا العمل حتّى لو كان مباحًا بالنّسبة للفرد يكون حكمه الحرمة بعنوان آخر ، فيكون له حكم آخر ؛ لأنّه يقع التّزاحم بين عنوانين : الإباحة بالنّسبة للفرد والحرمة بالنّسبة للدّين ، وهنا تقدّم الحرمة على الإباحة ؛ لأنّ رفع تشويه الدّين أهمّ من قيام الفرد بهذا العمل المباح ، وحتّى لو كان العمل مستحبًّا بالنّسبة للفرد فإنّ الحرمة تكون مقدَّمة لنفس السّبب ، فعنوان "الضّرر على الدّين" يعطينا حكمًا آخر سواء كان العمل مباحًا أم مستحبًّا بالنّسبة إلى الفرد .

الضّرر الاجتماعيّ والضّرر الاقتصاديّ والضّرر السّياسيّ هل تُؤْخَذُ

كعوامل في الحكم الشّرعيّ أو لا ؟

قد يقوم المكلّف بعمل مباح ، ولكن يضرّ النّاس من ناحية اجتماعيّة أو من ناحية اقتصاديّة أو من ناحية سياسيّة ، فهنا بعنوان الضّرر الاجتماعيّ أو الضّرر الاقتصاديّ أو الضّرر السّياسيّ يتغيّر الحكم إلى الحرمة حتّى لو كان العمل مباحًا بالنّسبة للفرد .

إذن :

في الضّرر لا ننظر إلى الضّرر الفرديّ فقط ، وإنّما ننظر إلى الضّرر على الدّين والضّرر الاجتماعيّ والضّرر الاقتصاديّ والضّرر السّياسيّ وأي أضرار أخرى ، فيتغيّر الحكم من الإباحة والاستحباب بالنّسبة للفرد إلى الحكم بالحرمة بهذه العناوين ، فيقع الضّرر على المسلمين من ناحية اجتماعيّة أو اقتصاديّة أو سياسيّة أو غيرها ، فيحرم على المكلّف الفرد القيام بهذا العمل .

مثال ٢ :

إذا قلنا بأنّ الاحتكار محرّم في الزّبيب والتّمر والقمح والشعير فقط ، وكان عندك مادّة غذائيّة أخرى ، فهل يحرم احتكارها أو لا ؟

مثلًا تاجر عنده الأَرُزّ والبلد الّذي يعيش فيه يعتمد في قوته على هذه المادّة الغذائيّة ، فإذا قلنا بأنّه يحرم الاحتكار في الموادّ الأربعة السابقة فقط فمعنى ذلك أنّه يجوز لهذا التّاجر احتكار الأرزّ ، وإذا كان يوجد بلد يعتمد على اللّحم ويوجد تاجر عنده خراف فيحتكر

وينتظر ارتفاع الأسعار ، وبعد ذلك يبيع ، واللّحم ليس ضمن الأصناف الأربعة ، فمعنى ذلك أنّه يجوز احتكار اللحم ، وبلد فيه سيّارات ويحتاجون إلى البنزين ويوجد مالك لشركة نفط ، والبنزين ليس ضمن الأصناف الأربعة فيجوز له احتكار البنزين ، وبلد يعتمد في طعامه على الأسماك وتوجد شركة وحيدة هي المسيطرة على البحر ، فيحتكر أصحابها الأسماك ولا يبيعونها إلى حين ارتفاع الأسعار ، فيجوز له احتكار الأسماك ، والسّوق قائم على العرض والطلب ، فإذا عُرِضَتْ بضاعة كثيرة من نفس النّوع تنزل الأسعار ، وإذا عُرِضَتْ بضاعة قليلة فالأسعار تصعد ، والآن النّفط يعتبر مادّة أساسيّة للمصانع وللحركة الاقتصاديّة ، ومالك شركة النفط يقول بأنّه حرّ ولا يريد أن يبيع النّفط ، وبقيّة الشّركات لا تبيع أيضًا ، فإذا قلنا بأنّ الاحتكار محرَّم في المواد الأربعة فقط فمعنى ذلك أنّه يجوز احتكار أيّ مادّة غذائيّة أو غير غذائيّة يحتاجها الناس ، فيقع الضّرر على النّاس مع حاجتهم الماسّة لها ، ويقع الضّرر أيضًا على اقتصاد البلد ، وقد يتسبّب الاحتكار في موت كثير من النّاس ، مثلًا في البلدان الباردة جدًّا يحتاجون إلى الكيروسين أو الغاز ، والشركة تحتكرهما ، وهذا قد يسبّب وفاة بعض النّاس ، فإذا قلنا باحتكار الموادّ الأربعة فقط فيجوز الاحتكار في الكيروسين والغاز حتّى لو كان يؤدّي إلى موت النّاس ، ولكن بعنوان "الضّرر على النّاس" أو "الضّرر على

اقتصاد البلد" فإنّه يحرم احتكار أيّ مادة يؤدّي إلى هذه الأضرار ، وإذا وسّعنا حرمة الاحتكار إلى كلّ مادّة يحتاجها النّاس سواء كانت من الموادّ الغذائيّة أم غير الغذائيّة فإنّ هذا الحكم يتناسب مع عالميّة الإسلام ، والموادّ الأربعة المذكورة سابقًا كانت موجودةً في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وكان يحتاجها النّاس ، ومع تغيّر الظروف يتغيّر الحكم إلى مصاديق أخرى .

بناءً على عدم دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام نقول بحرمة الاحتكار في الموادّ الأربعة – الزّبيب والتّمر والقمح والشّعير – فقط ، وبناءً على دخالة الزّمان والمكان في الأحكام تتوسّع دائرة حرمة الاحتكار إلى الموادّ الّتي يحتاجها النّاس في كلّ بلد بلد ، في هذا البلد يحتاج النّاس الأرزّ فيحرم احتكار الأرزّ ، وفي البلد الثّاني يعتمدون على القمح فيحرم احتكار القمح ، وفي البلد الثّالث يعتمدون على الأخشاب في الطّبخ فيحرم احتكار الأخشاب ، فنرى في كلّ زمان وكل مكان الموادّ الّتي يحتاجها النّاس ، فحرمة الاحتكار تكون في جميع الموادّ الّتي يحتاجها النّاس في البلد الّذي يعيشون فيه ، فدائرة حرمة الاحتكار تتوسّع إلى كلّ ما يحتاجه النّاس سواء كان طعامًا أم غير طعام ، فصار العنوان هو "حاجة النّاس" ، وفي زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله كانت حاجة النّاس إلى هذه المصاديق ، والمفهوم والعنوان واحد وهو "ما يحتاجه النّاس" ، ولكنّ المصاديق

تتغيّر بحسب الزّمان وحسب المكان ، وقد نكون في نفس المكان ، والآن يحتاج النّاس إلى الأرزّ ، فيحرم احتكار الأرزّ ، وبعد عشرين سنة قد تصير حاجتهم في القمح ، فيحرم احتكار القمح ، فالمصاديق تتغيّر في مكان واحد ، ولكن في زمانين مختلفين ، فيكون الحكم الشّرعيّ هو حرمة احتكار ما يحتاجه النّاس في كلّ بلد ، والمصاديق تتغيّر من بلد إلى بلد ، ومن زمان إلى زمان ، والشّخص الياباني إذا قيل له : يحرم احتكار الزّبيب والتّمر والشّعير والقمح سيسأل : ما هو الزّبيب ؟ ، بل بعض المسلمين يسألون : ما هو الزّبيب ؟

ولو أنّ هذا الشّخص الياباني أسلم ، ويقول : في اليابان نحن نعتمد على الأسماك فهل يجوز احتكار السّمك ؟

فإذا قيل له بأنّ الحكم هو أنّه ليس ضمن حرمة الاحتكار ، وإذا عنده شركة أسماك فيقول : أحتكر السّمك وأنتظر صعود الأسعار ، وبعد ذلك أبيع ، فأيّ الحكمين يتناسب مع عالميّة الإسلام : حرمة احتكار الموادّ الأربعة فقط أو حرمة احتكار كلّ ما يحتاجه النّاس ؟

ما يتناسب مع عالميّة الإسلام هو عنوان "ما يحتاجه النّاس" ، والحكم هو حرمة احتكار ما يحتاج النّاس من الطّعام وغير الطّعام ، وما يتناسب مع عالميّة الإسلام هو دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام ، وسنأتي إلى موضوع تفصيليّ عن نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام مع ذكر الأدلّة الّتي تدلّ على هذه النّظريّة .

مثلًا من الأدلّة قوله تعالى :

"الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" [١] .

وهذا دالّ على دخالة الظّروف الزّمانيّة في الحكم ، كانوا أقوياء والآن هم ضعفاء فالله خفّف عنهم ، كان الواحد بعشرة أشخاص ، والآن صار الواحد في مقابل شخصين ، فخفّف الله عنهم لأنّ فيهم ضعفًا ، وهذا معناه تغيّر الظّروف ، ومع تغيّر الظّروف يتغيّر الحكم .

وتوجد أيضًا بعض الرّوايات الّتي فيها بما معناه أنّ هذا الزمان غير ذاك الزمان ، وسأذكر لكم في الموضوع التّفصيليّ بعض الأمثلة الّتي نحتاجها في زماننا الحاليّ .

رُوِيَ عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "إنّ العتق في بعض الزّمان أفضل ، وفي بعض الزّمان الصّدقة أفضل ، فإذا كان النّاس حسنة حالهم فالعتق أفضل ، وإن كانوا شديدة حالهم فالصّدقة أفضل . . . " [٢] .

نلاحظ في هذه الرّواية أنّ العمل الأفضل يختلف باختلاف الظّروف الزمانيّة في المكان الواحد .

---

[١] الأنفال : ٦٦ .

[٢] وسائل الشّيعة للشّيخ الحرّ العامليّ ج١٦ ص٣١ باب٢٧ ح١ .

إذن :

أخذنا مثال الضّرر وأنّه لا يُنْظَرُ إلى الضّرر الفرديّ فقط ، وإنّما يُنْظَرُ أيضًا إلى الضّرر على الدّين ، والضّرر على النّاس ، والضّرر من ناحية سياسيّة ، ومن ناحية اقتصاديّة ، ومن ناحية اجتماعيّة ، وكلّ هذا يقع تحت عنوان "الضّرر" ، فدائرة الضّرر تتوسّع ، وأخذنا أيضًا مثال حرمة الاحتكار وأنّه هل نقتصر على هذه المصاديق المعيّنة المذكورة من الزّبيب والتّمر والقمح والشعير أو أنّ المصاديق تتغيّر مع تغيّر الظروف الزّمانيّة والمكانيّة .

المظهر العاشر :

وجود العبادات الماليّة في الإسلام كالزّكاة حيث يحسّ الغنيّ بأخيه الفقير ، هذه العبادات الماليّة لها جوانب اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة ، والمفروض أنّ الاقتصاد الإسلاميّ هو أقوى اقتصاد على وجه الأرض ، ولكنّ واقع المسلمين اليوم ليس هكذا ، المفروض أن لا يوجد فقير في المجتمع الإسلاميّ بل لا يوجد فقير في المجتمع الإنسانيّ ، أي لا يظلّ فقير على وجه الأرض ، فتنتشر وجوه البِرّ وأعمال الخير ، وهذه من مبادئ الإسلام الأساسيّة ، وهو مبدأ إنسانيّ عالميّ ، فيوجد عنوان "قضاء حوائج المحتاجين" مهما كان دينه أو مذهبه في أيّ مكان في العالم .

الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشّريف حينما يظهر يريد أن ينشر

العدل في العالم لأنّ الدّين الإسلاميّ دين عالميّ ، والآن الشّيعي يقول : أنا مسؤول عن الشّيعة فقط ، والسّنّيّ يقول : أنا مسؤول عن السّنّة فقط ، وكل مذهب يقول : أنا مسؤول عن أتباعي فقط .

لا بدّ أن يشعر المسلمون بمسؤوليّة عالميّة تجاه الفقراء بحيث يكونون مسؤولين عن كلّ فقير في العالم ، أوّلًا هذا الشعور لا بدّ أن يكون عند جميع المسلمين ، ولا بدّ أن نسعى في قضاء حوائج المحتاجين بالمقدار الممكن ، بحيث يوجد عندك مبلغ شهريّ تقضي به حوائج المحتاجين ، ولا نسمّيهم محتاجين بل نسمّيهم مستحقّين ، هو مستحقّ لا محتاج ، له حقّ علينا ، إذا كان الإنسان غنيًّا فيوجد للفقير حقّ في أموال هذا الغنيّ ، وما دام أنّ له حقًّا فهو مستحقّ .

روي عن أبان بن تغلب قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام : "أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه ومنع من منع من هوان به عليه ؟ ، لا ، ولكنّ المال مال الله يضعه عند الرّجل ودايع ، وجوّز لهم أن يأكلوا قَصْدًا ، ويشربوا قَصْدًا ، ويلبسوا قَصْدًا ، وينكحوا قَصْدًا ، ويركبوا قَصْدًا ، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين ، ويلمّوا به شعثهم ، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالًا ، ويشرب حلالًا ، ويركب حلالًا ، وينكح حلالًا ، ومن عدا ذلك كان عليه حرامًا . ثم قال : "**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**" ، أترى الله ائْتَمَنَ رجلًا على مال خَوَّلَ له أن يشتري فَرَسًا بعشرة آلاف درهم ويجزيه

فَرَسٌ بعشرين درهمًا . . . ؟" [١] .

قوله عليه السّلام : "أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه ومنع من منع من هوان به عليه ؟" ، الإنسان الغنيّ يقول : إنّ الله أكرمني فجعلني غنيًّا ، فأنا مُكَرَّمٌ عند الله ، لذلك أعطاني ، وذاك فقير لأنّ الله لم يُكَرِّمْهُ .

إنّ الغنيّ يأتي في ذهنه هذا الخاطر ، ولكنّ الإمام عليه السّلام يجيب بِأَنْ ليس هذا هو المقياس ، والإمام عليه السّلام يبيّن المقياس وهو أنّ المال مال الله ، والنّاس اليوم يتعاملون مع الأموال على أنّها أموالهم ، والإنسان يقول : مالي وفلوسي ، معاشي الشّهريّ أنا اكتسبته بعرقي وجهدي .

إنّ المال مال الله ، وقد وضعه الله أمانةً بأيدي الناس ، فإذا كانت الأموال أمانات فإنّ صاحب المال هو الّذي يحدّد مصارف هذا المال ، يعني أنّ الله يحدّد لكل إنسان المصارفَ ، لا أنّ الإنسان بمزاجه يصرف ويشتري ما يريد ، بل يأكل بمقدار حاجته ، الحاجة الطبيعيّة لا الحاجة الاصطناعيّة ، شخص يشعر بالشّبع ، ولكن مع ذلك يستمرّ بالأكل ، والدّهون الزّائدة في الجسم تنشأ من كثرة الأكل ، وشعوبنا مميَّزة بالكروش والوجاهة ، والآن ترى أطفالًا صغارًا

---

[١] تفسير العيّاشيّ ج٢ ص١٣ ح٢٣ .

لهم كروش كبيرة ، وقبل خمسين سنة في المدارس كنّا نرى شخصًا أو شخصين سمان ، وباقي الطّلبة نحاف ، والآن في المدارس بالعكس ، ترى شخصًا أو شخصين نحاف ، والباقي سمان ، وجيل اليوم من الأطفال تَصَوَّرْهُمْ بعد ثلاثين سنة ، سترى جيلًا من المرضى بالسّكريّ والقلب والضّغط ، هذه الأمراض النّاتجة من كثرة الأكل ، والقاعدة القرآنية تقول :

"وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" [١] .

إنّ المشكلة ناتجة من كثرة الأموال بأيدينا ، ولا نعرف كيف نصرفها ، فالأكل والشّرب واللّباس والسّيّارة والزّواج يكون بالقصد وعدم الإسراف ، ومصاريف الزّواج لا تكون على حسب مزاجك ، فتجعل المهر عشرة آلاف دينار ، والزّواج يُشْتَرَطُ فيه القصد وعدم الإسراف كما في الطّعام والشّراب والحاجات الأخرى ، والمال مال الله تعالى ، وأنت تضع المال كما يريد صاحب المال ، ويوجد حكم استحباب مهر السّنّة أي سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ونرى عددًا قليلًا جدًّا من المسلمين يلتزمون بمهر السّنّة ، وكثير من المسلمين يرفضون سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله عمليًّا .

وفي الرّواية السّابقة : "ويعود بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين

---

[١] الأعراف : ٣١ .

وَيَلُمُّوا به شَعَثَهُمْ ، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالًا ، ويشرب حلالًا ، ويركب حلالًا ، وينكح حلالًا ، ومن عدا ذلك كان عليه حرامًا" ، إذا كان يأكل قصدًا أي على حسب حاجته فحتمًا يزيد المال عنده ، فالمعاش الشّهريّ يكفيه ، لا مثل الآن الزّوج والزّوجة يعملان ولا يبقى من أموالهما شيء في منتصف الشّهر ، عشر سنوات أو عشرون سنة يعملون ولا يوجد عندهم شيء في البنك ، تطلب قرضًا ألف دينار من شخص فيقول لك : لا يوجد عندي شيء في البنك ، مع أنّه عدة سنوات وهو يعمل ، فنتساءل : هذه الأموال أين ذهبت ؟!

وهذا المال الزّائد يرجع به على الفقراء يقضي به حوائجهم ، وإذا صرف على مأكله وسيّارته وزواجه أكثر من حاجته كان الزّائد حرامًا عليه لأنّه يكون قد أَسْرَفَ ، والرّواية صريحة بكلمتي "الحلال والحرام" ، والإمام عليه السّلام استشهد بالآية الكريمة : "**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**" ، فالله لا يحبّ المسرفين .

ثم قال الإمام عليه السّلام : "أترى الله ائتمن رجلًا على مال خوّل له أن يشتري فرسًا بعشرة آلاف درهم ويجزيه فرس بعشرين درهمًا . . . ؟" .

الفرس في ذاك الزّمان ، والمقصود وسيلة النقل ، وفي زماننا هي السّيّارة ، مثلًا تكفيه سيّارة بستّة آلاف دينار على حسب حاجته ،

فيشتري سيّارة بثلاثين ألف دينار ، فيكون قد أسرف بأربعة وعشرين ألف دينار ، وإذا كان إسرافًا فهو محرّم عليه ، وفيه وجوب الخمس ، وهذه الزّيادة حرام عليه ، ويجب عليه الرّجوع بالمبلغ الزّائد على الفقراء .

هذه الرّواية تبيّن للمسلم كيفيّة التّعامل مع الأموال الّتي بيده ، فمقدار منه حلال عليه ، ومقدار آخر حرام عليه ، ولو أنّ كلّ إنسان في العالم يأخذ حاجته فقط ويرجع بالباقي على الفقراء لما رأينا فقيرًا على الأرض ، إنّ **"مقدار ما يحتاجه الإنسان يصرفه"** هذا مبدأ عالميّ لا أنّه مبدأ إسلاميّ فقط ، فالدّعوة دعوة عالميّة إلى جميع النّاس ، خذ من مالك ما تحتاج إليه وارجع بالباقي على الفقراء في بلدك أوّلًا ثمّ انتقل إلى البلدان الأخرى ، وإذا كان كلّ شخص يقضي حوائج المحتاجين في بلده فلا يظلّ إنسان محتاج في العالم .

تعلمون أنّه توجد لجنة تحت عنوان **"أطبّاء بلا حدود"** ، إذا في أيّ دولة تقع مشاكل صحّيّة توجد مجموعة من الأطبّاء المتطوّعين يذهبون إلى هذه البلدان للمساهمة في علاج المرضى مجّانًا .

والمسلمون يمكنهم أن يؤسّسوا لجانًا تحت عنوان **"رحماء بلا حدود"** ، هدف هذه اللجان أنّه في أيّ مكان في العالم تحدث فيها كوارث طبيعيّة كالزّلازل والبراكين والفيضانات والأمراض ينقلون المساعدات المجّانيّة إليها وإلى أيّ منطقة في العالم يحتاجون المساعدات

الإنسانيّة ، ويساعدون النّاس من أيّ دين وأيّ قوميّة كانوا ، وَيُشْتَرَطُ أن لا تكون لهذه اللجان أهداف سياسيّة ولا أهداف دينيّة ولا أهداف مذهبيّة ، يعملون خالصًا لوجه الله تعالى ، وليس لهم أيّ هدف آخر ، وليس وراءهم دولة ، وليس لهم أهداف مذهبيّة ويريدون أن يدعوا النّاس إلى أهداف مذهبيّة ، هدفهم إسلاميّ بحت ، وبذلك يظهر وجه الإسلام الحقيقيّ الّذي أساسه الرّحمة بجميع النّاس ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله نبيّ الرّحمة ، والمسلمون هم مسلمو الرّحمة ، وأعتقد أنّ بعض شركات الطّيران مستعدّة لنقل هذه اللّجان إلى المناطق المنكوبة بلا مقابل ، ولا ننظر إلى نيّة مسؤولي هذه الشّركات ، هل هي بسبب الرّحمة أو الدّعاية ، فهذا راجع لهم ، وَيُشْتَرَطُ أنّ من يتبرّع لهذه اللّجان لا يكون له هدف سياسيّ ولا هدف مذهبيّ ، فقط العمل لله تعالى ومن أجل الإسلام ، وحينما يذهبون إلى المناطق المنكوبة لا ينشرون الكتيّبات والمنشورات ، فعملهم يكفي ، فهم ملائكة الرّحمة ، وعملهم يكون في مقابل السّمعة السّيّئة الموجودة اليوم للإسلام ، فالإسلام اليوم مطروح أنّه وجه آخر للإرهاب ، وهذه اللّجان تنقل صورة أخرى ، والصّورة هي **"إسلام الرّحمة"** ، بحيث إنّ سكّان العالم يعرفون أنّ هناك من المسلمين **"رحماء بلا حدود"** ، وهذه دعوة إلى جميع المسلمين لتشكيل مثل هذه اللّجان بشرط عدم وجود أهداف سياسيّة ولا أهداف مذهبيّة ، حتّى لو كانوا

من الشّيعة ، لا هدف سياسيّ ولا هدف مذهبيّ ، لله فقط وفقط ، للإسلام فقط وفقط ، وسوف نرى تغيّر نظرة العالم إلى الإسلام ، بمجرّد ما توجد منطقة منكوبة يعرفون أنّ هناك لجانًا يطلق عليها **"رحماء بلا حدود"** سيأتون لإغاثتهم ، وحتمًا سيحصلون على تبرّعات كثيرة من جهات مختلفة مسلمة وغير مسلمة لأنّهم بلا أهداف سياسيّة ولا أهداف دينيّة ، وحتّى غير المسلمين يتبرّعون لأنّ هدفهم إنسانيّ خالص ، فالعمل للإنسانيّة ، فيصيرون **"رحماء الإنسانيّة"** ، وهذه دعوة لجميع المسلمين ، وهي دعوة عالميّة .

ونحاول دائمًا في مواضيعنا أن نطرح القضايا العالميّة للإسلام ، والمبادئ العالميّة في الإسلام ، وكم من المبادئ الإسلاميّة العالميّة بيّنّاها من بداية هذه المحاضرات ، نقول إنّ هذا مبدأ عالميّ ، والآن هذا العمل عمل عالميّ ، ويمكن لجميع المسلمين بمختلف مذاهبهم أن يشتركوا في هذا العمل ، بشرط أنّ كلّ مذهب يعترف بالمذهب الآخر لا أن يُكَفِّرَهُ ، إذا كان يكفّره فلا يمكن أن يشتركوا معًا في لجان عاملة ، ويمكن التّعاون بين المذاهب الّتي لا تكفّر بعضها البعض ، وكما قلنا فإنّ الهدف هو الله والإسلام فقط ، وسنرى كيف أنّ الإسلام ينتشر في العالم بشكل طبيعيّ ؛ لأنّها تحمل عنوان الرّحمة وتعمل بمبدأ الرّحمة ، فَيُعْرَفُ الإسلام بإسلام الرّحمة بدل إسلام الإرهاب ، والنّاس سيتأثّرون ، فاعمل بصمت ، وتدعو إلى الإسلام

وأنت صامت .

رُوِيَ عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "كونوا دعاةً للنّاس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصّدق والورع" [١] .

وعنه عليه السّلام : "كونوا لنا دعاةً صامتين" . قالوا : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ قال : "تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله ، وتنتهون عمّا نهيناكم عنه ومعاصيه ، فإذا رأى النّاس ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا ، فسارعوا إليه" [٢] .

وهذا نوع من العمل بلا كلام ، عمل فقط من غير النّطق بأيّ كلمة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[١] الكافي للشّيخ الكلينيّ ج٢ ص١٠٥ ح١٠ .

[٢] شرح الأخبار للقاضي النّعمان المغربيّ ج٣ ص٥٠٦ ح١٤٥٢ .

عالميّة الإسلام

(٨)

تابع مظاهر عالميّة الإسلام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

موضوع "عالميّة الإسلام" من المواضيع المهمّة جدًّا ، نحن الآن في هذا الزّمان نعيش تحدّيًا ، تلاحظون دائمًا أنّ الأفكار والفلسفات الغربيّة تنتشر في جميع أرجاء العالم ، ولكن نظريّات علماء المسلمين لا تنتشر وإن كانت نظريات عالميّة ، ونرى أنّ النّظريّات الّتي يطرحها العلماء المسلمون لا تنتشر حتّى في البلد الّذي يسكن فيه العالم ، طبعًا يوجد تقصير من المسلمين بشكل عامّ ، المسلمون لا يشعرون بأهمّيّة طرح الإسلام على أنّه دين عالميّ ؛ لأنّ المسلمين أنفسهم لا يتعاملون عمليًّا على أساس أنّ الإسلام دين عالميّ وإن كانوا يعتقدون نظريًّا بأنّ الإسلام عالميّ .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ٢٦ ربيع الأوّل ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١٢/١٥ م .

نقول بأنّ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه سيظهر وتكون له دولة عالميّة ، ما هي النّظريّات العالميّة الّتي سيبيّنها الإمام عجّل الله فرجه ؟

بشكل عامّ لا يوجد عندنا تصوّر عن ذلك ، كلامنا أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان – هذا يحتاج إلى إثبات ، وإذا نطرح أنّ الإسلام دين عالميّ ونبيّن مع النّظريّات القادرة على حلّ مشاكل البشريّة فإنّ هذا الإسلام يكون مقبولًا قبل ظهور الإمام عجّل الله فرجه ، وهكذا يكون التّمهيد لظهوره عليه السّلام ، وأمّا على وضعنا الحاليّ فكلامنا مجرّد ادّعاءات بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، أين المؤلّفات والكتب الّتي تبيّن صلاحية الإسلام لكلّ زمان ومكان ؟

ابحث في الإنترنت عن موضوع عالميّة الإسلام ، كلّ ما يطرح هو عبارة عن الآيات القرآنيّة الّتي فيها كلمة "**العَالَمِينَ**" ، "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**" ، وغيرها من الآيات ، ولا يوجد أكثر من هذا ، أين الأطروحات والنّظريّات الّتي تحلّ مشاكل البشريّة ؟

لنأخذ أيّ مشكلة في العالم ، لا بدّ أن نبيّن النّظريّة الإسلاميّة لحلّ هذه المشكلة ، والآن لا توجد عندنا حلول لهذه المشاكل ، الآن البشريّة تعاني مشاكل عقائديّة ، ومشاكل فكريّة ، أين العقائد العالميّة الّتي يتبنّاها المسلمون ؟

إذا طَرَحَ الإسلام أمرًا عقائديًّا فلا بدّ أنّ البشريّة تتقبّله لأنّ هذه العقيدة تتناسب مع عقل الإنسان ، والمفروض أنّ الإسلام بأطروحاته

حينما يسمعها أيّ إنسان فإنّه يكون مقبولًا عنده لأنّ المفروض أنّها تتناسب مع إنسانيّة الإنسان ، والآن التّفاعل مع موضوع "عالميّة الإسلام" تفاعل ضعيف مع أنّه موضوع مهمّ ، فلماذا لا يتفاعل المسلمون مع مثل هذه المواضيع المهمّة ؟

يوجد خلل ما ، أنت كإنسان مسلم تدّعي أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، ولكن لا يوجد عندك تصوّر عن ما تدّعيه ، فإذا لا يوجد تصوّر عن الموضوع فكيف يمكن أن تدّعي عالميّة الإسلام وأنت لا يوجد عندك دليل إلّا بعض الآيات القرآنيّة ؟!

والطّرف المقابل يقول : إنّك تدّعي بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان والقرآن أنت تعتقد بصحّته ، وأنا أعتقد بأن محمّدًا هو الّذي كتبه .

الآن في زماننا الحاليّ تعاني البشريّة مشاكل عالميّة ، مثلًا ما هي نظريّة العَوْلَمَة ؟

من خلال العولمة يحاولون السّيطرة على العالم ، والسّيطرة على العالم معناها السّيطرة عليكم أنتم أيّها المسلمون ، اسأل المسلمين عن معنى العولمة ، كم مسلم يمكنه الإجابة على هذا السّؤال مع أنّ المسلمين مقصودون بهذه النّظريّة ؟

نريد أن نطرح عالميّة الإسلام في مقابل العولمة ، ما هي النّظريّة الإسلاميّة في مقابل العولمة ؟

لا يوجد تصوّر عند المسلمين لا عن العولمة ولا عن عالميّة الإسلام .

أوّلًا لا يوجد عند المسلمين بشكل عامّ اهتمام بمثل هذه المواضيع ، المهمّ أن نصلّي ونصوم ونحجّ ، عندهم اهتمام بهذا المقدار فقط ، وأكثر من هذا المقدار لا يوجد بين المسلمين ، فيظنّون أنّه يكفي أن نصلّي ونصوم ، والشّيعيّ يقول بأنّه يكفي أن تكون عندي ولاية أهل البيت عليهم السّلام وأدخل الجنة ، مع أنّ الولاية لها لوازم تترتّب عليها ، ولو سألنا ما معنى الولاية ؟ وما هي صفات الموالي ؟

لا يعرف ذلك ، ولا توجد عنده معلومات عنها .

في هذه المحاضرات نحاول أن نبيّن أنّ الإسلام قادر على حلّ مشاكل البشريّة وأنّه صالح لكل زمان ومكان .

نحن الآن في مقدّمات الموضوع ، لم ندخل إلى الآن في صُلْبِ الموضوع ، ونعطي نقاطًا سريعةً ، البعض يقول بأنّ عنوان "مظاهر عالميّة الإسلام" يتكرّر عدّة أسابيع ، ويظن بأنّه تكرار ، فلا يحضر للاستماع إلى المحاضرات ، هو ليس تكرارًا ، في كلّ محاضرة نطرح نقطة أو نقطتين أو ثلاث بشكل مختصر ، ثمّ ننتقل إلى نقطة أخرى بلا تفصيل ، والتّفاصيل ستأتي بعد ذلك ، الآن هدفنا بيان نقاط البحث بشكل سريع ، وليس تكرارًا للنّقاط المطروحة في المحاضرات السّابقة ، والّذي يحضر يستفيد بعض النّقاط في هذا الأسبوع ، وفي

الأسبوع التّالي يستفيد نقطتين أخريين .

البعض يسأل : مَنْ مِنَ العلماء يؤيّد هذه الفكرة أو تلك الفكرة ؟

يريد منّي في كلّ فكرة أن آتي بكلام لأحد العلماء ، والرّدّ على ذلك أنّ هذا الموضوع موضوع جديد غير مطروح سابقًا .

يمكنكم الدّخول إلى الإنترنت والبحث تحت عنوان "عالميّة الإسلام" ، لا تجد عالِمًا من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام تكلّم في هذا الموضوع ، نعم بعض أتباع المذاهب الأخرى يطرحون مثل هذا الموضوع ، ولكن محاضراتهم تكون عن طريق الآيات والرّوايات فقط ، وهذا المقدار لا يكفي ، لذلك أردت أن أطرح هذا الموضوع لكي يكون لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام مشاركة فيه .

ونحاول في هذه المحاضرات أن نبيّن جوانب مختلفة من عالميّة الإسلام ، وتوجد نقاط كثيرة ، بعض النّقاط سأتناولها بشكل تفصيليّ ، مثل نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، سأذكر الآيات والرّوايات وأقوال العلماء عنها ؛ لكي نُثَبِّتَ النّظريّة ، وحينما نأتي إلى أيّ مسألة دينيّة نرى هل أنّ الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة داخلة في الحكم أو لا ، مثلًا طرحنا مسألة أصناف الزّكاة ، وفي الأسبوع الماضي طرحنا قضيّة الاحتكار ، وأحد الحاضرين يقول بأنّي لم أذكر أقوال العلماء ، التّفصيل سيأتي في محلّه المناسب ، والبعض يريد منّي

في كلّ مسألة أذكرها أن أذكر أقوال العلماء ، إذا العلماء لم يكونوا قد بحثوا في المسألة فمن أين نأتي بأقوالهم ؟!

لا بدّ أن نأتي إلى القرآن ونحاول أن نستخرج النّظريّة ، وقلت للبعض بأنّي ذكرت لك آية قرآنيّة وأنت تسألني عن قول أحد العلماء ، وهذا شيء غريب ، مثلًا قوله تعالى :

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" [١] .

أحدهم يسأل : مَنْ مِنَ العلماء يقول بأنّ هذه الآية تدلّ على الكرامة الإنسانيّة ؟

فقلت له : إنّ الآية تقول كرّمنا الإنسان ، أي الكرامة الإنسانيّة ، والآية واضحة وصريحة ونصّ في المعنى ، فلا أحتاج إلى ذكر قول أحد العلماء ، ولا يحتاج إلى تفكير كثير حتّى آتي بأقوال المفسّرين في هذه الآية ، وحينما نأتي بالآية القرآنيّة نحلّلها ونصل إلى نتيجة معيّنة ، وبعض العلماء قد يوافقون عليها ، وبعض العلماء قد لا يوافقون عليها ، مثلًا طرحنا مسألة الاحتكار ، بعض العلماء قد يقول لحدّ الآن بالغلّات الأربعة ، وبعض العلماء يتوسّعون أكثر ، وأنت ابحث في الرّسائل العمليّة لترى مَنْ مِنَ العلماء يقتصر على الغلّات الأربعة ، ومَنْ مِنَ العلماء يوسّع الدائرة أكثر بحيث يأتي إلى كلّ مادّة يحتاجها

---

[١] الإسراء : ٧٠ .

النّاس ، ولا أريد في هذه المحاضرات أن يكون هدفي هو نقل أقوال العلماء في المسألة الفقهيّة العمليّة ؛ لأنّه سيأخذ وقتًا طويلًا في بحوثنا ، وليس بالضّرورة أنّه في كل مسألة لا بدّ أن آتي بأقوال العلماء ، نأتي إلى القرآن الكريم ونحاول أن نستخرج المعنى ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات المنقولة لنرى أنّ هذه الرّوايات تتوافق مع القرآن أو لا تتوافق ، وسوف أذكر بعد ذلك منهج البحث في موضوع عالميّة الإسلام ، ومناهج البحث مختلفة عند العلماء ، وليس بالضّرورة أن أذكر مَنْ مِنَ العلماء يتبنّى هذا المنهج ومَنْ لا يتبنّاه ، ومن الممكن في هذه المحاضرات أن نطرح نظريّات جديدة لم يتعرّض لها أحد من العلماء ، وهذه النّظريّات الجديدة نستنتجها من خلال الآيات القرآنيّة والرّوايات الشّريفة ، والبعض قد يوافق عليها ، والبعض قد لا يوافق عليها ، مثلًا حينما طرحنا قضيّة الزّكاة مع تطبيق نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام نقل أحد الحاضرين أنّ أحد العلماء قال بأنّ الثّروة السّمكيّة لا زكاة عليها ، قلت له نعم صحيح بناءً على نظريّة عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام الثّروة السّمكيّة لا زكاة عليها ، ولكن بناءً على دخالتهما في الأحكام الثّروة السّمكيّة عليها زكاة ، وسأبيّن النّظريّتين وما يترتّب على هذه النّظريّة وعلى تلك النّظريّة من أحكام ، والعالم الّذي يتبنّى دخالتهما في الأحكام يصل إلى نتائج ، ومن لا يتبنّى يصل إلى نتائج أخرى ،

ونحاول في هذه البحوث أن نثري الفكر الموجود عند المسلمين ، فقد نطرح بعض النّقاط غير المطروحة سابقًا ، وتوجد حاجة لمثل هذه البحوث في زماننا الحاليّ ، ونحتاج إلى صبر في مثل هذه المواضيع ، والبعض يسأل : كم محاضرة تحتاج للانتهاء من موضوع عالميّة الإسلام ؟

قلت له بِأَنْ لو تكلّمنا في هذا الموضوع مدّة عشر سنوات لا ننتهي منه ؛ لأنّه موضوع واسع ، وتوجد عندنا مجموعة كبيرة من العناوين ، مثلًا نحتاج إلى موضوع تجديد الخطاب الدّينيّ ، وقبل هذا نحتاج إلى موضوع تجديد الفكر الدّينيّ ، لا أنّ الخطاب وحده يحتاج إلى تجديد ، بل الفكر أيضا يحتاج إلى تجديد ، فبعض النّظريّات تكون قديمة ولا أحد يستعملها الآن ، وعلينا أن لا ندرس النّظريّات الّتي انتهى منها العلماء ولا يستعملونها اليوم ، مثلًا يأتي شخص ويقول في علم الفلك أو علم الكون بأنّ الأرض محور الكون ، فهذه النّظريّة انتهت ، فلا داعي لطرحها الآن ، والنّظريّات الجديدة الّتي وصل إليها العلماء هي الّتي تُطْرَحُ ، ونحتاج إلى الاطّلاع على الفكر الغربيّ والشّرقيّ ، لا فقط ندور في الأفكار الموجودة عندنا ، المسلمون اليوم أمام تحدّي ، الغرب الآن يحاول أن يسيطر على المسلمين ، المسلمون بالمقابل ماذا فعلوا ، المشاكل الموجودة بين المسلمين هي نتيجة تخطيطات شيطانيّة ، والمسلمون في مقابلهم لا يفعلون شيئًا ،

بل هم مُنَفِّذُونَ لما يريده الغرب ، هم يخطّطون والمسلمون يُنَفِّذُونَ ، هذا الإرهابيّ لقبه مسلم ، وهم خطّطوا أنّ المسلم يقتل المسلم ، وأن يشغلونا بالمسائل الخلافية فقط ، سنّة وشيعة ، بحيث إنه كلّما يرى شخصا يسأله : أنت سنّيّ أو شيعيّ ؟

أحد الأشخاص جاء ليشتغل عندي في البيت لتصليح جهاز ، يقول بأنّه يدخل إلى بعض البيوت فيسألونه : أنت سنّيّ أو شيعيّ ؟

يقول بأنّه يقول لهم : أنا جئت في بيتكم لعمل معيَّن ، وليس لكم شغل بديني وعقيدتي ومذهبي ، تريد أن أصلح لكم الجهاز أصلحه لكم أو أذهب ، وديني وعقيدتي ومذهبي خاصّ بي ، ولا شأن لأحد به .

والسّؤال الدّائم الدّائر بين المسلمين : أنت سنّيّ أو شيعي ؟

وشغلنا الآن فقط سنّيّ وشيعيّ ، مسائل خلافيّة بين السّنّة والشّيعة ، نثبت الإمامة أو الخلافة ، والعالم الخارجيّ يعمل في أمور أخرى ، الآن في العالم الكثير الكثير من التّطوّرات العلميّة ، كم نصيب المسلمين منها ؟

مثلا جائزة نوبل أو الجوائز الأخرى الّتي تُعْطَى للعلماء كم مسلم أخذ هذه الجائزة ؟

اثنان من المسلمين فقط أخذا هذه الجائزة ، ولكن بالطّبع لا يعيشان في الدّول العربيّة ، ولو عاشا في الدّول المسلمة فإنّهما لا

ينتجان لأنّه لا يوجد تشجيع على القضايا العلميّة في بلداننا ، فهما يعيشان في الغرب ، وفي الدّولة المحتلّة لأرض فلسطين مائتا عالم نالوا هذه الجائزة لأنّهم يهتمّون بالمسائل العلميّة .

المسلمون شعوب مُسْتَهْلِكَة ، لا يوجد عندنا إنتاج ، كلّ ما نحتاجه يأتي من الخارج حتّى الإبرة ، نحن لا نعرف كيف نصنع إبرة ، المنتجات البلاستيكيّة لا نعرف كيف نصنعها ، نستوردها من الخارج ، وإذا نصنعها في بلدنا فالمصنعُ مُسْتَوْرَدٌ من الخارج والتّصنيع في بلداننا والخبراء من الخارج ، لا يوجد عندنا شيء محلّيّ الصّنع ، أذهاننا لا بدّ أن تتسع أكثر بحيث يمكننا أن نُنْتِجَ ، بعض الطّلبة يتخرّجون من المعاهد الفنّيّة ، مثلًا تخصّص كهرباء ، تعطيه دائرة كهربائيّة بسيطة ، وتعطيه الجهد الكهربائيّ والمقاومة ، وتطلب منه استخراج التّيّار ، فلا يعرف مع أنّ تخصّصه كهرباء ، والدّوائر الكهربائيّة يدرسونها في أوّل سنة ، ويعطونه القانون الأساس وهو (الجهد = التّيّار × المقاومة) ($V = I \times R$) .

تعطيه مسألة رياضيّة لا يعرف كيف يحلّها ، تسأله : صفر تقسيم واحد ؟

لا يعرف الجواب .

تسأله : واحد تقسيم صفر ؟

لا يعرف الجواب .

وكأنّهم لم يدخلوا المدارس ، ومن لا يتمكّن من العلم لا يمكن له أن يُنْتِجَ ، لا بدّ أن يكون عندنا اهتمام بالعلوم ، ولا بدّ أن يكون عندنا اهتمام أيضًا بديننا ؛ لأنّ الاهتمام بالدّين منصبّ الآن على الفقه العمليّ فقط ، وحبّ طلب العلم غير موجود عند المسلمين بشكل عامّ ، فلا بدّ أن يكون أوّلًا عند المسلم حبّ طلب العلم ، والآن ما لدينا هو مقدار المسائل الخلافيّة بين السّنّة والشّيعة ، والعلم غير مقتصر على هذه المسائل الخلافيّة ، المسلمون اليوم أمام تحدّي عالميّ أمام العالم ، فالمسلمون يقولون بأنّه عندنا نظريّة عالميّة ، تفضّلوا فالباب مفتوح لطرح نظريّتكم ، ما هي نظريّاتكم أيّها المسلمون ؟

اطبعوها في كتب وانشروها في العالم ، الآن الغرب والشّرق ماذا يعرفون عن الإسلام ؟

يعرفون أنّ الإسلام هو دين الإرهاب ، ويعرفون عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنه إنسان قتّال إرهابيّ ، وأنّ الإسلام انتشر في العالم بالسّيف ، هذه هي الفكرة الموجودة عندهم .

كيف يمكن لنا أن نصحّح هذه الأفكار الموجودة عند النّاس في الغرب والشّرق ؟

كيف يمكن لنا أن نبيّن أنّ الإسلام دين الرّحمة ودين العلم ودين الفكر ودين الثّقافة ودين التّطوّر والرقيّ والتّقدّم ؟

هذا لا بدّ أن نبيّنه للعالم حتّى يكون الإسلام مقبولًا ، نحن الآن

في عالم يستعمل الناس فيه عقولهم ، ولا يقبلون الشّيء بلا تَعَقُّل ، تريد أن تطرح الدّين لا بدّ أن تطرحه بشكل عقلانيّ ، فبعض الأحكام قد لا تتناسب مع العقلانيّة ، وسنطرح بعض الرّوايات الّتي لا يتقبّلها العقل ، كالتّمييز على أساس القوميّة ، مثلًا الأكراد من الجنّ ، لو طرحناه الآن على العالم من يتقبّله ، وقلنا إنّه لا قوميّة في الإسلام ، فنحتاج أوّلًا إلى حبّ طلب العلم ، وأستغرب حينما يقول لي شخص أنّه لم يقرأ كتابًا منذ عشر سنوات ، ويقول بأنّه لم يستمع إلى محاضرة منذ سنين ، لا كتاب ولا محاضرة فدينك من أين تأخذه ؟

سيكون دينه على مزاجه ، إذا الإنسان لا يطلب العلم لا يستطيع أن يتكامل ، ولا يمكن الاقتصار على الرّسالة العمليّة ، الرّسالة العمليّة تعطيك من الدين الجانب العمليّ فقط ، تصلّي وتصوم وتحجّ والأعمال الّتي تكون في الجانب العمليّ الخارجيّ الظّاهريّ من الدّين ، وأمّا النّاحية العقائديّة فتحتاج فيها إلى عقلك وفكرك ، والقضايا الأخلاقيّة مُهْمَلَة عند المسلمين ، وحينما نقول أخلاق يذهب الذّهن إلى العمل الخارجيّ ، مع أنّ الأخلاق عمل باطنيّ قلبيّ لا عمل خارجي ، بالإضافة إلى أنّ هناك إشكالات كثيرة تُطْرَحُ على الإسلام فأين الأجوبة ؟

لا بدّ أن نواكب هذه الإشكالات حتّى يمكننا الإجابة عنها ، الإشكالات الّتي تُطْرَحُ على القرآن الكريم لا بدّ أن نجيب عليها ،

وبعض الإشكالات تُطْرَحُ على الرّوايات فيجب أن نجيب عليها ، وبعض الإشكالات تُطْرَحُ على أقوال العلماء فلا بدّ أن نُبَيِّنَ أنّ كلام هذا العالم صحيح أو لا .

الآن في التّطوّر الطّبيّ – مثلًا – يُقَالُ بأنّه في كلّ يوم توجد مائتا مكتشف طبّيّ جديد ، ونصيب المسلمين منها لا شيء ، المسلمون لا يعملون ، ولا يوجد عندنا اهتمام بالقضايا العلميّة ، انظر إلى نفسك الآن ، أنت كفرد ، ما هو إنتاجك العلميّ ؟ ما هو إنتاجك الفكريّ ؟ هل جلست في يوم بينك وبين نفسك تتأمّل وتحاول أن تصل إلى فكرة معيّنة ؟

آية قرآنيّة تقرأها وتتأمّل فيها لكي تصل إلى بعض المعاني ، والآن عملنا مع القرآن هو القراءة فقط ، هذا إذا كان المسلمون يداومون يوميًّا على قراءة بعض الآيات ، أو أنّ القرآن يُقْرَأُ في شهر رمضان فقط ، ويحاول أن يختم ختمة في الشّهر الفضيل ، ولكن عمله مجرّد ألفاظ ، هل يوجد مسلم واحد يقرأ في كلّ يوم صفحة واحدة ويتأمّل في معانيها ؟ ما هي المعاني الموجودة في هذه الصّفحة والّتي لها علاقة بعالميّة الإسلام ؟

وتكتب هذه المعاني في كرّاس ، وتستخرج الآيات الّتي لها ارتباط بعالميّة الإسلام ، وبهذه الطّريقة تحصل على بحث قرآنيّ كامل عن الآيات الّتي تتحدّث عن عالميّة الإسلام ، وسنقوم بهذا العمل في

بحوثنا ، سنمسك القرآن آية آية وصفحة صفحة ونستخرج الآيات ونربطها بكلّ الآيات الأخرى ، ونخرج ببحث قرآنيّ عن الموضوع الّذي نبحث فيه ، وهذا يحتاج إلى جهد ، ولو أنّكم تقومون أيضًا بهذا العمل فقد تصلون إلى بعض الأفكار الّتي لا يصل إليها العلماء ، ومن يبذل جهده فالله عزّ وجلّ يلهمه بعض الأفكار ، ليكن عندنا جميعًا اهتمام بهذا الموضوع ، والاهتمام الآن قليل ، وأكثر النّاس يهتمّون بمواضيع الجنّ والسّحر ، لو نطرح مواضيع من هذا النّوع لكان الحضور عندنا كثيرين ، ولو شخص يقول كذبًا إنّه يعالج النّاس من الجنّ ويقرأ على الماء ويبيع الماء عليهم لما كان يوجد موطئ قدم للحاضرين ، ولكن هذه الأمور لا تحلّ مشاكل النّاس ، الحلّ الأوّل لا بدّ أن ينصبّ على فكر النّاس ، نحتاج إلى الذّهنيّة الإسلاميّة ، والآن أذهان المسلمين بم تفكّر ؟

هذا سأطرحه في موضوع "العقل المسلم" ، الآن فكر المسلمين بم ينشغل ؟ وهل هذا هو التّفكير المطلوب ؟

مثلًا قضيّة الجنّ ، الآن كلّما يمرض شخص يقولون إنّ السّبب هو الجنّ ، والجنّ بريء ، وقد يكون عند الجنّ مرض وبعض المشعوذين عندهم يقولون إنّ الإنسان هو سبب الأمراض ، الجنّ يعيشون في عالم ونحن نعيش في عالم آخر ، فكرنا لا بدّ أن يكون فكرًا متكاملًا حتّى لا يكون الإنسان نسخة كربون في كلّ يوم ، والفكر لا بدّ أن يتطوّر

ويتكامل مع تكامل الجسم ، لا أن يبقى الإنسان على أفكاره الطّفوليّة ، فذهنه لا يتكامل بل يبقى ذهن طفل ، والمفروض أنّ عقولنا تكبر مع أجسامنا ، والفكر يحتاج إلى تنمية كما أنّ الجسم يحتاج إلى تنمية ، ولا بدّ أن تفكر في كلّ موضوع ، والتّفكّر والتّأمّل أفضل من عبادة سبع سنوات أو سبعين سنة كما في بعض الرّوايات ؛ لأنّه بواسطة التّفكّر أنت تصل إلى تكاملٍ أكثر من أداء العبادات الظّاهريّة ، بعد الصّلاة في كلّ يوم لا تقم مباشرة ، بل اجلس قليلًا واجعل للتّفكير نصيبًا عندك ، مثلًا فكّر في موضوع عالميّة الإسلام ، لا أن تأتي هنا وتسمع الموضوع ، وتأتي الأسبوع القادم ، وخلال الأسبوع لا بدّ أن تفكّر في هذا الموضوع ، وكلّما تأتيك فكرة سجّلها ، فالأفكار تضيع من الإنسان إذا لم يسجّلها ، ومن هذه النّقاط المتفرّقة الّتي سَجَّلْتُها كتبت عشرين صفحة تقريبًا ، فقط أفكار عن ما هي المواضيع الّتي سأبحثها في موضوع عالميّة الإسلام ، وكلّ موضوع يحتاج إلى بحث ، ليكن عندنا اهتمام أكثر بموضوع عالميّة الإسلام ، والّذي هو موضوع تحدّي للمسلمين أمام العالم ، ماذا تطرح للنّاس في العالم ؟

نرى أنّ النّظريّات الغربيّة تنتشر بسرعة بين المسلمين ، ولكنّ أفكار المسلمين لا تنتشر حتّى بين المسلمين ، قد يكون العيب في أسلوب الطّرح ، ليكن عندنا اهتمام بالمواضيع الدّينيّة وكيفية طرحها .

بعد هذه المقدّمة لنرجع إلى مظاهر عالميّة الإسلام :

المظهر الحادي عشر :

الإسلام رسالة إلى الفطرة والعقل والقلب ، والأحكام الدّينيّة لا بدّ أن تتوافق مع فطرة الإنسان ، ومع عقل الإنسان ، ومع قلب الإنسان ، والمفروض أنّه لا يوجد حكم دينيّ إلّا ويتناسب مع فطرة الإنسان ، وإذا جاء حكم لا يتناسب مع القواعد الفطريّة والقواعد العقليّة عند الإنسان فنحن مشتبهون ، فهذا الحكم ليس حكمًا دينيًّا ، والله أوجد في فطرة الإنسان وعقله قواعد معيّنة ، وهناك أمور تُعْرَضُ على الإنسان والنّفس مباشرة لا تقبلها .

"وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" [١] .

لو يقال إنّ الظلم حسن والعدل قبيح ، فالنّفس لا تتقبّل هذا القول ، ولا يحتاج إلى تفكير ، وذلك بسبب وجود قواعد أوجدها الله في نفس الإنسان وعلى أساسها يقيس الأشياء .

وأحكام الدّين لا بدّ أن تتوافق أيضًا مع السّيرة العقلائيّة للإنسان ، والّتي يتّفق عليها النّاس بحيث لا تخالف حكمًا شرعيًّا ، وهي الأعراف الاجتماعيّة المباحة الّتي لا يوجد فيها حرمة ، فبعض الأحكام الشّرعيّة تتناسب مع الأعراف الاجتماعيّة .

---

[١] الشّمس : ٧ – ٨ .

وفي الدّين توجد بعض الأحكام التّعبّديّة ، مثل صلاة الصّبح ركعتان ، هذا أمر تعبّديّ ، ولا يُعْرَضُ على العقل ، فقد يقول البعض إنّ عقلي لا يقبل أن تكون صلاة الصّبح ركعتين ، نجيب بأنّ هذا الحكم يدخل في دائرة التّعبّديّات ، الصّيام في شهر رمضان حكم تعبّديّ ، ولا يمكن القول بأن نجعل الصّيام في شهر آخر ، ولكن توجد بعض الأحكام تدخل في دائرة العقل ، والأحكام الشّرعيّة لا بدّ أن تكون متوافقة مع العقل ، نعم إلّا التّعبّديّات والعرفيّات فلا تخضع للعقل .

ويأتي سؤال : هل نحتاج إلى العقلانيّة في الأحكام الدّينيّة أو لا نحتاج ؟

هذا سيأتي فيه بحث مستقلّ إن شاء الله تعالى .

إنّ الأحكام التّعبّديّة ثابتة ولا يمكن أن نغيّر فيها شيئًا ، مثلًا : صلاة الصّبح ركعتان ، هذا حكم ثابت ، ولا يمكن أن نقول بأنّه في يوم ما تكون صلاة الصّبح ثلاث ركعات ، هذا الحكم غير داخل في الاجتهاد لأنّه حكم ثابت ، ولكن بعض الأحكام تدخل في دائرة العقل ، تفكّر وتبحث فيها ، مثلًا أصول العقائد تدخل في دائرة العقل ، الله موجود أو غير موجود ؟

لا يمكن أن تقول إنّ العالم الفلانيّ يقول الله موجود ، فأنا أقول الله موجود ، هذا الاعتقاد غير قابل للأخذ من شخص آخر ، أنت

لا بدّ أن تفكّر ، هل تعتقد بوجود خالق لهذا الكون أو لا تعتقد ؟

هذا أمر خاصّ بك ، عقلك ماذا يقول ؟

هل عقلك يقول بوجود خالق للكون أو لا ؟

تقول أنا أرى هذه المخلوقات فأعلم بوجود خالق لها ، هذا استدلال عقليّ .

فطرتك ماذا تقول ؟ هل تقول بوجود خالق أو لا ؟

وسيأتي بحث مستقلّ في الأدلّة الفطريّة والأدلّة العقليّة الدّالّة على وجود الإله الخالق ، وسيأتي فيه بحث تفصيليّ لأنّه من الأبحاث المهمّة ، ومشكلة الإلحاد المنتشرة اليوم قائمة على الخلاف على وجود الإله الخالق ، وسنستدلّ على وجود الإله ، والقرآن الكريم يقول :

"قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" [١] .

ليس في وجود الله شكّ لأنّه أمر بديهيّ ، فوجود الإله الخالق أمر بديهيّ ، فلماذا بعض النّاس يُلْحِدُونَ ؟

يلحدون بسبب أفعال المسلمين ، أفعال المسلمين اليوم لا تعبّر عن الإسلام ، فهذا الإرهابيّ يقتل ويذبح ، هم يظنّون أنّ هذا يعبّر عن الإسلام ، فيقولون ما دام أنّ هذا هو الإسلام فنحن لا نعتقد بهذا الإسلام ، وإذا كان هذا هو الخالق إذن لا وجود لهذا الخالق ؛ لأنّه ليس من الممكن أنّ الخالق يدعو إلى القتل ، فلا يوجد خالق

---

[١] إبراهيم : ١٠ .

للكون .

ومن الإشكالات الّتي تُطْرَحُ مسألة وجود الشّرور في العالم ، كالفيضانات والزّلازل ، وهذا دليل على عدم وجود خالق للكون ، المفروض أن يكون الخالق مصدرًا للخير ، ولا يصدر منه أيّ شرّ ، وهذا الإشكال يحتاج إلى جواب ، وهذا الإشكال سيأتي في موضوع تفصيليّ إن شاء الله ، وكذلك ستأتي الإشكالات الأخرى على وجود الإله الخالق ، وسنثبت أوّلًا وجود الإله الخالق بالأدلّة ، وبعد ذلك نأتي إلى الإشكالات .

إذن :

توجد في الأحكام الدّينيّة أمور تعبّديّة تعمل بها ، وتوجد أحكام تدخل في دائرة العقل ، ودورك أن تفكّر بها حتّى تصل إلى معرفتها ، وهنا حينما نقول "العقل" ما هو المقصود من العقل ؟

الجواب :

تارةً نقصد من العقل القوّة المفكِّرة ، فالعقل هو قوة مفكِّرة عند الإنسان ، وهذا متّفق عليه بين الجميع ولا يوجد فيه خلاف ، وتارةً أخرى له معنى آخر ، والاختلاف يقع في أنّ العقل هل يمكن أن يُنْتِجَ أحكامًا أو لا ؟ في المسائل الدّينيّة هل يمكن أن نستعمل عقولنا لِنُنْتِجَ أحكامًا يوافق عليها الدّين أو لا يمكن ؟

البعض يقول لا ، فالعقل ليس عنده القدرة على الوصول إلى

أحكام يوافق عليها الدّين ؛ لأنّ جميع الأحكام الدّينيّة أحكام تعبّديّة .

ونرى بأنّ العقل مُنْتِجٌ في جميع العلوم الحديثة ، ولولا أنّ العقل قادر على الإنتاج لما كان يمكن أن تحدث هذه التّطوّرات ، والتّطوّر الحاصل في العالم هو نتيجة أنّ العقل تعطيه معلومات فَيُنْتِجُ لك معلومات جديدة ، فهل يمكن في الدّين أن تعطي العقل بعض الأحكام فيصل العقل إلى أحكام جديدة فيكون العقل مصدرًا من مصادر استنباط الأحكام الدّينيّة أو لا ؟

والآن مصادر الاستنباط الّتي يذكرها العلماء من مدرسة أهل البيت عليهم السّلام هي : القرآن الكريم ، والسّنّة الشّريفة ، والإجماع ، والعقل ، وَيُقْصَدُ بالعقل القوّة المنتِجة لا القوّة المفكِّرة فقط ، فعندما نقول إنّ العقل من مصادر الاستنباط فمعنى ذلك أنّ العقل يمكن أن يُنْتِجَ حكمًا دينيًّا ، فتأخذ هذا الحكم الّذي أنتجه العقل على أنّه حكم يوافق عليه الدّين ، فالعقل مُنْتِجٌ وَمُولِّدٌ للأحكام الدّينية ، وهذا يقع مورد خلاف وغير متّفق عليه بين العلماء ، البعض يتبنّى ذلك فيجعل العقل مصدرًا من مصادر استنباط الأحكام الدّينيّة ، والبعض لا يتبنّى ويقول بأنّ جميع الأحكام الدّينيّة أحكامًا تعبّديّةً ، فيقولون إنّ الله يحكم ونحن نُسَلِّمُ بهذه الأحكام ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله يعطينا الأحكام ونحن نُسَلِّمُ ، وأهل البيت عليهم

السّلام يعطونا حكمًا ونحن نُسَلِّمُ به ، فلا بدّ أنّ الحكم يصدر من الله تعالى ، وأمّا العقل فلا دور له في إنتاج الأحكام ، هذا رأي ، والرّأي الآخر يقول بأنّ العقل مصدر من مصادر استنباط الأحكام ، لذلك أدرجوا العقل ضمن مصادر الاستنباط .

وسيكون عندنا بحوث مستقلّة عن العقل ، والفطرة ، والسّيرة العقلائيّة أي العُرْف ، وفلسفة الدّين ، وفلسفة الفقه العمليّ ، ونحن حدّدنا مجموعةً من العناوين ، وكلّها تحتاج إلى بحوث ، وبعض البحوث مطروحة ، ويمكن الاستفادة من بحوث العلماء والباحثين والمفكّرين في هذه المواضيع ، وبعض البحوث غير مطروحة ، وسنحاول أن نبحث في المواضيع الجديدة ، وقد نصل إلى نظريّات جديدة قد يقبلها العلماء وقد يرفضونها ، ولكن أصل موضوع "عالميّة الإسلام" مطلوب ، وقد نخطئ في بعض المصاديق ، ففي نقطة معيّنة قد أطرح شيئًا أتبنّاه ولا يتبنّاه غيري ، أو البعض يتبنّاه والبعض الآخر لا يتبنّاه ، وقد أكون مخطئًا فيما طرحت بحسب ما أبيّنه من أدلّة ، ولكن هذا لا يؤثّر على أصل موضوع "عالميّة الإسلام" ، فالخطأ في نقطة واحدة لا يؤثر على عالميّة الإسلام ، ومن يريد أن يناقش عليه أن يبيّن رأيه مع الدّليل ، وإذا تبيّن أنّ رأيه صحيح واقتنعت به سأترك الفكرة الّتي طرحتها وأتبنّى رأيه ، فما نتبنّاه هو الرّأي الّذي يكون عليه دليل قويّ ، والمطلوب هو أن نتعاون معًا ، والتّعليقات والإشكالات

ستثري الموضوع كثيرًا ، ومن عنده اقتراح بطرح موضوع معيّن أرجو منه أن يبلغني ، قد تأتيك فكرة معيّنة اطْرَحْهَا لنستفيد منها ، وهنا نطرح بحوثًا سريعةً ، والبحوث التّفصيليّة تُؤَجَّلُ إلى الوقت المناسب ، وبحوثنا ليست للعلماء خاصّةً ، وإنّما لعامّة النّاس ، لذلك تلاحظون أنّي لا أستعمل المصطلحات العلميّة الحوزويّة ، وأتكلّم باللّغة العربيّة المبسّطة لكي لا توجد تعقيدات في الكلام ، وأسلوبنا هو أسلوب التّبسيط قدر الإمكان للنّاس لكي يتفاعل النّاس معنا ، الفكرة عميقة والأسلوب مبسّط ، وحينما نأتي إلى فلسفة الدّين وفلسفة الفقه العمليّ موضوعها معمّق ، ولكن سنبسّطها قدر الإمكان .

وهذه المواضيع تحتاج إلى صبر إلى أن ندخل في موضوع إثبات وجود الإله الخالق ، وهو البحث الرّئيس ، فأوّلًا نثبت وجود خالق الكون ، ونحن المسلمين نسمّيه "الله" ، وكلّ لغة لها كلمة يعبّرون بها عن خالق الكون ، وسأستعمل كثيرًا كلمة الإله أو خالق الكون وقصدي هو الله تعالى ، ولكن لكي يكون موضوعنا عالميًّا فأقول خالق الكون أو الإله الخالق أو الإله .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٩)

تابع مظاهر عالميّة الإسلام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

مقدّمة :

البحوث في هذه المحاضرات عن "عالميّة الإسلام" بحوث نظريّة لا تترتّب عليها أحكام شرعيّة ، وكلّ شخص يرجع إلى مرجعه لأخذ الفتاوى منه ، فهنا نطرح بعض الأحكام ، ولكن ارجع إلى مرجع التّقليد وخذ منه الحكم ، والبحث بحث نظريّ لا نرتّب عليه أحكامًا شرعيّةً ، والهدف من البحوث هنا هو النّظر إلى أحكام الدّين بما تتناسب مع عالميّة الإسلام ، والبحث النّظريّ يمكن أن يقع فيه الاختلاف في وجهات النّظر ، فشخص يقول إنّ هذا الحكم يتناسب

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ٣ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١٢/٢٢ م .

مع عالميّة الإسلام ، وشخص آخر يقول بأنّ الحكم الثّاني يتناسب مع عالميّة الإسلام ، واختلاف الآراء في أيّ بحث نظريّ مقبول ، ولكنّ المهمّ في أيّ بحث هو الدّليل الّذي تستند إليه النّتيجة الّتي يتمّ التّوصّل إليها ، فقد يقول برأي ويذكر له أدلّة من القرآن والرّوايات ، والطّرف الآخر حينما يعترض لا بدّ أن يردّ الأدلّة المذكورة ويأتي بأدلّة أخرى لتأييد رأيه ، مثلًا شخص قد يعترض ولا يقبل دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، هذا رأيه ، ولكن ما هو الدّليل على عدم الدّخالة ، هل الدّليل يدل على الدّخالة أو عدم الدّخالة ؟

ونسأل من لا يتبنّى دخالة الزّمان والمكان في الأحكام سؤالًا واحدًا : الاحتكار لا يجوز في الغلّات المعيّنة من التّمر والشّعير والقمح والزّبيب ، أنت في هذا الزّمان ماذا تقول ؟ هل تقتصر على هذه الغلّات أو هناك موادّ أخرى يحرم احتكارها ؟ فما هي الموادّ الّتي يحرم احتكارها في زماننا الحاليّ ؟

إذا قال بأنّه نقتصر على هذه الموادّ ، فمعناه عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وأمّا إذا قال بأنّه يحرم احتكار موادّ أخرى فمعناه أنّه يتبنّى دخالتهما ، وأحيانا العالم يطرح أحكامًا تتناسب مع الدّخالة مع أنّه لا يتبنى نظريّة الدّخالة ، والإنسان بطبيعته يقول ليس من الصّحيح احتكار جميع الموادّ الّتي يحتاجها النّاس ، تصوّر نفسك مشرفًا اقتصاديًّا على بلد ، ويوجد تجّار يحتكرون موادًّا يحتاجها

النّاس ، ألا تُصْدِرُ قرارًا بأنّه يجب على جميع التّجّار أن يبيعوا هذه الموادّ على النّاس وإذا لم يفعلوا فالحكومة تتدخّل فتأخذ الموادّ من التّجّار وتبيعها بسعر معقول وتعطي القيمة للتّجّار ؟

إذن بحوثنا بحوث نظريّة قد يقع فيها اختلاف الآراء ، ولكن أصل موضوع "عالميّة الإسلام" مطلوب لأنّ كلّ مسلم يدّعي أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، ولا يوجد اختلاف بين المسلمين في صلاحية الإسلام لكلّ زمان ومكان ، نعم قد يقع اختلاف وجهات النّظر في بعض النّقاط ، فالشّخص الأوّل يقول بحكم أنّه المناسب لصلاحية الإسلام ، والشّخص الثّاني يقول بحكم آخر مناسب لصلاحية الإسلام ، واختلاف الآراء أمر طبيعيّ في جميع البحوث النظريّة ، ولكن أهمّ شيء ما هو الدّليل ، فمن يقول برأي معيّن عليه أن يذكر الدّليل على هذا الرّأي ، وفي هذه البحوث حينما أذكر رأيًا سأبيّن الدّليل على إثباته ، ومن يعترض عليه أن يناقش الدّليل ويذكر رأيه مع دليله الّذي يثبت رأيه ، وباب النّقاش مفتوح في كلّ نقطة نطرحها في هذه البحوث ، ولا تُرْفَضُ الآراء لأجل الرّفض وبدون دليل ، والنّقاش بين جميع النّاس لا بدّ أن يكون على أساس الدّليل .

أنت تعتقد بوجود الإله ، فما هو دليلك على إثبات وجود الإله ؟

والّذي لا يعتقد بوجود إله نسأله أيضًا : ما هو دليلك على عدم

وجود الإله ؟

تقول أنا أعتقد بوجود الإله ، ومن لا يعتقد فهو كافر ، ولكن هذا لا يكفي للنّقاش ، اذكر دليلك على إثبات وجود الإله ، والطّرف الآخر مطالَب أيضًا بذكر دليله على عدم وجود الإله ، مثلًا مسيحيّ يقول أنا أعتقد بالله ، والمسيحيّون الّذين يعيشون في الدّول العربيّة يقولون بأنّهم يعتقدون بالله ، والبعض يقول بأنّه لا يعتقد بأنّ الله ثالث ثلاثة ، والّذين يقولون بأنّ الإله مركّب من ثلاثة يقولون بأنّ الإله واحد ، ولكنّه مركّب من ثلاثة ، ولكنّه في الأصل واحد ، هو يعتقد بالتّوحيد ، ولكن عنده اشتباه ، فهو حينما يقول الأب والابن وروح القدس يعتقد بأنّهم ضمن واحد ، فهو يعتقد بأنّ الإله واحد ، نعم يُصَوِّرُونَهُ بأنّه مركّب من ثلاثة ، مثل هذا إنسان مُوَحِّد ، ولكن عنده اشتباه ، والمسيحيّون ليسوا كلّهم مشركين ، فيهم مؤمنون مُوَحِّدُونَ ، والقرآن في بعض الآيات يمدح أهل الكتاب ، فأهل الكتاب ينقسمون إلى قسمين ، وليس من الصّحيح أن تطلق عليهم أنّهم كلّهم كفّار أو مشركون .

"وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" [١] .

---

[١] آل عمران : ١١٠ .

وبعض أتباع الأديان عندهم اشتباهات ، لماذا يعبدون بقرةً أو يعبدون قردًا إذا صحّ أنّهم يعبدونهما أو أنّهم يقدّسونهما فقط ؟

لأنّه بالأصل هو عنده عبادة الإله ، ولكنّه أخطأ في مصداق الإله ، يظنّ أنّ هذا هو الإله ، عبادة الإله موجودة في فطرة كلّ إنسان ، ولكن يعتقد أنّ هذا هو الإله أو هذا رمز للإله ، ولو استقصينا لوجدنا أنّ جميع النّاس مُوَحِّدُونَ حتّى الملحد الّذي يقول بأنّه لا يعتقد بوجود الإله ، هذا الملحد حينما يقع ولده مريضًا والأطبّاء يقولون بأنّ حالته مَيْؤُوسٌ منها يقول هذا الملحد بأنّ عنده أملًا ومن الممكن أنّ هناك قوّة خفيّة تشفي ولده ، القوّة الخفيّة هي الإله القادر على الشفاء ، هو يسمّيه قوّة خفيّة ، والبعض يقول الرّوح الّتي تسري في المخلوقات ، نحن نسمّيه "الله" وهو يسمّيه "قوّة خفيّة" أو "الرّوح السّارية في الكون" ، وفي النّقاش مع هؤلاء الأشخاص يتبيّن أنّهم يؤمنون بالإله ، ولكنّهم يخطئون في تعيين مصداق الإله ، وحتّى الملحد وقت الشّدة عنده أمل بوجود قوّة خفيّة أو قوّة قادرة تشفي ولده المريض ، ففي قرارة نفسه يعتقد بوجود إله ، ولكن بكلامه يقول بأنّه لا يعتقد بالإله ، ورؤوس الإلحاد في العالم لا ينكرون وجود الإله مائة بالمائة ، ولكن يقولون يُحْتَمَلُ وجود الإله الخالق ، ولا يمكنهم إنكار الإله تمامًا ؛ لأنّه يوجد في قرارة أنفسهم وجود الإله ، فكلّ إنسان حينما يرى هذه المخلوقات المتنوّعة ينتقل ذهنه بشكل لاإراديّ

إلى وجود الإله الخالق ، ولكن تأتي بعض الإشكالات ، مثلًا وجود الشّرور في العالم ، يقولون لو كان هذا هو الإله الخالق فلا بدّ أن يكون مصدرًا للخير فقط ، وبهذا الإشكال يردّون به وجود الإله الخالق ، وسنأتي إلى هذه الإشكالات في محلّها المناسب في هذه البحوث .

إذن :

قد نصل إلى نتيجة في هذه البحوث النّظريّة ، وهذه النّتيجة يقول بها بعض العلماء ، وقد نصل إلى نتيجة نذكر الدّليل على إثباتها ، ولكن هذه النّتيجة لا يقول بها أحد ، وهذه بحوث نظريّة ، ولا نرتّب عليها آثارًا فتوائيّة .

مثلا نناقش كيفيّة الصّلاة في القطب الشّماليّ الّذي يقال بأنّه يوجد فيه ستّة أشهر ليل وستّة أشهر نهار ، وبعض العلماء قد يقولون بأنّ من يسكن في تلك المنطقة يرجع في أوقات الصّلاة إلى أقرب مدينة فيها أوقات الصّلوات الخمس ، وإذا رجعنا إلى أقرب مدينة معنى ذلك أنّه يكون في اللّيل ويقول أصلّي صلاة الظّهر ، وهذا غير معقول لأنّ صلاة الظّهر تجب مع زوال الشّمس ، فكيف يصلّي صلاة الظّهر في اللّيل ؟!

وإذا كان في النّهار يقول أصلّي صلاة المغرب ، فكيف يصلّي صلاة المغرب في النّهار ؟!

لا بدّ أن نعطيه الصّلوات الّتي تتناسب مع مكان سكنه لا أن يرجع إلى أقرب مدينة ، وسأطرح حَلًّا لكيفيّة الصّلاة في القطب الشّماليّ ، وسأذكر الدّليل من بعض الرّوايات ، وهذا الحلّ قد لا يقول به أحد العلماء الآن ، وهذا بحث نظريّ لا نرتّب عليه فتوًى ولا حكمًا شرعيًّا .

وطبعًا السّؤال المطروح من الكثيرين : وَمَنْ مِنَ العلماء يقول بذلك ؟

قد لا أحد من العلماء يقول بذلك ، ونحن قد نستنتج هذا الحلّ من الآيات والرّوايات ، وأحد العلماء قد يسمع هذا الحلّ ويرى الدّليل ، ويذكره كفتوى في رسالته العمليّة .

والسّؤال الآخر هو : كيف يصوم ؟ هل يصوم ستّة أشهر إلى أن يأتي اللّيل فيفطر ؟

وهذا مستحيل .

فكيف تكون الصّلاة والصّيام في القطب الشّماليّ ؟

ونحتاج إلى حلول تتناسب مع عالميّة الإسلام ، فالّذي يسكن في القطب الشّماليّ يريد أن يعرف تكاليفه ، فهل نقول له بأن يصلّي كما يصلّون في مدينة أخرى أو في مكّة المكرّمة مثلًا ؟

لا يمكن تطبيق أوقات الصّلاة في مكّة المكرّمة على القطب الشّماليّ لأنّ الأوقات مختلفة ، والصّلوات مشروطة بأوقات معيّنة ،

فصلاة الصّبح مشروطة بظهور الفجر الصّادق ، وصلاة الظّهر مشروطة بزوال الشّمس ، وصلاة المغرب مشروطة بغروب الشّمس ، فكيف لهم أن يصلّوا ويصوموا ؟

ووظيفة الفقهاء أن يجدوا حلولًا لهذه المشاكل ، وهذه من المشاكل الّتي يمكن أن تطرح حتّى نثبت أنّ الإسلام دين عالميّ ، فنحتاج إلى هذه البحوث النّظريّة .

وباب البحوث في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام مفتوح ، ولا توجد عندنا بحوث مُغْلَقَة ، لذلك نرى بأنّ العلوم الدّينيّة تتطوّر لأنّ العلماء يضيفون شيئًا على ما قاله العلماء السّابقون ، وفي مدرسة أهل البيت عليهم السّلام عندنا حرّيّة الفكر ، والعقل أحد مصادر الاستنباط ، فالحرّيّة الفكريّة موجودة عندنا ، لذلك باب الاجتهاد مفتوح في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ومن خلال الأدلّة يمكننا أن نصل إلى الأحكام الدّينيّة ، والمدار على الدّليل ، لنفرض شخصًا يسافر إلى القمر ، كيف يصلّي هناك ؟

في الجانب الّذي يكون نهارًا دائمًا أو ليلًا دائمًا ، فإذا كان نهارًا دائمًا فلا يصحّ أن يقول أصلّي صلاة المغرب والعشاء ، وإذا كان ليلًا دائمًا فلا يصحّ أن يقول أصلّي صلاة الصّبح أو الظّهر أو العصر .

وقد ينفتح طريق السّفر إلى الكواكب الأخرى ، فكيف يصلّي على الكوكب الّذي قد تكون سنته بمقدار عشر سنوات أرضيّة مثلًا ؟

اليوم الواحد هناك يساوي عشرة أيّام أرضيّة ، فكيف يصلّي ؟ هل يصلّي خمس صلوات أو خمسين صلاة في اليوم الواحد ؟

ونحتاج إلى أن نبحث في جميع الأحكام الدّينيّة بمنظور عالميّة الإسلام ، كيف يكون الحكم الدّينيّ حكمًا عالميًّا ؟

قد نجد بعض الأحكام أحكامًا محلّيّة ، مثلا القرآن الكريم يقول : **"أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ"** [١] .

الإبل كانت موجودة في الجزيرة العربيّة ، وفي بلد من البلدان إذا لا يعرفون الإبل فكيف نقول لهم أَنِ انْظُرُوا إلى الإبل ، فيستغربون ويتساءلون : ما هي الإبل ؟

وحتمًا عندهم حيوانات معيّنة ، فنقول لهم : انْظُرُوا إلى حيوان معروف عندكم كيف خُلِقَ ؟

الأمر القرآنيّ بالنّظر إلى خلقة الإبل يختص بحيوان محلّيّ ، ولكن هو من باب المثال والمصداق ، فالقرآن ذكر مصداقًا للحيوان ، والحيوان في الجزيرة العربيّة مصداقه الإبل ، وفي أمريكا مصداقه رمزهم وهو النّسر ، وفي القطب الشّماليّ مصداقه الفقمة مثلًا ، وفي اليابان مصداقه نوع من الأسماك المعروف عندهم ، فالقرآن ذكر مصداقًا للحيوان ، وليس المراد الإبل بالخصوص ، وإنّما هو مصداق لمفهوم

---

[١] الغاشية : ١٧ .

"الحيوان" ، والمصاديق تتغيّر من مكان لآخر ومن زمان لآخر ، وهكذا يكون القرآن كتابًا عالميًّا ؛ لأنّه ذكر المصداق ، ولكنّه أراد المفهوم ، فعندنا عالميّة الإسلام حتّى من خلال طرح المثال .

"وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ" [١] .

"وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [٢] .

الّذي يتعقّل ويتفكّر هو العالِم الّذي يعرف أنّ هذا من باب المثال والمصداق لا من باب المفهوم ، فالقرآن حينما يطرح أشياء محلّيّة يطرح المصداق ويريد المفهوم ، والمفهوم ثابت والمصاديق تتغيّر ، لنفرض في مكان يوجد حيوان معيَّن ، وبعد خمسين سنة ينقرض هذا الحيوان ويأتي حيوان آخر ، مثلًا في الجزيرة العربيّة كان يوجد سابقًا أسود ، وهذا مذكور في كتب التّاريخ والرّوايات ، والآن لا يوجد أسود في الجزيرة العربيّة ، فسابقًا نقول انْظُرْ إلى الأسد كيف خُلِقَ ، والآن نأتي إلى حيوان آخر ونقول انْظُرْ إليه كيف خُلِقَ .

إذن بحوثنا بحوث نظريّة ، والإسلام دين عالميّ ، ولا بدّ أن يكون ما يطرحه القرآن مفاهيم عالميّة ، فإذا طرح شيئًا محلّيًّا فيكون قد بَيَّنَ مصداقًا مُعَبِّرًا عن المفهوم وكاشِفًا عن المفهوم .

---

[١] العنكبوت : ٤٣ .

[٢] الحشر : ٢١ .

وبحوثنا نظريّة ، ولا نرتّب عليها أحكامًا فقهيّةً ، مثلما طلبة الجامعة حينما يريدون أن يتخرّجوا يقدّمون بحثًا نظريًّا ، هذا البحث قد يصلون فيه إلى نتائج جديدة ، والأستاذ المشرف قد يوافق على هذه النّتائج أو لا يوافق ، وهو ينظر إلى أنّه يوجد دليل أو لا يوجد دليل في البحث المقدَّم ، وفي الحوزات العلميّة نحتاج إلى مثل هذه البحوث لأنّها تفتح آفاقًا جديدةً أمام العلماء والطّلبة ، ونريد أن نثبت أنّه يمكن أن نأتي بآراء جديدة تتناسب مع عالميّة الإسلام .

رجوع إلى المظهر الحادي عشر :

بعد هذه المقدّمة نرجع إلى النّقطة الّتي وقفنا عندها في المحاضرة السّابقة ، كان الكلام في المظهر الحادي عشر من مظاهر عالميّة الإسلام ، وقلنا إنّ الإسلام رسالة إلى الفطرة والعقل والقلب ، وأنّ أحكام الإسلام تتناسب مع فطرة الإنسان وعقله وقلبه ، وقلنا بأنّ العقل يُنْظَرُ إليه بنظرتين : تارةً يُنْظَرُ إلى العقل بما أنّه قوّة مفكِّرة ، وتارةً أخرى بما أنّه قوّة مُنْتِجَة تُنْتِجُ الأحكام ، لذلك مصادر الاستنباط هي : الكتاب والسّنّة والإجماع والعقل .

إنّ العقل مصدر من مصادر استنباط الحكم الدّينيّ ، لذلك يُسْتَدَلُّ على وجود الله بالدّليل العقليّ ، تنظر إلى المخلوقات فتعرف وجود الخالق ، وهذا دليل عقليّ .

أو تقرأ قوله تعالى :

"لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا" [١] .

وهذا دليل عقليّ وإن ذكره القرآن الكريم ، والآية القرآنيّة إرشاد إلى حكم العقل .

إذن العقل قوّة مُنْتِجَة ، وهذا يتناسب مع عالميّة الإسلام ، فالعقل مُنْتِجٌ للأحكام ، وإذا طَرَحْنَا في العالم أنّ الإسلام يتبنّى العقل المُنْتِج للأحكام فالإسلام يُقْبَلُ عالميًّا ، وإذا قلنا بأنّ جميع الأحكام تعبّديّة ولا دور للعقل في إنتاج وتوليد الأحكام فهذا الدّين لا يُقْبَلُ من قِبَلِ النّاس ، والعقل أمر عالميّ ، ولا بدّ أن يكون الإسلام متوافقًا مع عقل الإنسان ، والله أعطاك عقلًا لتفكّر به ، لذلك يأتي السؤال التالي :

هل نحتاج إلى العقلانيّة في الأحكام الشّرعيّة أو لا نحتاج ؟

الجواب :

نعم نحتاج ، لا بدّ أنّ الأحكام الشّرعيّة تتناسب مع العقل ، وإذا كانت الأحكام الدّينيّة غير متناسبة مع العقل فالدّين لا يكون دينًا عالميًّا ، ولا يكون مقبولًا عند النّاس ، فإذا كان يوجد أمر عقليّ مُسَلَّم به عند جميع البشر ويأتي الدّين بحكم مخالف لهذا الأمر العقليّ فلا يقبلون هذا الدّين ، لذلك لا بدّ أن تكون جميع الأحكام الدّينيّة متوافقةً مع عقل الإنسان ، وليس المقصود أن يأتي شخص ويقول

---

[١] الأنبياء : ٢٢ .

يتوافق مع العقل ، وشخص آخر يقول لا يتوافق مع العقل ، بمزاجهما ، وإنّما ننظر إلى جميع الناس ، فعقولهم تتقبّل أو لا تتقبّل .

طبعًا في دائرة الأحكام التّعبّديّة لا مجال لإعمال العقل ، مثلًا صلاة الصّبح ركعتان ، الشّخص هنا لا يقول عقلي يحكم بأن تكون صلاة الصّبح ثلاث ركعات ، وصلاة المغرب ثلاث ركعات وصلاة العشاء أربع ركعات لا تتغيّر ، قد تقول إنّ الشّخص في أوّل اللّيل يكون نشيطًا ، فعقلي يقول بأن تكون صلاة المغرب أربع ركعات ، وفي وقت العشاء يكون الشّخص متعبًا فلا بدّ أن تكون صلاة العشاء ثلاث ركعات ، نقول هذا ليس مجالًا لإعمال العقل ، هذا حكم تعبّديّ ، والله تعالى يتعبّدنا بهذا الحكم ، هذا لا يدخل في دائرة العقل ، فالصّلوات تدخل في التّعبّديّات ، وتوجد أحكام تدخل في دائرة العقل ، والدّين يقول بعرض بعض الأمور على العقل ، والعقل يُنْتِجُ لنا حكم هذا الأمر ، وهذا الحكم العقليّ يصير حكمًا شرعيًّا ، لذلك توجد عندنا أهمّيّة العقل في الإسلام ، وهذا سيأتي في بحث مستقلّ إن شاء الله تعالى .

ونحن هنا نطرح نقاطًا سريعةً ، وفي هذه النّقاط السّريعة نحتاج إلى بحوث تفصيليّة ، وقد ذكرت مرّات أنّه نحتاج في هذا الأمر بحثًا ، وفي ذاك الأمر بحثًا ، والبعض يستعجل ويريد البحوث التّفصيليّة ، أنا أريد أن أمهّد من خلال هذه النّقاط السّريعة لما سيأتي بعد ذلك ،

فالمستمع يعرف المنهج بأنّ ما يُطْرَحُ في هذه المحاضرات يكون ضمن هذه العناوين ، وأنّه يمكن أن يُبْحَثَ كلّ عنوان بشكل تفصيليّ ، والبحوث التّفصيليّة ستأتي فيما بعد ، ولو أردنا أن نبحث كلّ نقطة بحثًا تفصيليًّا لاستغرق كلّ بحث عدّة محاضرات .

وقد وضعت منهجيّة معيّنة لهذه المحاضرات ، سيرنا سيكون ضمن هذه المنهجيّة ، أبدأ بالعقائد ، والبحث أوّلًا عن الله سبحانه لا عن التّوحيد ، ثمّ العدل ، ثمّ النّبوّة ، ثمّ الإمامة ، ثمّ المعاد ، وبعد ذلك نبحث المواضيع الأخرى بعد تثبيت أصول الدّين ، وستنفتح أبواب البحوث ، وما أكثر العناوين ، وبيّنت هذه العناوين في المحاضرة الأولى في الأسئلة التّمهيديّة حيث ذكرت مجموعة من الأسئلة الّتي تحتاج إلى إجابات ، وموضوع "عالميّة الإسلام" بهذا الشّكل التّفصيليّ غير مبحوث ، ونحاول أن نستفيد ممّن طرح هذا الموضوع ونضيف عليه ، والبعض قد تكلّم عن عالميّة الإسلام ، فنأخذ منهم العناوين ونفصِّل فيها ، ونضيف عليها عناوين أخرى .

إذن الإسلام يتوافق مع فطرة الإنسان وعقله وقلبه ، بالإضافة إلى ذلك فإنّ الإسلام يتناسب مع السّيرة العقلائيّة الّتي هي الأعراف الاجتماعية ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله حينما جاء إلى المجتمع في مكّة المكرّمة كانت عندهم بعض الأعراف الاجتماعيّة المعيّنة ، طبعًا بعض الأعراف حرّمها النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، مثلًا وَأْدُ البنات

ودفنهنّ وهنّ حيّات يُعْتَبَرُ قتل نفس محترمة .

"وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" [١] .

هذا الأمر لا يقبله الإسلام فيلغي هذا العُرْف ، وبعض العادات عادات مباحة فالإسلام لا يعترض عليها ، تأكل بيدك أو تأكل بملعقة فالإسلام لا يعترض ، فيقول لك يجوز ، فالسّيرة العقلائيّة الّتي لا تتعارض مع حكم شرعيّ يكون عرفًا مباحًا جائزًا ، فهذه الأعراف الاجتماعيّة المباحة لا يعترض عليها النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، مثلًا منطقة الجزيرة العربيّة منطقة حارّة ، وأفضل لباس لهذه المنطقة هو الثّوب الأبيض ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله حينما يلبس الثّوب الأبيض فهل يكون من باب الاستحباب أو من باب أنّ هذا هو اللّباس المناسب للبيئة الصحراويّة ؟

هذا هو اللّباس المناسب للجوّ الحار ، لو أنّ رسولًا بُعِثَ إلى منطقة باردة فهل يلبس الثّوب الأبيض أو الثّوب الدّاكن اللّون الّذي يتناسب مع الجوّ البارد ؟

حتمًا يلبس اللّباس المناسب للجوّ البارد .

---

[١] النّحل : ٥٨ – ٥٩ .

وهل يلبس الإزار والرّداء فقط أو يلبس أكثر من هذا لكي يشعر بالدّفء ؟

حتمًا يلبس أكثر من قطعتين لكي يتّقي البرد ، ونرى بعض المسلمين حينما يسافرون إلى المناطق الباردة الّتي فيها ثلوج يلبسون الدّشداشة القصيرة والسّروال فقط ، ويمشي في الثّلج بهذا اللّباس مع أرجله المكشوفة ، هذا اللّباس لا يتناسب مع الجوّ الشّديد البرودة ، هم يظنّون أنّه ما دام أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لبس هكذا فهذا اللّباس واجب أو مستحبّ ، الأنبياء عليهم السّلام حينما يكونون في مكان فإنّهم يلبسون لباس أهل ذلك المكان أو الزّمان .

في الرواية عن الإمام الصّادق عليه السّلام : ". . . فخير لباس كلّ زمان لباس أهله . . ." [١] .

وأنت حينما تسافر إلى الدّول الغربيّة فإنّك تلبس "البنطلون" والقميص ، فتلبس مثلما يلبسون ، ولا تذهب بالدّشداشة لأنّ شكلك يكون غريبًا بالنّسبة لهم ، فتلبس اللّباس الّذي يتناسب مع المكان والزّمان .

والنّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يأكل بيده ؛ لأنّ النّاس في ذلك الزّمان والمكان كانوا يأكلون بأيديهم ، لنفرض أنّ رسولًا بُعِثَ إلى مكان يجلسون على الكرسيّ ويضعون أواني الطّعام على الطّاولة

---

[١] الكافي ج١ ص٤١١ ح٤ .

ويأكلون بالملعقة ، فهذا الرّسول إذا قال لهم بأنّه يستحبّ الجلوس على الأرض والأكل باليد فإنّهم يقولون له لا نريدك ، فهو يأكل مثلما يأكلون ، فيجلس على الكرسيّ ويأكل بالملعقة ؛ لأنّ هذ أمر عرفيّ موجود عندهم ، وهذا الأمر العرفيّ مباح ، والرّسول الّذي يأتي إلى هذه المنطقة لا يخالف الأعراف المباحة حتّى لا يكون مختلفًا عنهم ، وإذا كان مختلفًا عنهم في أعرافهم فلا يقبلونه ، لذلك بعض الأحكام الّتي تُطْرَحُ بعنوان الاستحباب قد تكون في الواقع أمورًا مباحةً ، كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقوم بهذه الأعمال لأنّها تتناسب مع الأعراف الاجتماعيّة الموجودة في ذلك الزّمان ، وكلّ فعل يقوم به النّبيّ صلّى الله عليه وآله قد يُعْطَى عنوان الاستحباب ، ولكنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يقوم بأعمال مباحة ، لا أنّ جميع أفعاله مستحبّة ، حينما يلبس ثوبًا أبيض فهذا عمل مباح ، وقد يقول البعض باستحباب لبس الثّوب الأبيض أو لبس الإزار والرّداء أو الأكل باليد أو لبس نعال خاصّ ، النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يلبس لباس ذلك الزّمان ، وكان يأكل بطريقة ذلك الزّمان ، وكان يلبس النّعال المتوفّر في ذلك الزّمان ، فليس بالضّرورة أنّ كلّ عمل يقوم به النّبيّ صلّى الله عليه وآله يكون من باب الاستحباب ، لا بدّ أن ننظر إلى نفس الفعل ، هل النّبيّ صلّى الله عليه وآله أسّس عملًا معيّنًا أو قام بعمل جديد لم يكن موجودًا سابقًا أو قال إنّ هذا عمل

مستحبّ أو قام بهذا العمل لأنّه يتناسب مع العرف الاجتماعيّ الموجود في زمانه فيسير على العرف الموجود ولا يخالفه فيكون من باب الإباحة لا من باب الاستحباب ؟

هذا سؤال عامّ ، والفقهاء يبحثون في كلّ عمل عمل ليعرفوا حكمه الشّرعيّ ، ويمكن أن يُبْحَثَ في أنّ بعض الأعمال الّتي يُقَالُ باستحبابها قد تكون أعمالًا مباحة لا مستحبّة .

يوجد أناس في البلدان الأفريقيّة يلبسون الملابس المزركشة يغلب عليها اللّون الأحمر مثلًا ، لو أُرْسِلَ نبيّ إلى هذه المناطق ماذا يلبس ؟

حتمًا يلبس نفس ملابسهم لا لباسًا آخر ، وهذا اللّباس لباس مباح يتناسب مع العرف الموجود عندهم ، وقد يكون هذا لباسهم لمئات السنين ، وهل النّبيّ يأتي ليعالج مشاكلهم وتكون أهم مشكلة هي اللّباس المزركش أو الدّشداشة الطّويلة والقصيرة ؟!

ولنفرض مُصْلِحًا يأتي لإصلاح أوضاع المجتمع ، فهل من مشاكل المجتمع أنّ الناس يلبسون اللّباس المزركش أو الأبيض أو الأسود ؟!

هذه لا تعتبر مشكلة أصلًا ، فيأتي ويلبس مثلما يلبسون لأنّه لا توجد مشكلة في لون الثّوب .

إذن الإسلام يتناسب مع فطرة الإنسان ، والموارد الّتي نحتاج فيها إلى الفطرة سأذكرها ، مثلًا في إثبات وجود الإله نحتاج إلى الدّليل الفطريّ ، وسأبيّن كيف أنّ الفطرة تدلّ على وجود خالق للكون ،

ونأخذ الدّليل الفطريّ تفصيلًا حينما نصل إلى إثبات وجود الإله الخالق للكون .

ويتناسب الإسلام أيضًا مع عقل الإنسان ، والموارد الّتي نحتاج فيها إلى الدّليل العقليّ سأذكرها ، فمن المبادئ الإسلاميّة الإيمان بالعقل ، والعقل يمكنه أن يَصِلَ إلى كثير من الحقائق ، والعقل مجاله واسع جدًّا ، والله عزّ وجلّ أعطى الإنسان العقل ليفكّر به ، ويصل بواسطته إلى الحقائق ، والإنسان يبحث عن الحقيقة ، حتّى في القضايا الدّينيّة ، مثلًا حينما تجد اختلاف الأحكام الدّينيّة بين العلماء ، أحدهم يقول إنّ هذا العمل واجب ، والآخر يقول إنّه مستحبّ ، أنت تريد الحقيقة ، تريد أن تعرف أنّه واجب أو مستحبّ ، أيّهما هو الحقيقة ، وأحيانًا لا تعرف لأنّ كلا العالمين يستعملان نفس الدّليل ، ولكنّ الأوّل يفهم أنّ الدّليل يدلّ على الوجوب ، والثّاني يفهم أنّ نفس الدّليل يدلّ على الاستحباب ، مثلًا رمس الرّأس في الماء أثناء الصّيام بعض الفقهاء يقولون بأنّه يبطل الصّيام ، والبعض يقول بأنّه لا يبطل الصّيام ، أيّ الحكمين هو الحقيقة ؟

هذا الأمر ليس أمرًا عقليًّا ، فالعقل لا يمكنه أن يقول بأنّ هذا العمل يُبْطِلُ الصّيام أو لا يُبْطِلُ الصّيام ، والفقيه يفتي بحسب ما يفهم من الدّليل ، فالدّليل على ماذا يدلّ ؟

إذا كان الدّليل هو الرواية ، فهذه الرّواية على ماذا تدلّ ؟

نعم العقل قادر على الوصول إلى كثير من الحقائق .

وننظر أيضًا إلى السّيرة العقلائيّة والعرف الاجتماعيّ ، ففي بعض الموارد الأحكام الشرعيّة تتناسب مع الأعراف الاجتماعيّة .

المظهر الثّاني عشر :

عقائد الإسلام لا بدّ أن تكون واضحةً بأصولها وأهدافها ، وشريعة الإسلام لا بدّ أن تكون بيّنةً بفرائضها وسننها ؛ لكي يتقبّلها كلّ إنسان حينما يطّلع عليها .

بعض العبارات الّتي أقولها هنا أخذتها من بعض المصادر بتصرّف وإضافة لأنّ العبارة أعجبتني ، والمصادر الّتي استفدت منها ستكون مذكورة ضمن مصادر البحث إذا طُبِعَتِ المحاضرات على شكل كتاب ، وبعض العبارات الّتي أذكرها في هذه المحاضرات تكون مزيجًا من عدّة عبارات مذكورة في عدّة مصادر .

إذن عقائد الإسلام لا بدّ أن تكون واضحةً بحيث حينما تُعْرَضُ على أيّ إنسان يقبلها ، وإذا يوجد أمر تعرضه على النّاس ولا يقبلونها فلا بدّ أن نراجع الأدلّة ، فالدّليل قد لا يدلّ على هذا الأمر ، ونكون قد أخطأنا في فهم الدّليل ، فمبادئ الإسلام وتعاليمه لا توجد فيها ألغاز وغموض ، فلا توجد ألغاز في الأحكام الدّينيّة ، ولا بدّ أن يكون الحكم واضحًا لكي يتقبّله النّاس .

نحن نعتقد بأنّ الإسلام دين سماويّ جاء من الله العليم الخبير ، وأوحاه تعالى بواسطة جبرئيل عليه السّلام إلى نبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله ، فالدّين الإسلاميّ ليس دينًا وضعيًّا ، فهذا الدّين لم يضعه النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فهو من الشّرائع السّماويّة الثّلاثة ، وهي : اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ، لذلك يوجد تقارب بين هذه الشّرائع ، والدّين عند الله واحد .

"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ" [١] .

وجميع الشّرائع السّماويّة هي ضمن دين واحد ، وكلّها إسلام بالمعنى الأعمّ ، والشّريعة الإسلاميّة هي الإسلام بالمعنى الأخصّ ، ولا بدّ أن نفرّق بين إسلام الدّين وإسلام الشّريعة ، فجميع الأنبياء جاؤوا للدّعوة إلى دين الإسلام ، فالدّين واحد والشّرائع مختلفة .

والإسلام دين سماويّ من الله تعالى ، وهذا هو اعتقاد المسلمين ، والبعض يقول بأنّ دينكم ليس سماويًّا ، ويأتي ببعض الإشكالات على الإسلام ، وهؤلاء نفتح معهم باب النّقاش ، لا أن نقول مباشرةً أنت كافر ، مجرّد إطلاق الألقاب على الآخرين لا يحلّ مشكلة ، فلان كافر ، وفلان ملحد ، وفلان مرتدّ ، بهذه الألقاب لا تحلّ الإشكالات الواردة على الإسلام ؛ لأنّ الإشكالات الموجودة عندهم تنتشر بواسطة وسائل التّواصل ، ويمكن أن تنتشر أيّ رسالة إلى جميع

---

[١] آل عمران : ١٩ .

أرجاء العالم خلال خمس دقائق ، فالإشكالات تنتشر حتّى لو قلت بكفر أصحابها أو إلحادهم أو ارتدادهم ، يجب على المسلمين طرح حلول للإشكالات المطروحة ، هو كافر أو ليس بكافر هذا عند الله عزّ وجلّ ، ومن المهمّ أن نحلّ الإشكالات ، فحينما يطرحون تساؤلًا أجب على هذا التّساؤل ، ولا يكفي أن تقول بكفره ، والألقاب لا تحلّ الإشكالات ؛ لأنّ شباب المسلمين يتعاملون مع وسائل التّواصل ، فتصل إليهم الإشكالات ، ولكنّهم لا يحصلون على الأجوبة ، يذهب إلى بعض من يَتَسَمَّوْنَ باسم علماء الإسلام ، فيقول لهم لا تسأل هذا السّؤال ولا تفكّر به لأنّه خطّ أحمر ، ولكن في زماننا الحاليّ لا توجد خطوط حمراء ، فالأسئلة والإشكالات تَرِدُ على كلّ شيء ، توجد إشكالات على وجود الله سبحانه ، وتوجد إشكالات على القرآن ، لا بدّ أن تحلّ هذه الإشكالات ، وإذا لا يمكنك حلّ الإشكال فيقال بأنّ هذا القرآن ليس كتابًا سماويًّا ، وتوجد إشكالات على النّبوّة ، وإشكالات على الإمامة ، وإشكالات على المعاد ويوم القيامة ، هذه الإشكالات لا بدّ أن يُجَابَ عليها ، وإذا لا نجيب على هذه الإشكالات فالإشكالات تنتشر ، لذلك فالإلحاد ينتشر لأنّنا لا نجيب على أسئلتهم ، ونكتفي بقول أنت مرتدّ ، ولا يمكن حلّ المشاكل بهذا القول ، ولا بدّ أن ننشر أجوبة الإشكالات ، ولا بدّ أن يكون الجواب جوابًا مُقْنِعًا ،

وقول أنت كافر وضالّ ومرتدّ لا يحلّ المشكلة ، وزماننا الحاليّ هو زمان الإشكالات ، وزمان التّمحيص ، الآن المسلم يُمَحَّصُ وَيُمْتَحَنُ ، فهل ينجح في الامتحان أو لا ينجح ، أنت أيضًا لديك بعض الإشكالات ، ولكن لأنّك مُتَدَيِّن لا تطرح هذه الإشكالات ، ويأتي سؤال في أذهان جميع النّاس : مَنْ خَلَقَ اللهَ ؟

وهذا السّؤال يأتي في ذهن كلّ إنسان ولو مرّة واحدة في وقت ما في حياته ، ولكنّك تغلق الباب ولا تسأل هذا السّؤال لأنّك تظنّ بأنّه لا يمكن الوصول إلى جواب ، ولكن هذا السّؤال له جواب أيضًا ، وكلّ سؤال يأتي في ذهن أيّ إنسان له جواب ، هل هذا الخالق له خالق أيضًا أو لا ؟

إذا كان مخلوقًا فهو ليس خالقًا ، وتذهب إلى الخالق الثّاني وتسأل : مَنِ الّذي خلقه ؟

وإذا قلت بأنّ له خالقًا إذن هو مخلوق وليس خالقًا ، وتستمرّ بالسّؤال إلى أن تصل في آخر المطاف إلى الخالق الّذي ليس له خالق ، وفي نهاية السّلسلة يوجد خالق غير مخلوق ، ولا يحتاج إلى خالق ؛ لأنّه إذا احتاج إلى خالق فهو ليس بخالق ، والخالق في نهاية السّلسلة موجود منذ الأزل وإلى الأبد ، فليس له بداية ، وليس له نهاية ، وهذا سيأتي في البحوث العقائديّة ، وهذا استدلال بسيط يمكن فهمه من جميع النّاس ، وأمّا الاستدلالات المعمَّقة فنحاول

تبسيطها لكي يعرف النّاس أجوبة الإشكالات ، وسأذكر أحيانًا بعض الأمثلة العرفيّة الّتي تتناسب مع أذهان الجميع لكي نُبَسِّطَ البحوث قدر الإمكان .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(١٠)

تابع مظاهر عالميّة الإسلام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في مظاهر عالميّة الإسلام ، ونكمل باقي المظاهر .

المظهر الثّالث عشر :

أكبر مظهر من مظاهر عالميّة الإسلام هو رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وإذا أردنا أن نعرف النّبيّ صلّى الله عليه وآله علينا أن ندرس حياته دراسة موضوعيّة منذ بداية نشأته إلى التحاقه بالرّفيق الأعلى ، علينا أن ندرس أسلوبه في الحياة ، ومنهجه في التّفكير ، وتصرفاته قبل البعثة في بيئة الشّرك والجاهليّة ، وندرس تصرفاته بعد البعثة كمنقذ للبشريّة من الشّرك والضّلال والجمود والتّخلّف ، وندرس

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٧/١٢/٢٩ م .

رسالة النّبيّ صلّى الله عليه وآله أصولًا وفروعًا ، ومدى تأثيرها في حياة الأفراد والجماعات .

توجد محاولات كثيرة لتشويه الإسلام وتشويه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذا التّشويه مذكور في كتب المسلمين ، ولكن يمكن تمييز هذه المحاولات بالرّجوع إلى القرآن الكريم ، ونبدأ بمعرفة سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله من القرآن أوّلًا ، فنرجع إلى الآيات الّتي تتحدّث عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ويمكن استخراج حياة النّبيّ صلّى الله عليه وآله والظّروف الّتي أحاطت به من القرآن ، وبعد ذلك نأتي إلى التّاريخ المذكور في كتب المسلمين ونعرض كلّ ما فيه على القرآن ، وسنجد اختلافًا كبيرًا بين حياة النّبيّ صلّى الله عليه وآله في القرآن وما ذُكِرَ في كتب المسلمين ، وحينما يكتب بعض الكتّاب عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو ينتجون الأفلام المسيئة له صلّى الله عليه وآله يقولون بأنّهم أخذوا هذه المعلومات من مصادر المسلمين وكتبهم ، إذن فكتب المسلمين تحتاج إلى تنقيح لكي نأخذ ما يتناسب مع القرآن ، ولعلّ الله يوفقنا لدراسة حياة النّبيّ صلّى الله عليه وآله من القرآن ، فنأخذ الآيات الّتي تتحدّث عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وسنجد الاختلاف الكبير بين القرآن وما تنقله الكتب ، وسنجد تشويهًا كبيرًا لشخصيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولكنّ القرآن هو المحور ، اعرضوا ما ورد عنّا على القرآن كما رُوِيَ عن أهل

البيت عليهم السّلام ، ما وافق القرآن فخذوا به ، وما لم يوافق القرآن يكون مرفوضًا .

إنّ القرآن يعطينا التّمييز بين الحقّ والباطل في سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو في أيّ موضوع آخر ؛ لأنّ القرآن ليس مُحَرَّفًا ، فنحن نعتقد بأنّ القرآن الموجود بأيدينا اليوم غير مُحَرَّف ، وأمّا الرّوايات فتوجد فيها الموضوعات والنّقل بالمعنى ومشاكل أخرى ، هذه المشاكل لا توجد في القرآن ، فالقرآن هو المحور ، فنأخذ سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله من القرآن ، وبذلك يمكننا التّمييز بين الحقّ والباطل الموجود في الرّوايات المنقولة .

المظهر الرّابع عشر :

من مظاهر عالميّة الإسلام بناءً على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام أنّه من بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله يأتي الأئمّة عليهم السّلام ، وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يعتقدون بالأئمّة عليهم السّلام ، فالأئمّة عليهم السّلام مظهر من مظاهر عالميّة الإسلام ، وهذا يحتاج إلى إثبات ، فنحتاج إلى إثبات الإمامة كما نحتاج إلى إثبات النّبوّة عن طريق العقل والنّقل .

والبحوث العقائديّة أوّلًا هي بحوث عقليّة ، فحينما نتكلم عن الله تعالى فمن الأدلّة على إثبات وجود إله خالق للكون الدّليل العقليّ ، ولا بد أن نسأل العقل : هل نحتاج إلى الأنبياء أو لا نحتاج ؟

وهل نحتاج إلى أئمّة من بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو لا نحتاج ؟

وهل لا بدّ من وجود المعاد ويوم الحساب ؟

والبحث هنا بحث عقليّ ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات لكي نرى أنّ الرّوايات ماذا تقول بعد أن نُثْبِتَ الحاجة إلى النّبوّة والإمامة بالعقل ، فالبحوث العقائديّة بالأصل هي بحوث عقليّة قبل أن نأتي إلى الأدلّة النّقليّة ، ونحتاج إلى بحث عن الله تعالى ، وعن النّبوّة ، وعن الإمامة لكي نبيّن أنّ الإمامة تتناسب مع عالميّة الإسلام ، وتأتي هذه البحوث تباعًا إن شاء الله تعالى .

المظهر الخامس عشر :

الإسلام يشجّع على طلب العلم ويحثّ عليه ، وتوجد آيات قرآنية وروايات شريفة تتحدّث عن طلب العلم ، وطلب العلم أمر مهمّ في ديننا الإسلاميّ ، وهذا يتناسب مع عالميّة الإسلام ، ونحن الآن في عصر العلم والمعلومات ، الآن أيّ معلومة تريد أن تصل إليها تذهب إلى البحث وتكتب كلمة أو كلمتين من هذه المعلومة الّتي تريدها فتصل إلى مجموعة من المصادر ، وعمليّة البحث الآن عن المعلومات عمليّة سهلة ، سابقًا كان العالم يبحث عن كتاب معيَّن فيذهب إلى المكتبة ، والآن المكتبة جاءت إلى بيتك ، ولكنّ النّاس لحدّ الآن لم يستفيدوا من هذه الوسيلة الاستفادة المطلوبة .

مثلًا يرسلون بعض الأسئلة الشّرعيّة إلى مكاتب المراجع ، مع أن الأجوبة موجودة في الإنترنت على مواقع العلماء ، ولكن كيفيّة البحث عن المعلومة المطلوبة غير واضحة عند النّاس ، لا بدّ أن يتعلّموا كيفيّة البحث عن المعلومة المطلوبة ضمن هذا الكمّ الهائل من المعلومات على شبكة الإنترنت ، فالإنترنت الآن عبارة عن مكتبة عالميّة ، كلّ الكتب الموجودة في العالم يمكن أن تبحث فيها خلال ثواني معدودة ، يمكنك الدّخول إلى أيّ مكتبة في العالم والبحث فيها عمّا تريد ، ولكنّ المشكلة أنّ النّاس لا يطلبون العلم ، طلب العلم قليل في بلاد المسلمين ، قلّة من المسلمين هم الّذين يبحثون عن العلم ، ولكنّ أكثر المسلمين ليسوا طلّابًا للعلم ، فتجد كثيرًا من الأشخاص لم يقرأ كتابًا ولم يسمع محاضرةً منذ مدّة طويلة ، وكلّ الانشغالات تكون في وسائل التّواصل ، ويضيّعون ساعات وساعات في قراءة رسائل الواتساب ، مع أنّه يمكن الاستفادة من الواتساب في نشر المعلومات المفيدة ، ومن المهمّ أن نتعوّد على قراءة الكتب لكي نكتسب العلم ، ومقاطع الفيديو القصيرة ضمن دقيقة أو دقيقتين لا تعطيك علمًا ، تعطيك معلومة سريعة ، ولكن لا بدّ أن تتعوّد على البحث إذا أردت أمرًا معيَّنًا لكي يمكنك أن تجمع المعلومات الكافية عن هذا الأمر ، وهذا يحتاج إلى جهد ، فالإنسان لا بدّ أن يعطي وقتًا وجهدًا للبحث .

مثلًا بعض المسائل في الطّهارة والنّجاسة المفروض أن تكون من المسائل البديهيّة ، وبعض النّاس ما زالوا يسألون عن كيفيّة تطهير بعض الـمُتَنَجِّسات ، المفروض أن تكون هذه من المسائل المعروفة ، بعض المسائل في التّقليد تعتبر من البديهيّات ، وفي الصّلاة توجد مسائل بديهيّة ، ولكن لحدّ الآن يسأل بعض النّاس عن هذه المسائل البديهيّة ، والّذين يسألون ليسوا من صغار السّنّ ، وإنّما من كبار السّنّ الّذين قد تتجاوز أعمارهم الأربعين والخمسين سنة ، والمفروض أن يعرف جواب هذا السّؤال حينما كان عمره خمس عشرة سنة ، وهذا معناه أنّه لا يطلب العلم ، لو كان من طلّاب العلم لدرس الرّسالة العمليّة ، ولَمَا كان يسأل هذا السّؤال البديهيّ ، ومن المهمّ أنّ جميع النّاس يهتمّون بطلب العلم ونحن الآن في عصر العلم ، والإنسان في زماننا الحاليّ بدون علم لا يمكنه أن يسير في حياته بشكل صحيح ، لا في الأمور الدّنيويّة ولا في الأمور الدّينيّة .

إذن الدّين يدعو إلى طلب العلم ، وطلب العلم ليس من أجل العلم فقط ، فليس الهدف أنّ الإنسان يجمع كمّيّة كبيرة من المعلومات في ذهنه ، وإنّما الهدف هو تحويل العلم إلى عمل ، العلم يعطيك نورًا وبصيرة ، والإنسان الّذي يُقْدِمُ على أيّ عمل فمع العلم يمكنه تمييز الحقّ من الباطل ، والصّحيح من الخاطئ ، وما أكثر الباطل حولنا ، وعلى الإنسان أن يعرف كيف يميّز بين الحقّ والباطل ، وبدون العلم

لا يمكنه التمييز بينهما ، لذلك عنده أمور حقّ ، ولكن مع ذلك يعتقد بأمور باطلة ، أو من ناحية عمليّة يقوم بأعمال باطلة ، أو من حيث الحبّ والبغض يحبّ أعداء الدّين ، فهو لا يستطيع التّمييز أنّ هذا عدوّ من أعداء الدّين ، إبليس أليس هو عدوًّا للإنسان ؟ ألا يقول الله تعالى : **"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا"** [1] ؟

ولكن نحن غير ملتفين إلى أنّه عدوّ ، نعم من ناحية نظريّة عندنا العداء لإبليس ، ولكن لماذا يقع النّاس في المحرّمات ؟ لماذا تنشأ المشاكل بين النّاس ؟ لماذا تحدث الحروب في العالم ؟ لماذا توجد مشاكل كثيرة في العالم ؟

القائد الأعلى للضّلال هو إبليس ، ولكنّنا غير ملتفتين إلى ذلك ، تُعَاتِبُ شخصًا ، ولكنّ إبليس يقف خلفه ، وسيأتي موضوع مستقلّ عن إبليس والشّياطين من القرآن الكريم إن شاء الله ، نأتي بالآيات الّتي تتحدّث عن إبليس ، ونستعين بالرّوايات ، نريد أن نعرف من هو إبليس ؟ وكيف يمكن أن نَتَّقِيَ إبليس ؟ كيف يمكن للإنسان أن يميّز صوت الشّيطان حينما يُوَسْوِسُ له ؟

تحدث المشاكل بين شخصين لأنّ إبليس هو المحرّك لهما ، وكلاهما غير ملتفت إلى أنّ إبليس هو الّذي يوسوس لهما ، القوّة الغضبيّة تصعد عند الإنسان فإبليس يرى له مجالًا أن يوسوس لهذه النّفس ،

---

[1] فاطر : ٦ .

فيوسوس للإنسان الغاضب ، يخرجه عن طوره ، وقد يقوم هذا الإنسان الغاضب بقتل شخص آخر ، وتقرءون في الجرائد أنّ بعض الأشخاص عندهم مشاكل عائليّة ، وهذه المشاكل العائليّة أدّت إلى القتل ، أو في المجمّعات التّجاريّة يحصل قتل بسبب موقف سيارة ، هذا أخذ موقفه فينزل له بسكّينة ويقتله ، والنّاس لا يلتفتون إلى أنّ إبليس يوسوس لهم ، لم يتّخذوا إبليس عدوًّا لهم ، ومن يتّخذه عدوًّا لا بدّ أن يعرف كيف يدخل إليه ، لا بدّ أن يلتفت إلى ذلك لكي يميّز وسوسة الشّيطان ، ونحن لا نميّز صوت إبليس ، لذلك تحدث المشاكل بين النّاس .

داخل البيت الواحد توجد مشاكل ، بين الزّوج والزّوجة توجد مشاكل ، ونسبة الطّلاق في الإحصائيّة الأخيرة ٥٠% تقريبًا ، لماذا يحدث الطّلاق بين الزّوجين ؟

وأكثر المطلّقين بين ٣٠ و ٤٠ سنة ، فهم ليسوا صغارًا بالعمر ، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يميّزوا صوت الشّيطان ، نعم في صغار السّنّ توجد أيضًا حالات طلاق .

الحياة الدّنيويّة الّتي يعيشها النّاس لا تعطيهم القدرة على التّمييز ، فهم يركضون وراء هذه الدّنيا ، الإنسان الّذي يرتبط بالله تعالى فالله عزّ وجلّ يعطيه شيئًا بسبب هذا الارتباط .

يقول تعالى في كتابه الكريم :

"وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ" [١] .

علم خاصّ من الله تعالى يحصل عليه الإنسان بسبب التّقوى ، وكلّما يرتبط الإنسان بالله أكثر يستطيع أن يميّز بين الحقّ والباطل أكثر .

والإنسان حينما يحصل على العلم لا يقع في المتابعة العمياء ، لأنّ فلانًا من قبيلته أو عشيرته أو عائلته فينصره ، ويتّبع ما وجد عليه من آبائه وأجداده ، ولأنّ فلانًا فعل فأنا أفعل ، بلا أيّ تفكير ، فهو لا يملك العلم لكي يميّز بأنّ هذا الفعل صحيح أو خاطئ ، والإسلام يندّد بالمتابعة العمياء بلا تفكير .

المظهر السّادس عشر :

وكذلك يؤمن الإسلام بالعمل وبذل الجهد لحياة أرقى وأقوم ، ويؤمن أيضًا بالعدل والحرّيّة والمساواة ، هذه شعارات تُطْرَحُ ، ولكنّنا نطرحها بنظرة الإسلام ، والحرّيّة لا تعني الحرّيّة بلا حدود ، بل الحرّيّة المقيَّدة ، فالإنسان عبد لله ، والله يعطيك الحرّيّة ، فإذا عبدت الله فأنت تتحرّر من كلّ عبوديّة أخرى ، ولا تعني الحرّيّة أن تفعل كلّ ما تريد ، فتوجد قيود على حركة الإنسان ، ولا توجد حرّيّة مطلقة حتّى في الدّول الّتي تنادي بالحرّيّة المطلقة ، حيث توجد قوانين وضعيّة تقف أمام الحرّيّة المطلقة للإنسان ، فالقوانين لا تعطي الحرّيّة الكاملة

---

[١] البقرة : ٢٨٢ .

في أن يفعل الفرد ما يريد ، فالحرّيّة مُقَيَّدَة دائمًا ، تارةً بالقانون الوضعيّ ، وتارة أخرى بالقانون الإلهيّ ، فالقانون الوضعيّ أيضًا يُقَيِّدُ الإنسان ، فلا توجد حرّيّة مطلقة في أيّ دولة من الدّول ، في الدّول الغربيّة إذا أزعج جاره فإنّه يتصل بالشّرطة فيأتون مباشرةً ، فهذا الجار ليس حرًّا تمامًا ، فحرّيّة كلّ إنسان حرّيّة مقيَّدة .

وكذلك في الدّين توجد حرّيّة مقيَّدة ، ولكن هذه الحرّيّة تفرق عن الحرّيّة الأخرى ، فالإنسان يتحرّر من عبوديّة كلّ شيء حينما يكون عابدًا لله تعالى العبوديّة الكاملة ، وهذه هي الحرّيّة الحقيقيّة ، فلا يوجد شيء يَسْتَعْبِدُكَ ، لا إنسان ولا مال ولا دنيا ، فأنت حرّ ، وتتعامل مع الأشياء بناءً على عبوديّتك لله تعالى ، فتعرف أنّ جميع الأشياء أمانة بيدك ، والله جعل كلّ شيء ودائع وأمانات بيد الإنسان ، والإنسان يُحاسَبُ على هذه الأمانات .

المظهر السّابع عشر :

وكذلك يؤمن الدّين بالثّورة ضدّ الجهل والظّلم والاستغلال ، فلا يقبل الإنسان الجهل ولا الظّلم ولا الاستغلال ، ونؤمن بأنّ الدّنيا مزرعة الآخرة ، فأنت هنا في هذه الدّنيا تزرع وتحصد هناك في الآخرة ، فلا تعمل في الدّنيا من أجل الدّنيا ، وتنظر إلى الدّنيا بمقياس الآخرة ، تعمل هنا وتعرف أنّ النّتيجة ستأخذها في الآخرة ، لذلك حركاتك ستكون بميزان لا بطريقة عشوائيّة ، وتعرف أنّ هذا الّذي

تفعله الآن له انعكاس أخرويّ ، فأفعالك تكون بمقياس الآخرة ، فالإنسان يعيش في الدّنيا ، ولكنّه إنسان أخرويّ ، إنسان إلهيّ ، وهذا هو المطلوب من كلّ إنسان ، فكلّ عمل تقوم به تسأل : ما هو انعكاسه الأخرويّ ؟

لذلك لا تُقْدِمْ على أيّ عمل إلّا إذا كان له انعكاس أخرويّ إيجابيّ ، لا انعكاس سلبيّ ، فجميع الأمور الدّنيويّة تُقَاسُ بالمقياس الأخرويّ ، وحركاتك وأعمالك تكون مضبوطةً ضمن حدود معيَّنة .

المظهر الثّامن عشر :

ويدعو الإسلام أيضًا إلى التّعارف والتّعاون بين البشر بجميع أطيافهم وأجناسهم وقوميّاتهم وأديانهم ولغاتهم لخدمة الإنسان ومصلحته .

"وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" [٢] .

فالمطلوب هو أنّ الشعوب تنفتح على بعضها البعض من أجل التّعارف ، والمطلوب من الإنسان أن يتعرّف على أخيه الإنسان تحت شعار **"الأخوّة الإنسانيّة"** ، والقرآن يدعو إلى هذا التّعارف ولو كان من دين آخر ، حتّى لو كان من دين وضعيّ ، ولم يشترط القرآن بأن تكون الشّعوب والقبائل من المسلمين ، وإنّما ذكرهم بشكل مطلق عامّ ، والتّعارف لازمه الاحترام ، فتحترم الطّرف الآخر ، وإذا لا

---

[٢] الحجرات : ١٣ .

تحترمه لا يحصل التّعارف ، وهناك عدّة لوازم تنشأ من هذه الآية الكريمة الّتي تدعو إلى التّعارف بين البشر .

وجميع ما ذُكِرَ سابقًا هي مبادئ إنسانيّة عامّة لجميع البشر في كلّ زمان ومكان ، والمبادئ الإسلاميّة تتجاوب مع جميع مطالب الحياة في جميع الأمصار والأعصار ، فتوجد مبادئ عالميّة موجودة في الإسلام ، ويمكن استخراج هذه المبادئ العالميّة من القرآن الكريم تحت عنوان **"المبادئ العالميّة في القرآن"** ، وهذا بحث مستقلّ سيأتي في المستقبل إن شاء الله تعالى .

المظهر التّاسع عشر :

حرص الإسلام على البناء والازدهار والنّموّ في جميع المجالات العلميّة والعمليّة ، سواء في العلوم الدّينيّة أم في العلوم الدّنيويّة ، وكذلك من ناحية عمليّة ، فالإسلام يدعو إلى العلم والعمل .

روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا فَلْيُتْقِنْ" [١] .

والمطلوب هو إتقان العمل ، وهذه قاعدة إسلاميّة إنسانيّة .

وعن الإمام الباقر عليه السلام : فلمّا أراد ذو القرنين الرّجوع قال للمَلَكِ : أَوْصِنِي . قال الملَكُ : ...لا تُؤَخِّرْ عَمَلَ اليَوْمِ لِغَدٍ ... [٢] .

---

[١] الكافي ج٣ ص٢٦٢ ح٤٥ .

[٢] كمال الدّين وتمام النّعمة للشّيخ الصّدوق ص ٤٠٠ .

وهذه أيضا قاعدة إسلاميّة إنسانيّة ، وهي عدم تأجيل أيّ عمل ، ومشكلة النّاس بشكل عامّ هي التّسويف ، سأقوم بالعمل فيما بعد ، والمشكلة الثّانية هي عدم إتقان العمل ، فيؤدّي العمل بلا إتقان ، وهذا واضح في طلبة المدارس أنّهم لا يتقنون العمل ، لو كانوا يتقنون العمل لكانوا يحصلون على الامتياز ، طلبة المدارس وطلبة المعاهد وطلبة الكلّيّات وطلبة الجامعات ، وعندما يتخرّج الطّالب بنسبة ٦٠% أو ٦٥% فمعناه أنّه لم يبذل جهده ولم يتقن عمله ، والإنسان المسلم لا بدّ أن يكون الأوّل دائمًا في كلّ شيء .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "يا عيسى بن عبدالله ، ليس منّا – ولا كرامة – من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون ، وكان في ذلك المصر أحد أورع منه" [١] .

ومعنى ذلك أنّه لو كان عدد سكان بلد من البلدان مائة ألف أو يزيدون لكان المؤمن هو الأوّل في كلّ شيء ، والورع من باب المثال ، فهو الّذي يكون المؤذِّن ، وهو الّذي تكون عنده أمانات النّاس .

فالمسلم المؤمن لا بدّ أن يكون الأوّل في كلّ عمل فيه خير ، وأن يتقن هذا العمل .

واليوم المسلمون يفتقدون المجالات العلميّة والعمليّة ، فالتّطوير العلميّ لا يوجد عند المسلمين ، نعم توجد طاقات قليلة ، ولكن

---

[١] الكافي ج٢ ص٧٨ ح١٠ .

طوّروا أنفسهم بجهودهم الشّخصيّة ، ولا يُعْطَوْنَ المجال الكافي للبحث والتّطوير ، وبعض العلماء من المسلمين يكتشفون اكتشافات معيّنة ويساهمون في خدمة البشريّة ، والدّول الأجنبيّة تقدّرهم وتعطيهم الجوائز ، فالتّشجيع يكون من الخارج ، والمجال غير مفتوح لهم في بلاد المسلمين ، ولكن يمكن أن تبذل جهدك بالمقدار المتاح لك وتُنْتِج ، فإذا كان طبيبًا يمكن له أن يُنْتِجَ ، مثلًا يؤلّف كتابًا في الأمراض وعلاجها بعد أن يكتسب الخبرة الكافية ، والآن الأطبّاء بشكل عامّ الحالات المرضيّة الّتي تمرّ عليهم لا يسجّلونها عندهم ، فالمفروض أنّ كلّ طبيب يكون عنده ملفّات خاصّة عن الحالات المرضيّة الّتي رآها ، فهذا الشّخص كان مريضًا بهذا المرض المعيّن واستعملنا معه هذا العلاج فنفعه أو العلاج الآخر فلم ينفعه ، فهذا الطّبيب يكتسب الخبرة تدريجيًّا ، وبعض المرضى في المستشفيات يكون عنده طبيب معيّن ، وهذا المريض يذهب إلى العلاج في الخارج ، والطبيب لا يتابع حالة المريض ، فلم يستطيعوا أن يُشَخِّصُوا مرضه هنا ، وفي الخارج شَخَّصُوا المرض ، فلا يتابع حالة المريض وماذا كان مرضه وما هو العلاج الّذي أُعْطِيَ ، إذا تابع حالة هذا المريض فإنّه يزداد خبرةً ، وهذه المتابعة للمريض غير موجودة ، فلا بدّ أنّ كلّ طبيب يكون عنده ملفّ خاصّ لكلّ مريض ، وكلّ موظّف لا بدّ أن تكون عنده ملفّات خاصّة عن وظيفته تزيد من خبرته ، حتّى عالم الدّين لا بدّ أن

يسجّل عنده كلّ معلومة جديدة يسمعها أو يقرؤها ، فعنده أوراق ودفاتر يكتب فيها ملاحظاته ، وحينما يريد أن يتكلّم في موضوع معيَّن توجد عنده مجموعة من المعلومات يمكنه من خلالها أن يُحَضِّرَ موضوعه ، ويفيد النّاس بما اكتسبه من علم ، وكلّ شخص يمكنه أن يحتفظ بأيّ معلومة نافعة في دفتر خاصّ ، وتدريجيًّا تتجمّع عنده كمّيّة هائلة من المعلومات يستفيد منها ويفيد الآخرين .

والآن المسلمون يفتقدون التّطوير في المجالات العلميّة والعمليّة ، ويوجد في الخارج كثير من الاكتشافات يوميًّا ، وحسبما قرأت يوجد في كلّ يوم مائتا مكتشف طبّيّ ، فالنّاس في الخارج يعملون وينتجون في القضايا العلميّة ، ولكن ما هو إنتاج المسلمين في الأمور العلميّة والعمليّة ؟

لا توجد اختراعات ولا استفادة من المعلومات إلّا بعض الأشخاص النّادرين ، ولا يجدون المجال في بلدان المسلمين فيهاجرون إلى الخارج ، وقبل كم يوم نقلوا صورة لأحد الأشخاص من فئة "بدون جنسيّة" كان يبيع بضائع على الشّارع ، وَمُنِعَ من هذا العمل ، فهاجر إلى الخارج ، ونقلوا له صورة أمام الأجهزة الطّبّيّة ، وهو الآن طبيب في ألمانيا ، لم يُعْطَ له المجال هنا فهاجر إلى الخارج ، فلماذا في بلدان المسلمين لا يُعْطَى المجال للأفراد لكي يكونوا من المُنْتِجِينَ ؟

ولو أنّ هذا الشّخص ظلّ في بلدنا لما أَنْتَجَ شيئًا ، وكم يوجد من

أمثال هذا الشّخص في بلداننا ؟

وهؤلاء طاقات مهدورة ، عنده ذهنيّة ممتازة ، ولكن لا يُسْتَفَادُ منها ، بعضهم يدرسون ولا يُعْطَوْنَ مجالًا للعمل ، فيهاجرون وهناك يُنْتِجُونَ ، وبعد أن يكتسب الجنسيّة هناك يرجع إلى بلدنا كمستشار ، وأحدهم يعمل طبيبًا مستشارًا في إحدى المستشفيات ، وهذا ابن البلد كان موجودًا بيننا ، ولكن لم نَسْتَفِدْ من طاقاته .

ووضع المسلمين إذا استمرّ على هذا المنوال وضع لا يُبَشِّرُ بخير ، فلن يكون عندهم إنتاج لا إنتاج علميّ ولا إنتاج عمليّ ، وأوضاع المسلمين إلى الأسوأ سنة بعد سنة ، وكلّ شخص يسأل : إذن كيف السّبيل إلى إنهاض المسلمين ؟

وهذا يحتاج إلى نقاش ، ما هي المشاكل الموجودة عند المسلمين ؟ والمسلمون اليوم كيف يفكّرون ؟ وبم يفكّرون ؟ العقل المسلم الآن ما هي الأفكار الموجودة فيه ؟

وَيُطْرَحُ تحت عنوان "نقد العقل المسلم" أو "نقد العقل العربيّ" ، فالمسلمون اليوم ما هي المواضيع الّتي تشغل فكرهم ؟

ومن أجل إنهاض المسلمين لا بدّ أن نعرف بم يفكّرون حتّى يمكننا تغيير هذه الأفكار إلى أفكار أخرى لكي ننهض بالمسلمين ، والمشاكل الموجودة اليوم عند المسلمين تحتاج إلى حلول ، فبعد طرح حلول المشاكل وتقبّل المسلمين لهذه الحلول يمكن أن ننهض بهذه

الأمّة ، ووضع المسلمين الحاليّ وضع روتينيّ ، بل من سنة إلى سنة الأوضاع تسير إلى الأسوأ .

والآن الإسلام في جهة ، والمسلمون في جهة أخرى ؛ لأنّهم لا يطبّقون الإسلام بحذافيره ، فهم لا يأخذون إلّا القشور من العبادات الظّاهرية كالصّلاة والصّيام بلا أيّ تأثّر قلبيّ ، ولا يوجد تركيز على باطن العبادات ، نعم هناك أفراد يستفيدون ، ولكن بشكل عامّ الأمّة المسلمة لا تستفيد من العبادات ، لو كان هناك استفادة باطنيّة من العبادات لكانت الأمّة في تكامل ، لا تكامل الفرد فقط ، بل تكامل الأمّة أيضا ، وتكامل الأفراد يؤدّي إلى تكامل الأمّة ، وما دام أنّه لا يوجد تكامل الأمّة فمعنى ذلك أنّه لا يوجد تكامل الأفراد ، نعم أفراد معدودون يتكاملون ويستفيدون من باطن العبادات ، وهؤلاء الأفراد المعدودون لا تتأثّر الأمّة بهم ، فالعبادات اليوم ليس لها تأثير قلبيّ على المسلمين ، لذلك أوضاعنا أوضاع ثابتة لا تتغيّر ، والدّليل هو تخلّف المسلمين وأوضاعهم الّتي تزداد تَرَدِّيًا يومًا بعد يوم .

المظهر العشرون :

يتّصف الإسلام بالاعتدال والوسطيّة أي لا إفراط ولا تفريط ، وسط بين التّشدّد في الدّين وبين الانحلال والانفلات من الدّين ، فالتّشدّد يحرّم حتّى الأشياء المباحة ، فتكثر الأمور المحرّمة مع أنّ الأصل في الدّين أنّ الأشياء المحرَّمة قليلة ، وأكثر الأشياء لا بدّ أن

تكـون مباحـةً ، والتّشـدّد يـؤدّي إلى الإلحـاد وتـرك النّـاس للـدّين وإضعاف المجتمع المسلم ، ومن أسباب انتشار الإلحاد بين الشّباب المسلم هـو التّشـدّد في الـدّين ولـو في مـذهب مـن المـذاهب لأنّ هـذا المذهب يظهر في الإعلام بأنّه يمثّل الإسلام ، والآن في الغرب والشّرق الإسـلام هـو الإرهـاب ، وهـذه هـي الصّـورة الموجـودة اليـوم عـن الإسلام .

وأمّا الانحلال فيحلّل حتّى الأشياء المحرَّمة ، فتكون الأمور المحرَّمة حلالًا أيضًا عندهم ، فيكون الزّنا حلالًا ، وقبل كم يوم سمعت أحد الملحدين في مقابلة ، وأنقل حسبما أتذكّر ، يقول بأنّ آلات التّناسل ملـك للإنسـان يضعـها حيـث يريـد ، والمذيعـة سـألته : هـل أنـت متزوّج ؟

قال : نعم .

فقالت له بما معناه : وهل هذه القاعدة تطبّقها في بيتك وتكون زوجتك حرّة في جهازها ؟

فقال : لا ، أنا عندي غيرة .

فقالت له : الغيرة من الدّين .

فقـال : لا ، الغـيرة طبيعيّـة ، ولا بـدّ أن تكـون موجـودةً بـين الزّوجين .

ترون التّناقض في كلامـه ، مـن جهـة يقول بأنّ الإنسان حرّ في

جهازه التناسليّ ، ومن جهة أخرى لا يقبل بأنّ زوجته تطبّق نفس قاعدته ، فهم يضعون القواعد ، ولكن لا يقبلون تطبيقها على أنفسهم ، فهو ينفلت ، ولكن لا يقبل أنّ زوجته تنفلت .

والوسطيّة في الدّين منهج فكريّ وسلوكيّ ، والوسطيّة تعني التّوازن بين الدّنيا والآخرة ، والتّيسير والتّسهيل على النّاس ، طبعًا مع وجود الدّليل ، وأحيانًا يتشدّدون بلا دليل ، مثلًا يجب أن تلبس ثوبًا قصيرًا لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يلبس ثوبًا قصيرًا ، مع أنّ لبس الثّوب الطّويل أو القصير أمر مباح .

والوسطيّة تعني أيضًا تحقيق الاستقامة والأمان ، وعدم إلحاق الضّرر بأحد بدون وجه حقّ ، ورفع الحرج عن الأفراد ، والضّرر والحرج يكونان في البدن والنّفس والمال ، هذا في الأفراد ، ولكنّ الضّرر يمكن أن يقع على المجتمع أي الضّرر الاجتماعيّ ، ويمكن أن يقع الضّرر على الاقتصاد أي الضّرر الاقتصاديّ ، ويمكن أن يقع ضرر سياسيّ ، فيمكن أن يقوم شخص بعمل معيّن في بلد ، ويؤثّر سياسيًّا على أشخاص في بلد آخر .

وفي القرآن الكريم توجد أعمال فرديّة لها تأثيرات اجتماعيّة ، وحتّى العبادات الفرديّة لها انعكاسات اجتماعيّة ، مثلًا صلاة الجماعة لها تأثير اجتماعيّ ، في صلاة الجماعة لا تصلّي صلاةً فراديّةً ، ولا تتعرّف على أحد في المسجد وتخرج ، والرّبا حرام لأنّ له انعكاسات

اقتصاديّة ، نعم الدّين يقول إنّ هذا العمل حرام ، ولكن لا بدّ أن ندرس انعكاساتها الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة وغيرها ، فالإسلام لا يعطي أحكامًا فرديّة فقط ، بل يعطي أيضًا أحكاما اجتماعيّة وسياسيّة واقتصاديّة ، والإسلام يختار الحلّ الّذي يحقّق رضا الله تعالى ويتّفق مع الواقع الدّنيويّ ، فلا الآخرة تكون مهملةً ، ولا الدّنيا تكون مهملةً .

في الرّواية عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام : "اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا" [١] .

ولا بدّ من وجود التّوازن بين الدّنيا والآخرة ، والبعض يأخذ المقطع الأوّل فقط "اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا" ، والبعض يأخذ المقطع الثّاني فقط "اعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا" ، والمقطعان لا بدّ أن يُوجَدَا معًا ، والدّنيا مزرعة الآخرة ، ويقال هذه الجملة : إنّ الوسطيّة حقّ بين باطلين ، واعتدال بين طرفين ، وعدل بين ظلمين ، هذه عبارة لطيفة رأيتها في إحدى المقالات في موقع على الإنترنت .

"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" [٢] .

---

[١] جامع أحاديث الشّيعة ج١ ص ٤١٥ .

[٢] البقرة : ١٤٣ .

جعل الله المسلمين أمّةً وسطًا ، والهدف هو ليكونوا شهداء على النّاس ، والأمّة في هذه الآية ممكن أن تكون بعض الأمّة ، وهم الأئمّة عليهم السّلام ، وممكن أن تكون أمّةً شاهدةً على الأمم بقيادة النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام ، وهي الأمّة المتميّزة ، لذلك في الرّواية أنّ الأمّة بمعنى الأئمّة لأنّهم شهداء على النّاس ، ويكونون شهداء إذا كانوا يَرَوْنَ بأنفسهم ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله إذا كان شاهدًا فلا بدّ أن يرى بنفسه ، ولا يمكن أن يشهد الشّخص بما لا يراه ، لذلك نقول بأنّهم مُطَّلِعُونَ على أعمال العباد .

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" [١] .

والمؤمنون هم الأئمّة عليهم السّلام ، لذلك نقول بعرض أعمال النّاس على النّبي صلّى الله عليه وآله وعلى الأئمّة عليهم السّلام ، والإنسان لا يكون شاهدًا إلّا إذا علم ، ولا يشهد بما لا يعلم .

إلى هنا انتهينا من "مظاهر عالميّة الإسلام" ، ومن المحاضرة القادمة نبدأ بموضوع "مُتَطَلَّبَات عالميّة الإسلام" ، فما هي الأشياء المطلوبة من المسلمين ما دام أنّهم يعتقدون بأنّ الإسلام دين عالميّ ؟

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[١] التّوبة : ١٠٥ .

عالميّة الإسلام

(١١)

مُتَطَلَّبَاتُ عالميّة الإسلام [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

مقدّمة :

في موضوع "عالميّة الإسلام" قمت بجمع المعلومات من المصادر المختلفة : الكتب ، ومواقع الإنترنت ، والمحاضرات ، وإذا طُبِعَ هذا الكتاب سأذكر جميع المصادر الّتي رجعت إليها ، طبعًا لا يوجد باحث يبدأ من الصّفر ، ولا يوجد كاتب يمكنه أن يدّعي أنّه كتب موضوعًا من غير أن يعتمد على أيّ بحث في نفس الموضوع ، ومن يريد أن يكتب عن أيّ موضوع يرجع إلى من كتب في هذا الموضوع سابقًا ليرى ماذا قال ، وكلّ باحث يبني على ما بناه السّابقون ،

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/١/٥ م .

وخاصّة علماؤنا الأبرار من خطّ المرجعيّة الرّشيدة ، والعلماء بذلوا جهودًا جبّارةً في حفظ هذا الدّين ، والعلماء السّابقون كانوا يقرءون على ضوء شمعة أو ضوء القمر ، لا مثل الآن الإضاءة متوفّرة ، وبعض العلماء كان يدخل إلى الحمّام – وأنتم بكرامة – لكي يقرأ كتابًا على ضوء السّراج الموجود في الحمّام ، ولا يمكن لأيّ شخص أن يقول بأنّه لا نهتمّ بما قاله العلماء ، فالعلماء عبارة عن نور ونبراس ، فالعلماء من خطّ المرجعيّة الرّشيدة كتبوا في مختلف المواضيع ، في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ وتفسير القرآن وسائر العلوم الدّينيّة ، فنستفيد من كتاباتهم وتراثهم ، وسيأتي هذا حينما نصل إلى منهج البحث في موضوع "عالميّة الإسلام" ، فعلماؤنا تعبوا فعلًا ، فلا يحقّ لنا أن نقول بأنّ العلماء لم يقدّموا لنا شيئًا ، وأنت في هذا الزّمان حصيلة ما كتبه العلماء في الأزمنة السّابقة ، منذ زمان الأئمّة عليهم السّلام ، مثلًا في الفقه العمليّ توجد عندك مسائل بديهيّة ، هذه المسائل البديهيّة اليوم لم تكن واضحةً سابقًا ، في الفقه العقائديّ توجد عندك مسائل بديهيّة ، هذه المسائل لم تكن واضحةً في الأزمنة السّابقة ، ففي عصر الظّلم الّذي كان يعيشه أتباع أهل البيت عليهم السّلام لم يكن العلم متوفِّرًا بسهولة كما هو اليوم ، الآن أيّ موضوع تريد أن تبحث فيه تذهب إلى الإنترنت وتطبع العنوان فتخرج لك جميع المصادر الّتي تتناول هذا

الموضوع ، وأتباع أهل البيت عليهم السّلام لم يكونوا يحصلون على المعلومات بهذه السّهولة ، كان الالتقاء بالإمام عليه السّلام والعلماء المحيطين به أمر صعب ، والآن لا بدّ أن نحمد الله عزّ وجلّ على توفّر هذه الكتب وهذه المعلومات ، ولكنّ العلم يحتاج إلى قرّاء ، وللأسف أنّ القرّاء من المسلمين قليلون مع توفّر جميع المصادر والكتب ، ونحن الآن في عصر المعلومات ، أيّ معلومة تريدها تحصل عليها بسهولة بضغط بعض المفاتيح والأزرار ، والمعلومات تحتاج إلى باحثين عنها ، وكلّ شخص يمكنه أن يبحث في موضوع "عالميّة الإسلام" ويكتب كتابًا عن هذا الموضوع ، تذهب إلى الإنترنت وتبحث في المعلومات المتاحة للجميع ، ويمكنك تأليف كتاب عن "عالميّة الإسلام" .

هذه كانت الاستفادة من علمائنا ، وأمّا غير علمائنا فنستفيد من الحقّ الموجود عندهم ، فنأخذ ما ذكروه إذا كان لديهم دليل قويّ ، فالعلم والحقّ والمعرفة ضالّة المؤمن ، يأخذه أينما وجده ومن أيّ إنسان كان ، وحتّى لو كنّا نعتقد بأنّ مدرسة أهل البيت عليهم السّلام هي الحقّ ، ولكن يوجد بعض الحقّ عند الآخرين ، ولا ننفي جميع الحقّ عندهم ، مثلًا أقوال بوذا فيها حكمة ، هذه الحكمة نستفيد منها ، والحكمة ضالّة المؤمن .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام في غرر الحكم (٥٠٤٨) : "خُذِ الحِكْمَةَ مِمَّنْ أَتَاكَ بِهَا ، وانْظُرْ إِلَى مَا قَالَ ، ولَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ" .

تنظر إلى القول ، فإذا كان حقًّا تأخذ به من أيّ مصدر كان ، شخص من الأديان الأخرى أو المذاهب الأخرى إذا ذكر شيئًا وكان عنده دليل مُقْنِع فنأخذ به ، والدّليل لا بدّ أن يكون له منشأ ، مثلًا شخص يعبد بقرةً أو قردًا أو فأرًا ويقول عندي دليل على صحّة هذه العبادة ، نسأله : ما هو دليلك لكي ننظر فيه ؟

مثلًا إذا قال : "البقرة إله" ، فنردّ عليه بأنّ الإله يستحيل أن يكون مخلوقًا ، وترى بأنّ هذه البقرة تموت ، إذن هي ليست إلهًا فلا تستحقّ العبادة .

لذلك أيّ دليل يذكره أيّ شخص لا بدّ أن يكون ضمن قواعد وأسس قطعيّة ثابتة ، مثلًا إذا ذكر دليلًا عقليًّا نردّ عليه بالأدلّة العقليّة القطعيّة ، ونرى هل هو فعلًا دليل عقليّ مُقْنِع أو لا .

مثلًا إذا قلنا بأنّ إثبات وجود إله خالق للكون يعتمد على الدّليل الفطريّ فلا بدّ أن تُبَيِّنَ بشكل واضح ما هي الفطرة بحيث إنّ الطرف المقابل يقول نعم هذا الأمر الفطريّ موجود عندي ، فنقول إنّ من فطرة الإنسان أن يكون عابدًا لله ، كيف تثبت ذلك ؟

أو نقول إنّ الدّليل العقليّ يدلّ على وجود خالق للكون فلا بدّ أن تُبَيِّنَ هذا الدّليل بشكل واضح بحيث إنّ الطّرف المقابل لا يمكن له أن يرفضه .

ولا بدّ أن تكون الأدلّة مُقْنِعَةً ، ونناقش دليله بحيث لا يوجد أيّ

إشكال عليه ، وصاحب الدّليل لا بدّ أن يجيب على جميع الأسئلة والإشكالات .

وعندما تقول بأنّك تؤمن بوجود إله خالق للكون ، فلا بدّ أن تكون عندك الأدلّة المقنِعة القويّة ، وتكون مقتنعًا بالأدلّة الّتي تأتي بها لا أن تنقلها من الآخرين فقط وأنت غير مقتنع بها تمامًا ، وتكون عندك القدرة على الرّدّ على جميع الإشكالات الّتي تُثَارُ على أدلّتك ، ففي كلّ أمر لا بدّ أن يكون عندك دليل على إثباته لكي لا يرمي الشّخص الكلام على عواهنه بدون أدلّة .

وحينما نقول "عالميّة الإسلام" يطالبوننا بالدّليل ، فنأتي إلى الآيات القرآنيّة الّتي فيها معنى العالميّة ، والطّرف المقابل يقول بأنّ القرآن الّذي تؤمن أنت به يقول هذا القول ، وأنا لا أعتقد بالقرآن ، ويطالبك بالأدلّة الّتي تثبت أنّ الإسلام قادر على حلّ المشاكل العالميّة ، فإذا عندك نظريّات لحلّ مشاكل البشريّة وكانت الحلول مقنِعة مقبولة فحينذاك تثبت أنّ الإسلام دين عالميّ ، وأمّا الإتيان بالآيات والرّوايات فقط فلا تثبت عالميّة الإسلام أمام الأطراف المقابلة ، تقول بُعِثَ النّبيّ رحمةً للعالمين ، فيقول الطرف المقابل : هل يمكن أن تثبت أنّ نبيّك بُعِثَ رحمةً للعالمين ونحن نرى المسلمين يقتل بعضهم بعضًا وينشرون الإرهاب في العالم ؟!

إذن عندنا مصادر مختلفة في موضوع "عالميّة الإسلام" ، وَقُمْتُ

بالمزج بين ما جاء في هذه المصادر ، عبارة من هنا ، وعبارة ثانية من هناك ، وعبارة ثالثة من مصدر ثالث ، وَقُمْتُ بالمزج بين هذه العبارات ، وأحيانًا أذكر بعض العبارات كما هي واردة في بعض المصادر ، وبعض العبارات أنقلها بتصرّف مع بعض الإضافات ، فأيّ مؤلّف حتّى لو يجمع المعلومات فإنّ لديه جهدًا خاصًّا في ترتيب هذه المعلومات ، وفي كيفيّة الرّبط بين المعلومات ، وكيف يستنتج معلومات جديدة من المعلومات السّابقة ، والعقل قادر على استنتاج معلومات جديدة من معلومات سابقة ؛ لأنّ العقل يُوَلِّدُ وَيُنْتِجُ معلومات جديدة ، وذكرنا سابقًا أنّ العقل تارة يُنْظَرُ إليه كقوّة مُفَكِّرَة ، وهذه القوّة موجودة عند جميع النّاس ، وتارة أخرى نقول إنّ العقل قوّة مُنْتِجَة لمعلومات جديدة ، مثلًا المخترعات الحديثة كلّها نتيجة معلومات جديدة أُخِذَتْ من معلومات سابقة ، فالتّوسّع الهائل في المخترعات عبارة عن معلومات جديدة ونظريّات جديدة ، مثلًا المطروح الآن نظريّة الكوانتم ، وتوجد أفلام فيديو مختصرة لشرح هذه النّظريّة ، والعلم يتطوّر ، والمسلمون اليوم لا يمكن أن يلحقوا بركب هذا العلم ما دمنا على أوضاعنا الحاليّة ، وذلك بسبب عدم وجود الاهتمام بالعلم ، والمناهج المدرسيّة لا تتماشى مع التّطوّر العلميّ الهائل ، وتوجد نظريّات لا تخطر في الذهن ، مثلًا : هل يمكن نقل جسم من مكان إلى آخر ؟

التّجارب والنّظريّات موجودة ، فتنقل شيئًا من مكان إلى آخر ، ونظر العلماء إلى أنّ الإنسان يسافر بلا طائرة ، في بعض الأفلام السّينمائيّة شخص يدخل في غرفة ويضغط مفتاحًا فينتقل إلى المكان الآخر ، مثل طيّ المكان ، والعلماء اليوم يعملون على مثل هذه الأمور ، ولكنّ المسلمين بعيدون كلّ البعد عن هذا التّطوّر .

الرّجوع إلى الموضوع :

متطلّبات عالميّة الإسلام بمعنى ما هو المطلوب من المسلمين حينما اعتقدوا بأنّ الإسلام دين عالميّ ، فما دام أنّ المسلمين يعتقدون بأنّ الإسلام رسالة عالميّة فالمطلوب منهم عدّة أمور ، منها :

المطلوب الأوّل :

الاعتقاد اليقينيّ بأنّ الإسلام رسالة عالميّة لجميع النّاس ، وليس لأقوام معيّنين ، وليس رسالة محلّيّة لقبيلة قريش فقط وإن كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله مبعوثًا في مكّة المكرّمة ، ولكنّ الرسالة ليست خاصّة بقريش ، وإنّما هي رسالة لجميع العالم .

وهذا الاعتقاد اليقينيّ يكون دافعًا للمسلم لكي يبذل أقصى جهده وطاقته لتبليغ دعوة الله تعالى إلى جميع النّاس ، وأن يحمل المسلمون راية الإسلام لنشر الإسلام غير الـمُشَوَّه إلى العالم ، الآن الإسلام الّذي وصل إلى العالم إسلام مُشَوَّه ، في مصادر المسلمين لجميع المذاهب توجد روايات وقصص تُشَوِّهُ صورة النّبيّ صلّى الله عليه

وآله ، مثلا يقولون بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ضحّاك قتّال ، هذا تشويه لصورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ويوجد تفسير خاطئ لآيات القرآن الكريم ممّا يُشَوِّهُ صورة الإسلام .

والمسلمون لا بدّ أن يبيّنوا أحكام الإسلام الّتي تتّصف بالعدل لجمع شمل البشر ، وأنّه يمكن تطبيق أحكامه في أيّ زمان ومكان ، وأنّ الإسلام يلائم جميع الظّروف وجميع جوانب حياة الإنسان الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة وغيرها ، فيناسب الإنسان الّذي يعيش في كهف أو في كوخ ، ويناسب الإنسان الّذي يعيش ضمن المدنيّة الحاليّة .

ولا بدّ أن يشعر المسلم بأنّه مسؤول عن كلّ العالم ، وهذا الشّعور لا بدّ أن يكون موجودًا عند كلّ مسلم ، وما دام أنّنا نقول بأنّ رسالة الإسلام رسالة عالميّة فمسؤوليّة المسلمين مسؤوليّة عالميّة ، وهذه المسؤوليّة تحرّك المسلم للعمل لأجل جميع النّاس لا المسلمين فقط ، والإمام المهديّ عجّل الله فرجه حينما يظهر يريد أن ينشر العدل في العالم كلّه ، وهذا الشّعور لا بدّ أن يكون عندك لكي يمكن أن تساهم في نشر العدل العالميّ ، وهذا مهمّ جدًّا للإنسان المسلم ، فالرّسالة العالميّة لازمها المسؤوليّة العالميّة ، فالمسلم مسؤول عن كلّ إنسان في العالم ، وتحرّكك يكون بالمقدار المتاح لك حسب الظّروف المحيطة بك ، أنت مسؤول عن إيصال الرّسالة إلى الشّرق والغرب والشّمال

والجنوب ، الآن المسلمون يقومون بجزء صغير من هذه المهمّة عن طريق الفضائيّات ومواقع الإنترنت ووسائل التّواصل ، ولكن نحتاج إلى جهود أكبر ، فإذا كان يشعر بهذه المسؤوليّة فلازم ذلك أنّ جزءًا من أمواله لا بدّ أن تذهب إلى تحقيق ما يترتّب على هذه المسؤوليّة ، فكم من المسلمين اليوم يضعون جزءًا من حقوقهم الشّهريّة لأجل إيصال الدّعوة إلى العالم ؟

ما دام أنّ رسالتك عالمية ومسؤوليّتك عالميّة فلا بدّ أن تُوصِلَ هذه الرّسالة إلى جميع أنحاء العالم .

"وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" [١] .

"وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" [٢] .

من أحسن قولًا ممّن دعا إلى الله ، ولكن بشرط "وعمل صالحًا" ، فأعماله لا بدّ أن تكون صالحة ، وبالإضافة إلى ذلك لا بدّ أن تكون نفسيّته صالحةً ؛ لأنّ النّفسيّة الصّالحة تعطي أعمالًا صالحةً ، وإذا كانت النّفسيّة نصف صالحة ونصف سيّئة فبعض الأعمال تكون صالحةً ، وبعض الأعمال تكون سيّئةً ، فمن تكون جميع أعماله

---

[١] آل عمران : ١٠٤ .

[٢] فصّلت : ٣٣ .

صالحةً فإنّ باطنه يكون صالحًا تمامًا ، ومن يريد أن يدعو إلى الله فلا بدّ أن يكون باطنه صالحًا لكي يكون مُخْلِصًا في دعوته إلى الله ، ولكي لا يدعو إلى نفسه ، الإنسان السّيّئ الّذي يريد أن يدعو إلى الله سيدعو إلى نفسه من خلال دعوته إلى الله ، لا يقول فقط اذهبوا إلى الله ، بل يقول أيضا تعالوا إليّ ، وذلك لمصالح شخصيّة خاصّة به أو لهوى نفسه .

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" [1] .

والدّعوة إلى الله لا بدّ أن تكون بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة وفتح باب الحوار العلميّ مع جميع الأديان والمذاهب ، والمطلوب هو الجدال الأحسن .

والبحث العلميّ يتطلّب أن يكون الإنسان صادقًا في نقل المعلومات ، فحينما ينقل من المصادر ينقل بصدق ، لا أن يفتري أو يستقطع العبارات ، مثلًا يأتي بجزء من الرّواية ، والحوار العلميّ يتطلّب الصّدق في النّقاش ، فأنت تقول الصّدق ، والشّخص المقابل إذا قال الصّدق فأنت تقبل صدقه ، فمن يحاور يقول الصّدق ويقبل الصّدق .

---

[1] النّحل : ١٢٥ .

ومن صفات المتّقين أنه يأتي بالصّدق وَيُصَدِّقُ به .

"وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" [١] .

تكون صادقًا وتتقبّل الصّدق ، وهذا مفقود في العالم ، القنوات الفضائيّة لا تعطيك صدقًا كاملًا ، وحينما تطرح الصّدق فالأطراف الأخرى لا تقبل الصّدق ، وهذه مشكلتنا اليوم ، لا تجد الصّدق إلّا في قنوات فضائيّة قليلة ، وأمّا أكثر الفضائيّات فتتعامل بالكذب ، وخاصّة في الأخبار .

إذن :

ما دام أنّه يوجد عند المسلمين يقين بأنّ الإسلام دين عالميّ فيجب عليهم أن يكونوا مسؤولين عن كلّ العالم .

المطلوب الثّاني :

ما دام أنّ المسلمين يعتقدون بأنّ الإسلام دين عالميّ فيجب عليهم أن يلتزموا بجميع أحكام الإسلام وتعاليمه ومبادئه التزامًا كاملًا ، يلتزمون بكلّ ما في الدّين لكي يكونوا مُؤَهَّلِينَ لنشر هذه الأحكام والتّعاليم والمبادئ في العالم ، وأمّا إذا كان الشّخص غير ملتزم بأحكام الإسلام فلا يكون مُؤَهَّلًا لنشر الدّين في العالم ، والملتزمون بالإسلام قليلون ، والدّليل هو المشاكل الموجودة بين المسلمين ، فلو يلتزم

---

[١] الزّمر : ٣٣ .

المسلمون بالدّين لا تحدث بينهم مشاكل لأنّ القرآن الكريم يقول :

"وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ" [١] .

فالمفروض أن لا يوجد اعتداء مسلم على مسلم آخر ، ونقرأ في الجرائد أنّ فلانًا قتل فلانًا ، هذا قتل أخته ، وذاك ضرب أمّه ، وهذا ضرب أباه ، فضلًا عن المشاكل العالميّة ، والمبدأ الإسلاميّ العالميّ هو : **"وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ"** .

فأنت أيّها المسلم لا تعتدي على أحد إلّا بالحقّ ، وهذه قاعدة إنسانيّة عالميّة ، وهذه الآية الكريمة لم تُنْسَخْ في القرآن ، ويقال بأنّه جاءت آية أخرى وهي آية السّيف ونسخت هذه الآية ، وإذا نسخت هذه الآية فمعنى ذلك أنّ الله يحبّ المعتدين ، ومن المستحيل أن الله يحبّ المعتدين .

وعلى المسلمين أن يتمسّكوا بالعروة الوثقى ويلتزموا بجميع أحكام الدّين ، ولا بدّ من الكفر بالطّاغوت والإيمان بالله والتسليم له تعالى .

"فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا" [٢] .

"وَمن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ

---

[١] البقرة : ١٩٠ .

[٢] السّورة السّابقة : ٢٥٦ .

الْوُثْقَى" [١] .

"فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [٢] .

المطلوب الثّالث :

الإيمان بصلاحية هذه الرّسالة العالميّة لكلّ زمان ومكان ، فأحكام الإسلام متجدّدة مع جميع التّغيّرات ، وقادرة على حلّ جميع مشاكل البشريّة ، والمفروض أن تكون هكذا وإلّا لم تصلح للعالميّة ، فإذا لم يكن الدّين قادرًا على حلّ مشاكل العالم فهذا الدّين لا يكون دينًا عالميًّا ، وإنّما يكون دينًا محلّيًّا ، فالإسلام يسير مع التّغيّرات في المجتمعات ، ويعطي حلولًا لأيّ مشكلة تصادف البشريّة ، لا فقط للمسلمين ، وإنّما للبشرية ، ولا بدّ أن توجد في الإسلام أحكام لحلّ مشاكل البشريّة ، مثلًا الفقر في العالم ، هل يمكن للأحكام الإسلاميّة أن تطرح نظريّةً لحلّ مشكلة الفقر في العالم أو لا ؟

لا بدّ أن نقول نعم ، وإذا قلنا نعم فما هو الحلّ ؟ وما هي النّظريّة ؟

ولا بدّ أن تكون عندنا الحلول النّظريّة لجميع مشاكل العالم ، وتقول هذه حلول نظريّة ، فكيف العمل بها ؟

---

[١] لقمان : ٢٢ .

[٢] الزّخرف : ٤٣ .

أقول العمل ليس بأيدينا ، الدّين يعطي الحلّ النّظريّ لأيّ مشكلة ، ولكنّ التطبيق يكون بيد من بيده التّطبيق ، نعم إذا الإسلام له السّلطة فيمكن تطبيق هذه النّظريّات ، وأما إذا لم تكن السّلطة بيد المسلمين المتّقين فلا يمكن معالجة مشاكل البشريّة ، بل لا يمكنهم معالجة المشاكل المحلّيّة ، كما هو وضعنا الحاليّ .

مثلًا الإرهاب مشكلة في البلدان المسلمة ، ما هو الحلّ ؟

الإسلام له حلّ نظريّ ، ولكنّ التّطبيق ليس بأيدي من يريد العمل بهذه النّظريّة ، نعم إذا وُجِدَ مسلم قويّ يتقي الله أمكنه تطبيق هذه النّظريّات ، فيمكن أن يأتي بالدّولة الفاضلة ، والدّولة الكاملة ستوجد مع تطبيق نظريّات الإسلام .

المطلوب الرّابع :

تعميم الخطاب الدّينيّ عند الدّعوة إلى الله تعالى ، فكثير من الخطابات القرآنيّة والرّوائيّة تبدأ بـ **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، وهذا الخطاب خطاب عالميّ .

ويمكن أن ندرس الآيات التي تبدأ بـ **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** لنعرف كيف يتكلّم القرآن الكريم مع النّاس ، تارةً يقول القرآن **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"** ، وهذه خطابات خاصّة للمسلمين ، وتارةً أخرى يقول **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، وهذه خطابات عامّة لجميع النّاس ، والقرآن يعطينا مَنْهَجَ الخِطَابِ مع غير المسلمين ، وسيأتي بحث مستقلّ عن

خصائص الخطاب العالميّ من خلال الآيات الّتي فيها **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، وهذا واضح أيضًا في حجّة الوداع حيث كان خطاب النّبيّ صلّى الله عليه وآله خطابًا عامًّا شاملًا لجميع النّاس حيث كان صلّى الله عليه وآله يبدأ خطاباته بـ **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، والمسلمون لا بدّ أن يدركوا أنّه ما دام أنّ رسالة الإسلام عالميّة فلا بدّ أن تكون خطاباتهم شاملةً لجميع النّاس ، بمعنى أنّه غير متحيّز لجنس أو عرق أو فئة أو طائفة أو قبيلة أو عشيرة ، فالخطاب عالميّ لجميع النّاس ، ولكن مع ذلك لا بدّ أن يكون الخطاب مناسبًا أيضًا لخصوصيّة كلّ شعب من شعوب العالم لأنّ الإسلام يراعي خصوصيّة كلّ شعب ، فكلّ شعب له عاداته وتقاليده ، نعم إذا كانت عادات وتقاليد محرّمة فالإسلام يحرّمها ، ولكن إذا كانت العادات والتّقاليد مباحةً فالإسلام يراعي هذه المباحات ، فالأعراف الاجتماعيّة الموجودة عندهم إذا كانت مباحة فالإسلام لا يعترض عليها ، فحتّى الخصوصيّات الموجودة عند كلّ شعب يراعيها الإسلام ، ولا يدعو إلى القضاء على هذه الخصوصيّات المباحة ، فيمكن للشّعوب المحافظة على خصوصيّاتهم ما دام أنّها أمور مباحة ، شعب يأكل بيده وشعب آخر يأكل بالملعقة ، فالإسلام لا يقول لهم غيّروا عاداتكم ، فهذه عبارة عن وسائل ، الإسلام يريد منك أن تكون إنسانًا صالحًا سواء كنت تأكل بيدك أم بالملعقة ، لا يفرق أن تصلّي على سجّادة أو على حصير ، المهمّ أن

تحرص على قبول صلاتك من الله بأن تكون مُخْلِصًا حين أداء الصّلاة ، وتحرص على قبول أعمالك بأن تكون مخلصا بأعمالك .

المطلوب الخامس :

إقامة العدل بين جميع النّاس ، فلا واسطة ولا رشوة ولا محسوبيّة ، فكلّ إنسان يأخذ حقّه ، ونطبّق تطبيقًا حقيقيًّا مقولة دولة القانون والمؤسّسات ، ولا تكون هذه المقولة شعارًا فقط ، ودولة القانون والمؤسّسات تعني الدّولة العادلة ، وكلّ إنسان يأخذ حقّه بواسطة القانون ، ويكون النّاس سواسية أمام القانون والحقّ والعدل ، وتكون إقامة العدل مسؤولية جميع النّاس .

"لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ" [1] .

أرسل الله تعالى الرّسل عليهم السّلام ، والآية لا تقول بأنّ الرّسل يقومون بالقسط ، بل تقول إنّ النّاس يقومون بالقسط ، فأنت كفرد يجب عليك أن تقوم بالعدل ، تبدأ من داخل بيتك ، تكون عادلًا داخل بيتك ، وتكون عادلًا بالمحيط الأكبر ، ثمّ في محيط المجتمع ، فكلّ إنسانٍ المطلوبُ منه أن يقوم بالعدل ، لذلك فالإمام المهديّ عجّل الله فرجه حينما يقيم العدل في العالم يقيمه بواسطة النّاس الّذين يقومون بالعدل ، فينتشر العدل في العالم كلّه لأنّ كلّ إنسان يقوم

---

[1] الحديد : ٢٥ .

بواجبه ، والطّريق إلى إقامة العدل طريق طبيعيّ لا عن طريق المعجزة ، فالإمام المهديّ عجّل الله فرجه يقوم أوّلًا بتربية النّاس ، لذلك يعرف كلّ إنسان ما هو العدل ، فكما يأخذ حقّه يعطي حقوق الآخرين ، فإذا شخص يطالب بحقّه فقط ولا يعطي حقوق الآخرين فهذا ليس إنسانًا عادلًا ، بل أوّلًا تعطي حقوق الآخرين ، وبعد ذلك تطالب بحقوقك ، إذن ليقوم النّاس بالقسط ، وهذا أمر مهمّ ، فالمطلوب منك أن تقوم بالعدل كفرد ، وأيضًا المطلوب من النّاس أن يقوموا بالعدل كمجتمع .

المطلوب السّادس :

المطلوب من المسلمين إزالة العوائق الّتي تقف أمام دعوة الله إلى النّاس ، والعوائق الّتي تقف أمام دعوة الإسلام عوائق داخليّة وعوائق خارجيّة ، ولا بدّ من دراسة هذه العوائق للوصول إلى كيفيّة إزالتها حتّى تنتشر الدّعوة الإسلاميّة في العالم ، والمطلوب أيضًا إزالة الشّبهات والإشكالات الّتي تُطْرَحُ على الإسلام بالمنهج العلميّ ، ولا بدّ أن يجيب المسلمون على الإشكالات الّتي تُطْرَحُ على الإسلام ، ونحتاج إلى بحوث علميّة في ردّ الشّبهات والإشكالات الّتي تُطْرَحُ على وجود الله وعلى عدله وعلى النّبوّة وعلى الإمامة وعلى المعاد وعلى القرآن وعلى بعض أحكام الفقه العمليّ .

ويمكن الاستفادة اليوم من وسائل التّواصل الاجتماعيّ لإيصال

الرّسالة الإسلاميّة إلى العالم أجمع ، ونحتاج هنا إلى موضوع تجديد الفكر الدّينيّ ، وتجديد الخطاب الدّينيّ ، والمسلمون يريدون أن يخاطبوا العالم ، ولكن قبل الخطاب ما هو الفكر الّذي يحمله المسلمون ويريدون أن يخاطبوا العالم به ، وهذه العناوين مطروحة هذه الأيام ، تجديد الفكر الدّينيّ ، وتجديد الخطاب الدّينيّ ، وهذان الموضوعان سنتكلّم عنهما في بحوث مستقلّة مستقبلًا إن شاء الله تعالى .

المطلوب السّابع :

تطبيق أهداف الخلافة على الأرض انطلاقًا من عبوديّة الإنسان لله تعالى ، ومن نتائجها انتشار العدل وعمارة الأرض والمحافظة على البيئة ، فإذا أراد الإنسان عمارة الأرض فتجب عليه المحافظة على البيئة ، ويحرم تلويث البيئة ، وبعض المسلمين يرمون القمامة من السّيّارة بدون تفكير بموضوع المحافظة على البيئة .

"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" [١] .

"يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ" [٢] .

يريد أن يكون خليفةً في الأرض لأجل الحكم بين النّاس بالحقّ وعدم اتّباع الهوى ، قد يطلب شخص أن يكون حاكمًا على دولة ،

---

[١] البقرة : ٣٠ .

[٢] ص : ٢٦ .

نسأله : ما هو هدفك ؟

هدفه قضايا شخصيّة من جمع الأموال وغيره ، ولكن هل تريد أن تنشر الحقّ والعدل ؟

نشر الحقّ والعدل له شرط وهو عدم اتّباع الهوى ، نسأل : كم شخص في العالم يمكن أن يكون حاكمًا ويتخلّى عن هواه ومصالحه الشّخصيّة ويعمل للمصلحة العامّة ؟

لا يمكن ذلك إلّا للإنسان المعصوم أو العادل بدرجة عالية من العدالة بحيث حينما يصل إلى الحكم لا ينظر إلى مصالحه الشّخصيّة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ" [١] .

يصير خليفةً في الأرض بشرط أن لا يعبد إلا الله ، نفسه لا تكون إلهًا من دون الله أو مع الله سبحانه .

"وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَن

---

[١] النّمل : ٦٢ .

جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" [١] .

اعبدوا الله وحده ، وجعلهم خلفاء من بعد قوم نوح بشرط أن يعبدوا الله وحده ولا يعبدون غيره ، والإمام المهديّ عجّل الله فرجه حينما يظهر يملأ الأرض قسطًا وعدلًا ، ويدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والبشريّة ستتربّى على عبادة الله تعالى ، والإمام المهديّ عجّل الله فرجه سيزيل العوائق عن طريق النّاس ، والعوائق قد تكون أموالًا أو شهواتٍ أو أكاذيبَ منتشرةً في وسائل الإعلام أو أمورًا أخرى ، والإمام عجّل الله فرجه سيطرح الإعلام الصّادق ، فينتشر الحقّ والعدل في العالم ، والإمام عجّل الله فرجه سيستفيد من الوسائل الحديثة الموجودة اليوم وفي المستقبل في تربية البشريّة ، فالمواقع على الإنترنت تكون مواقع نظيفة ، مواقع تعطيك الحقّ والعدل ، فالبشريّة ستتربّى تدريجيًّا على قبول الحقّ والعدل ، والمجتمعات تصبح مجتمعاتٍ عادلةً ، والأفراد يصيرون أفرادًا عدول ، فينتشر العدل بطريق طبيعيّ ولا يحتاج إلى معاجز ، والإنسان إذا أزال العوائق من نفسه وتخلّى عن أهوائه فإنّه يصير عابدًا لله بالعبوديّة الخالصة .

---

[١] الأعراف : ٦٥-٧٠ .

وفي المحاضرة القادمة سأبيّن منهج البحث في موضوع "عالميّة الإسلام" ، وهو منهج علمائنا الأبرار ، وهو المنهج الّذي يتّبعونه ، وأعطيكم نبذةً عنه قبل أن ندخل في بحوث "عالميّة الإسلام" إن شاء الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(١٢)

منهج البحث [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ندخل اللّيلة في منهج البحث في موضوع "عالميّة الإسلام" لكي نُبَيِّنَ كيف نبحث في هذا الموضوع ، ويمكن الاستفادة من هذا المنهج في أيّ موضوع آخر ، ومنهج البحث هو منهج علمائنا الأبرار رحم الله الماضين وحفظ الباقين ، فيكون منهج البحث في موضوع "عالميّة الإسلام" هو القرآن الكريم والسّنة الشّريفة للمعصومين عليهم السّلام انطلاقًا من حديث الثّقلين المتواتر بين المسلمين حيث رواه خمسة وعشرون صحابيًّا في المصادر السّنّيّة ، وفي المصادر الشّيعيّة يوجد اثنان وثمانون حديثًا كلّها تتّحد مع حديث الثّقلين مضمونًا ، وورد حديث الثّقلين بأسانيد مختلفة وصيغ متعدّدة تتّحد في المضمون ،

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ٢٤ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/١/١٢ م .

وسبب هذا الاختلاف يعود إلى أنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله أدلى بهذا الحديث بصيغ متعدّدة في مواطن مختلفة ومناسبات عديدة ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله لم يَقُلْ هذا الحديث مرّةً واحدةً فقط ، وإنّما كان يكرّر هذا الحديث في مناسبات مختلفة لكي يُثَبِّتَ منزلة الثّقلين عند المسلمين .

ومن مضامينه قوله صلّى الله عليه وآله : "إنّي قد تركت فيكم الثّقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّكم لن تضلّوا بعدهما" .

ومن مضامينه : قام النّبيّ صلّى الله عليه وآله فينا خطيبًا بماء يدعى خُمًّا بين مكّة والمدينة (أي في حديث الغدير) ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكّر ، ثمّ قال : "أمّا بعد ، أيّها النّاس (خطاب عامّ لجميع النّاس ، لا فقط للنّاس الموجودين في زمانه ، بل يشمل من يوجد في المستقبل أيضًا ، وحتّى الخطابات القرآنيّة شاملة للماضي والحاضر والمستقبل ، مثلًا خطاب **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"** شامل للّذين كانوا موجودين في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله والموجودين في المستقبل ، فالخطاب يمتدّ عبر الزّمان والمكان ، وهذا الخطاب يشملك أيضًا في زماننا الحاليّ ، فلا بدّ أن تعرف المطلوب منك في هذه الآية الكريمة ، وخطاب **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** شامل للنّاس في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله والنّاس في زماننا الحاليّ والمستقبليّ) ، إنّما أنا بَشَرٌ يُوشَكُ أن يأتي رسول ربّي فأجيب (النّبيّ صلّى الله عليه وآله ينعي نفسه) ،

وأنا تارك فيكم ثقلين ، أوّلهما كتاب الله ، فيه الهدى والنّور ، فَخُذُوا بكتاب الله واسْتَمْسِكُوا به" ، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ، ثمّ قال : "وأهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكّركم الله في أهل بيتي" .

في البداية قال صلّى الله عليه وآله بأنّه تارك فيكم ثقلين ، فأوّلهما كتاب الله ، ثمّ ذكّر المسلمين بأهل البيت عليهم السّلام ، فأهل البيت عليهم السّلام هم الثّقل الثّاني .

ومن مضامينه أيضًا قوله صلّى الله عليه وآله : "إنّي أوشك أن أُدْعَى فأجيب ، وإنّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللّطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض ، فانظروني بم تخلفوني فيهما" .

يعني كيف ستتعاملون مع القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السّلام بعد رحيل النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى بارئه تعالى .

ومن مضامينه قوله صلّى الله عليه وآله : "إنّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدًا" .

وفي بعض الأحاديث قوله صلّى الله عليه وآله : "وإنّهما لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليّ الحوض" .

هذه خلاصة مضامين حديث الثّقلين ، وفي البحث على الإنترنت اكتب "حديث الثّقلين" وستخرج لك مصادر المسلمين لهذا الحديث من جميع المذاهب ، ويمكن لنا أن نتكلّم في محاضرات مطوّلة عن هذا الحديث ، ولنأخذه بشكل مختصر جدًّا .

هذا الحديث يدلّ أوّلًا على وجوب التّمسّك بالكتاب والعترة ، واتّباع القرآن واجب ، فيكون اتّباع العترة واجبًا أيضًا بسبب اقتران العترة بالقرآن ، فيوجد اقتران بين القرآن والعترة ، فإذا كان اتّباع القرآن واجبًا فيكون اتّباع العترة واجبًا أيضًا .

ويدلّ ثانيًا على عصمة أهل البيت عليهم السّلام لأنّه يستحيل الأمر بالتّمسّك بشخص يمكن أن يعصي ، فحينما يقول لك "تَمَسَّكْ بالقرآن" فلا بدّ أنّ القرآن لا يوجد فيه خطأ ، فالقرآن يكون معصومًا ، وأهل البيت عليهم السّلام مقترنون بالقرآن ، وإذا قال "تَمَسَّكْ بالعترة" فلا بدّ أن تكون العترة معصومةً أيضًا ، وإلّا لاستحال الاقتران بين القرآن والعترة ، فالمعصوم يقترن بالمعصوم .

ويدلّ ثالثًا على استمرار إمامتهم إلى يوم القيامة ؛ لأنّ القرآن مستمرّ إلى يوم القيامة ، ومن لا يفترق عن القرآن يكون مستمرًّا أيضًا إلى يوم القيامة ، لذلك لا بدّ من وجود إمام أيضًا في زماننا الحاليّ وفي كلّ زمان ، وهذا دليل على حياة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشّريف .

فمن حديث الثّقلين نستدلّ على عصمة الأئمّة عليهم السّلام ، وعلى وجود الإمام المهديّ عجّل الله فرجه ، وعلى أنّه حيّ الآن ، بالإضافة إلى الأدلّة الأخرى ، ولنفرض أنّه لا يوجد عندنا إلّا حديث الثّقلين ، فحديث الثّقلين يكفي للدّلالة على عصمة العترة ، والدّلالة على وجود واحد من العترة في زماننا بل في كلّ زمان إلى يوم القيامة .

ويدلّ رابعًا على أنّ القرآن هو المصدر الأوّل للمسلمين ، والقرآن هو مرجع المسلمين في جميع المعارف الدّينيّة ، واقتران العترة بالقرآن يدلّ على المرجعيّة الدّينيّة لأهل البيت عليهم السّلام لجميع المسلمين ، فالقرآن المرجع ، والعترة مقترنة بالقرآن ، فيكون العترة أيضًا مرجعًا للمسلمين في جميع المعارف الدّينيّة ، فالمرجعيّة الدّينيّة للمسلمين تتمثّل في القرآن الكريم والعترة الطّاهرة ، والعترة متمثّلة بأهل البيت عليهم السّلام على أساس آية التّطهير .

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا" [1] .

والتّطهير دالّ على العصمة ، وهذا هو الدّليل الأوّل على العصمة ، وهو دليل قرآنيّ ، والدّليل الثّاني هو حديث الثّقلين ، وهو دليل روائيّ ، فيدلّان على عصمة أهل البيت عليهم السّلام .

هذه أربع دلالات يمكن أن نستفيدها من حديث الثّقلين ، ويمكن أن نُوَسِّعَ البحث في هذا الحديث الشّريف ، فمن حيث السّند

---

[1] الأحزاب : ٣٣ .

هو ثابت عند جميع المسلمين ، ويمكن أن نستخرج دلالات أخرى من مضمون هذا الحديث .

إذن في منهج البحث عندنا القرآن الكريم والعترة الطّاهرة ، وفي هذا المنهج يأتي العلماء أوّلًا إلى القرآن الكريم ليروا ماذا يقول القرآن عن أيّ موضوع من المواضيع ضمن البحث الموضوعيّ في آيات القرآن ، فإذا كان عندك موضوع معيّن تأتي إلى جميع الآيات المرتبطة بهذا الموضوع ، لا فقط النّظر إلى نفس اللّفظ ، بل النّظر إلى المعنى وإن جاء بلفظ آخر له علاقة باللّفظ المبحوث عنه ، ففي البحث الموضوعيّ في آيات القرآن يمكن أن تبحث عن أيّ موضوع من المواضيع ، مثلًا تريد أن تبحث في القرآن عن موضوع العبادات الفرديّة أو عن الصّلاة أو عن نظريّة العدالة الاجتماعيّة أو عن المواضيع المتعلّقة بالأفراد أو المتعلّقة بالمجتمع أو النّظريّة السّياسيّة أو النّظريّة الاقتصاديّة ، والقرآن قد يشير إلى الموضوع المبحوث عنه إشارةً سريعةً أو يعطيك قاعدةً كلّيّةً عامّةً ، مثلًا في النّظريّة الاقتصاديّة تجمع الآيات الّتي تتحدّث عن الجانب الاقتصاديّ ، كالآية الّتي تتحدّث عن حرمة الرّبا ، هذه لها علاقة بالاقتصاد ، وتأتي إلى الآيات الأخرى الّتي تتناول هذا الموضوع ، تستخرج القواعد العامّة من القرآن ، ففي أيّ موضوع تبدأ بالقرآن الكريم ، وترى بأنّ القرآن ماذا يقول عن هذا الموضوع ، وهذا منهج عامّ يأتي في جميع المواضيع ، ثمّ بعد ذلك نأتي

إلى السّنّة والرّوايات لنرى ماذا تقول الرّوايات عن نفس الموضوع ، قد تجد القاعدة العامّة في القرآن والتّفاصيل في الرّوايات ، مثلا يقول القرآن : "**أَقِمِ الصَّلَاةَ**" [١] ، وبعد ذلك نبحث في الرّوايات عن تفاصيل الصّلاة من الشّروط والأجزاء ، ويقول القرآن : "**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**" [٢] ، وتفاصيل الصّيام تجدها في الرّوايات ، فعندنا القرآن الكريم والعترة الطّاهرة ، لا القرآن لوحده بناءً على "**حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ**" ، ولا الرّوايات لوحدها بناءً على أنّ "**القرآن لا يفهمه إلّا من خُوطِبَ به**" ، وذلك بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام هم فقط الّذين يفهمون القرآن ، وغيرهم لا يفهمه ، فيكون بناءً على "**حَسْبُنَا الرِّوَايَاتُ**" ، فنقول الخطابات القرآنية الّتي فيها "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" مُوَجَّهَةٌ لِمَنْ ؟

هذه الخطابات مُوَجَّهَةٌ للنّاس ، فلا بدّ أنّ النّاس يفهمون هذه الخطابات لا أنّ المعصومين فقط هم الّذين يفهمون هذه الخطابات ، أو خطابات "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**" ، لا بدّ أنّ المؤمنين يفهمون هذه الخطابات ، وإلّا فإنّ القرآن يوجّه خطابًا لمن لا يفهم ، وهذا مستحيل ، مثلًا تجعل أمامك شخصًا مجنونًا وتتكلّم معه ، فهذا المجنون لا يفهم ما تقول ، وحينما تتحدّث مع شخص لا بدّ أن يفهم

---

[١] الإسراء : ٧٨ .

[٢] البقرة : ١٨٣ .

ما تقول ، نعم قد لا يفهم جميع التّفاصيل الّتي تذكرها ، ولكن يفهم مقدارًا من كلامك ، وكلّ إنسان يفهم مقدارًا من القرآن ، لذلك يوجد أمر في القرآن بتدبّر آياته .

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" [١] .

"كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" [٢] .

إذا كان جميع النّاس لا يفهمون القرآن فلا يأمرهم القرآن بتدبّر آياته ، وأيّ شخص يقرأ أيّ آية تأتي بعض المعاني إلى ذهنه لا أن صفحة ذهنه تكون فارغةً عن أيّ معنى ، ولا نقول بأنّ هذه المعاني صحيحة أو خاطئة ، ولكن تخطر في ذهنه بعض المعاني ، والمعصوم عليه السّلام يفهم جميع المعاني ، وغير المعصوم يفهم بعض المعاني ، والعالم حينما يأتي إلى الآيات القرآنيّة يفهم من الآية عشرة معاني ، لذلك تجد في التّفسير أنّ العالم يقول إنّ هذه الآية تدلّ على عدّة احتمالات ثمّ يذكر عدة معاني ، وبعد ذلك يناقش هذه الاحتمالات ، فيقول المعنى الأوّل بعيد ، والمعنى الثّاني ممكن ، ثمّ يختار أحد المعاني ويقول بصحّته .

وكلّ إنسان يفهم من القرآن المعاني بناءً على منظومته الفكريّة ، فإذا منظومته الفكريّة ضيّقة فإنّه يفهم معنًى واحدًا ، وكلّما تتّسع

---

[١] محمّد : ٢٤ .

[٢] ص : ٢٩ .

المنظومة يفهم معاني أكثر وأدقّ ، ومن عنده علم أكثر يفهم من القرآن أكثر من الّذي علمه أقلّ ، فاتّساع المنظومة الفكريّة المعرفيّة للشّخص يؤدّي إلى فهم أوسع للقرآن الكريم .

وبعد القرآن نأتي إلى الرّوايات لنرى أنّ الرّوايات ماذا تقول عن الموضوع المراد البحث فيه ، ونرى بأنّ بعض الرّوايات تتوافق مع القرآن ، وبعض الرّوايات لا تتوافق مع القرآن ، والعلماء يأخذون بالسّنّة والرّوايات الّتي تتوافق مع الآيات المُحْكَمَة والرّوايات المُحْكَمَة ، فتوجد آيات محكمات وروايات محكمات ، وأيّ رواية تأتي إليك تعرضها على محكمات القرآن ومحكمات الرّوايات ، لا أنّ المقارنة تكون مع القرآن فقط ، والمحور هو القرآن الكريم والعترة الطّاهرة بناءً على حديث الثّقلين ، فالقرآن والعترة هما الثّقلان ، وإذا قلنا إنّ القرآن هو المحور فمعناه أنّ القرآن هو المحور الأوّل لأنّه الثّقل الأكبر ، وعترة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السّلام هم الثّقل الأصغر والمحور الثّاني ، وحينما نقول محوريّة القرآن لا تعني إهمال أهل البيت عليهم السّلام ، فيوجد ثقلان وهما المحور الأكبر والمحور الأصغر ، والقرآن هو المحور الأكبر لأنّ الرّوايات تُعْرَضُ على القرآن ، ولكن القرآن لا يُعْرَضُ على الرّوايات ، وهذا ليس استنقاصًا لمقام أهل البيت عليهم السّلام لأنّهم القرآن النّاطق ، ومستواهم مع القرآن الكريم مستوى واحد ، فعندنا القرآن الصّامت والقرآن النّاطق ،

والرّواية الّتي تتوافق مع القرآن نأخذ بها ، وأمّا الرّواية الّتي لا تتوافق مع القرآن فقد لا تتوافق معه ظاهريًّا وبَدْوِيًّا أي بالنّظرة البَدْوِيّة الأَوَّلِيَّة ، ويمكن الجمع بينهما ، نعم إذا يوجد تناقض بينهما بحيث لا يمكن الجمع بينهما فالرّواية تُتْرَكُ ولا يُعْتَمَدُ عليها ، فإذا يوجد عدم توافق بينهما فنسأل : هل يمكن الجمع بينهما أو لا يمكن ؟

فإذا كان يمكن الجمع فيؤخذ بالآية والرّواية معًا ، وإذا لا يمكن الجمع فيؤخذ بالآية ، والرّواية تُرَدُّ وَيُضْرَبُ بها عرض الحائط أو أنّها زُخْرُف كما في بعض الرّوايات ، فإذا تَعَارَضَ القرآنُ مع الرّواية تمامًا بحيث لا يمكن الجمع بينهما فالرّواية لا يؤخذ بها .

وحينما نقول إنّ الرّواية تعارض القرآن فليس معناه أنّ أهل البيت عليهم السّلام يعارضون القرآن ؛ لأنّ رواية المعصومين عليهم السّلام تنقسم إلى قسمين :

القسم الأوّل : الرّواية الواقعيّة :

الرّواية الواقعيّة هي ما قاله المعصوم عليه السّلام فعلًا ، وهذه لا يوجد تعارض فيما بينها ، ولا يوجد تعارض بينها وبين القرآن ، مثلًا إذا كنت تسمع المعصوم عليه السّلام مباشرةً فكلامه عليه السّلام لا يتعارض مع القرآن ، فلا تقول للمعصوم عليه السّلام : "انتظر لحظة لكي أعرض كلامك على القرآن" ، هذا الكلام المسموع مباشرةً لا يُعْرَضُ على القرآن لأنّها كلام واقعيّ للمعصوم عليه السّلام .

القسم الثّاني : الرّواية المنقولة :

الرّواية المنقولة هي القول الّذي نقله الرّواة عن المعصوم عليه السّلام، وهي الّتي يقع التّعارض بينها وبين القرآن أو بين بعضها البعض ؛ لأنّ الرّاوي قد ينسى أو يشتبه أو يفهم خطأً ، وقد يكون الرّاوي من الوضّاعين الّذين يضعون الأقوال على لسان المعصومين عليهم السّلام .

والرّواية المنقولة الّتي وصلت إلينا عن طريق الرّواة هي الّتي تُعْرَضُ على القرآن ، أي الرّواية الّتي سمعها الرّاوي الأوّل ونقلها إلى الرّاوي الثّاني ، فيقول الأوّل سمعت المعصوم يقول كذا ، والرّاوي الثّاني نقل إلى الرّاوي الثّالث ما سمعه من الرّاوي الأوّل ، فيقول الثّاني سمعت من الأوّل أنّه قال إنّه سمع من المعصوم ، وهكذا كلّ راوي ينقل إلى الرّاوي التّالي ما سمعه من الرّاوي السّابق ، فالرّاوي الأوّل فقط هو الّذي سمع المعصوم مباشرةً أو وضع قولًا على لسان المعصوم ، وهذا الأوّل من الممكن أنّه سمع المعصوم ولكنّه فهم خطأً أو نسي ما قاله المعصوم أو اشتبه في النقل أو نقل بالمعنى ، فبعض الرّواة يسمعون المعصوم ولكنهم يريدون أن يكتبوا الرّواية بعد أسبوع أو شهر ، فقد ينسى بعض ما قاله المعصوم أو اشتبه في الفهم أو فهم خطأً ، وقد يكون الثّاني هو الّذي فهم خطأً من الرّاوي الأوّل فينقل فهمه إلى الرّاوي الثّالث ، والثّاني يقول سمعت الأول ، ولكن ينقل فهمه الخاطئ ،

فينقل شيئًا آخر لأنّه اشتبه وفهم خطأً ، وهكذا تتكوّن لدينا سلسلة من الرّواة ، فهذه الرّوايات المنقولة عن طريق الرّواة يقع التّعارض بين بعضها البعض أو بينها وبين القرآن .

إنّ ما يُعْرَضُ على القرآن هي الرّوايات الّتي نُقِلَتْ إلينا لا الرّوايات الواقعية ، والعلماء حينما يقولون لا نقبل هذه الرّواية لا يعني أنّهم لا يقبلون أقوال أهل البيت عليهم السّلام ، فهم لا يقبلون الرّواية الّتي نُقِلَتْ إليهم بسبب وجود اشتباه وخطأ من الرّاوي ، فلا يرفضون كلام المعصوم عليه السّلام ، وإنّما يرفضون ما قاله هذا الرّاوي ، وهذا لا بدّ أن نلتفت إليه ، والرّواية الّتي تَثْبُتُ لا تتعارض مع القرآن .

وقد قام علماؤنا الأبرار بتنقيح الرّوايات المنقولة ، وعمليّة التّنقيح عمليّة مستمرّة لأنّ كلّ عالم يقوم بهذه العمليّة حينما يستنبط الأحكام الدّينيّة ويبحث في الموضوعات الدّينيّة المختلفة في جميع مجالات الدّين من الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ وغيرها ، وكلّ عالم عنده رواة ثقات يعتمد عليهم ، وعنده رواة ضعاف أو مجهولون لا يأخذ برواياتهم ، وكلّ عالم يدرس حياة كلّ راوي لأجل أن يقرّر أنّه يمكن الاعتماد عليه أو لا ، ويوجد عندنا معجم الرّجال لسماحة السّيّد الخوئيّ رضوان الله عليه ، ورجال السّيد بحر العلوم رضوان الله عليه ، وغيرهما ، وكلّ عالم له رأيه في تصحيح أو تضعيف الرّواة ، ومن الممكن أنّ راويًا واحدًا يكون ثقةً عند عالم ، ويكون ضعيفًا عند

عالم آخر ، ويحدث ذلك لأنّ باب البحث العلميّ مفتوح عند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ولم يغلق باب الاجتهاد عند علمائنا ، لا كبعض المذاهب الّتي أغلقت باب الاجتهاد والبحث العلميّ ، فعندهم الكتب الصّحاح الّتي فيها الرّوايات الصّحيحة ، وعند مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لا يوجد كتاب تكون جميع الرّوايات فيه صحيحة ، وهذا يفتح باب البحث العلميّ في كلّ رواية ، لذلك تختلف آراء العلماء في مختلف المواضيع ، فباب الاجتهاد مفتوح ، وهذا يسبّب حركة مستمرّة في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ويأتي عالم ويعطي رأيًا جديدًا في أيّ موضوع من المواضيع ، فالعالم الأوّل اعتمد على الرّاوي الثّقة عنده فيعطيك رأيًا ، والعالم الثّاني لا يعتمد على هذا الرّاوي لأنّه ضعيف عنده فيعطيك رأيًا آخر ، لذلك نرى اختلاف الأحكام بين الفقهاء ، فكلّ عالم يعتمد على الرّواة الّذين يُوَثِّقُهُمْ ، والعالم الثّاني عنده رواة آخرين يعتمد عليهم ، وهذا سبب اختلاف الأحكام بين عالم وعالم آخر اعتمادا على الرّواة المُوَثَّقِينَ عنده .

إذن عندنا القرآن الكريم والسّنّة الواقعيّة والسّنّة المنقولة ، والسّنّة الواقعيّة لا تُعْرَضُ على القرآن ، والسّنّة المنقولة تُعْرَضُ على القرآن .

سؤال : هل يمكن الاستفادة من مصادر المذاهب الأخرى أو لا يمكن ؟

الجواب :

نعم يمكن الاستفادة من مصادر المدارس الأخرى السّنّيّة والزّيديّة والإسماعيليّة والإباضيّة والمعتزلة وغيرهم لأنّها تمثّل الموروث الرّوائيّ للمسلمين ، فتقبل البعض وترفض البعض بناءً على البحث العلميّ ، مثلًا في الفقه العمليّ المقارَن يأتي الفقيه ويقارن الأحكام الموجودة في مدرستنا مع أحكام المدارس الأخرى ، ويأتي بأدلّة كلّ حكم ويقارن بين الأقوال المختلفة ، وممكن أن تكون هذه المقارنة في الفقه العقائديّ ، فيكون عندنا علم العقائد المقارَن بين المدارس المختلفة ، ويمكن المقارنة في الفقه الأخلاقيّ ، فيكون عندنا علم الأخلاق المقارَن بين المدارس المختلفة ، إذن يمكن الاستفادة من الموروث الرّوائيّ لجميع مدارس المسلمين .

ويمكن أن نبحث في الرّوايات المُتَّفَقِ عليها بين المسلمين ، وهذه تمثّل المُشْتَرَكَات بينهم ، فتوجد أمور مشتركة بين جميع المدارس والمذاهب ، ونركّز على هذه المشتركات ، وأمّا المُخْتَلَفَاتُ فيمكن البحث فيها بحثًا علميًّا لمعرفة الصّحيح منها من الضّعيف ، ويحتفظ كلّ مذهب بخصوصيّاته بدون أيّ طعن فيهم أو افتراء عليهم أو تكفيرهم ، لا نكفّر المدارس والمذاهب الأخرى ، فجميع المدارس والمذاهب يُعْتَبَرُونَ من المسلمين ، فهم مسلمون ، ولا نكفّر أحدًا ما دام أنّه تشهّد الشّهادتين – أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا

رسول الله – ، والقاعدة هي أنّ من تشهّد الشّهادتين فهو مسلم مهما كانت الاختلافات معه في الأمور الأخرى ، من يعتقد بإمامة أهل البيت عليهم السّلام هو مسلم ، ومن لا يعتقد بإمامتهم فهو مسلم أيضًا ، والإمامة من أصول المذهب لا من أصول الدّين ، حتّى لو كنّا نقول إنّ الإمامة من أصول الدين فقصدنا هو أنّها من أصول المذهب ، وكذلك العدل يعتبر من أصول المذهب لا من أصول الدّين ، فأصول الدّين ثلاثة : التّوحيد والنّبوّة والمعاد ، وهذا متّفق عليه بين جميع المسلمين بمختلف اتّجاهاتهم ، نعم توجد اختلافات بينهم ، ولكن نركّز على المشتركات ، والمختلَفات تكون ضمن النّقاش والبحث العلميّ بدون أيّ طعن بالآخرين ، فهذا رأيي مع أدلّتي ، وذاك رأيك مع أدلّتك .

وهنا نوجّه دعوة لوحدة المسلمين والتّقريب بين المذاهب ، بالطّبع لا يمكن أن توجد الوحدة الكاملة ، ولكن يمكن التّقارب بين جميع المسلمين ، بمعنى الاتّفاق على المشتركات ، فوحدة المسلمين تكون على المشتركات ، ويتقارب المسلمون بناءً على المشتركات ، وَيُفْتَحُ باب الحوار الهادف والبحث العلميّ في المختلَفات ، وإذا لم يوجد اقتناع كلّ طرف برأي الطّرف الآخر فكلّ طرف يبقى على ما عنده من أحكام وأدلّة بدون تكفير أو طعن أو افتراء على الطّرف الآخر ، ويمكن فتح باب البحث العلميّ بين جميع المذاهب والمدارس

والاتّجاهات ، ولكن هذا النّقاش يكون بين العلماء من كلّ مذهب ومدرسة واتّجاه ، لا كما هو الحال الآن في القنوات الفضائيّة ، كلّ شخص يأتي ويتكلّم عن المذاهب الأخرى بدون أن يكون مُطَّلِعًا اطّلاعًا كافيًا على آرائهم وأدلّتهم ، مثلًا يتّهمون أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام بأنّهم يقولون بتحريف القرآن ، نقول نحن لا نقول بتحريف القرآن ، فيأتي ببعض الرّوايات ويقرؤها ، ونحن بالمقابل يمكن أن نأتي ببعض الرّوايات من صحاحهم والّتي تقول بتحريف القرآن ، فإذا نأتي إلى الرّوايات ففي جميع المذاهب عندهم روايات دالّة على تحريف القرآن ، والرّوايات لا تكفي ، لا بدّ أن نسأل : ماذا يقول علماء كلّ مذهب عن موضوع تحريف القرآن ؟ هل يأخذون بهذه الرّوايات أو لا يأخذون بها ؟

نرى أنّ جميع مدارس المسلمين ومذاهبهم يقولون بأنّ القرآن الكريم غير مُحَرَّف ، وهذا متّفق عليه بين علماء جميع المذاهب ، نعم قد يأتي عالم هنا وعالم هناك يقول بتحريف أو نقص القرآن ، فتجد كتابًا هنا وكتابًا هناك ، وتجد في الموروث الرّوائيّ في كتب بعض المسلمين مثلًا :

آية الرّضاع : كان فيما أُنْزِلَ من القرآن عشر رضعات معلومات يُحَرِّمْنَ ، ثمّ نُسِخْنَ بخمس معلومات ، فتوفّي رسول الله وهنّ فيما يُقْرَأُ من القرآن .

وآية الرّجم : والشّيخ والشّيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة نكالًا من الله والله عزيز حكيم .

وآية الوَادِيَيْنِ : لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى إليهما واديًا ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التّراب ، ويتوب الله على من تاب .

وأتباع أهل البيت عليهم السّلام لا يركّزون على هذه الرّوايات بحيث يتّهمون الطّرف الآخر بتحريف القرآن ، وهم يبرّرون ذلك بنسخ التّلاوة ، وأن الآية غير موجودة ولكن حكمها باقي أو منسوخ ، ونسخ التّلاوة معناه أنّ بعض الآيات ساقطة من القرآن ، وهذا معناه نقص القرآن .

إذن جميع المسلمين متّفقون على أنّ هذا القرآن الموجود اليوم بأيدي المسلمين غير مُحَرَّف ، والمسلمون اتّفقوا على قراءة حفص عن عاصم ، وتوجد قراءة أخرى عن ورش عن نافع ، والقرآن الكريم في البداية لم يكن مُنَقَّطًا ، وبعد ذلك تمّت عمليّة التّنقيط ، ثمّ تمّت عمليّة التّشكيل من الضّمّة والفتحة والكسرة ، ولكن هذا القرآن متواتر بين المسلمين ، فنقله الجيل الأوّل إلى الجيل الثّاني ، والجيل الثّاني إلى الجيل الثّالث ، وهكذا انتقل من الجيل السّابق إلى الجيل اللّاحق ، نعم توجد بعض الاختلافات في القراءات ، ولكنّ القراءة المتّفق عليها هي قراءة حفص عن عاصم ، وبناءً على هذه القراءة

كُتِبَ القرآن الموجود اليوم بأيدي المسلمين .

إذن القرآن لا يوجد فيه تحريف ولا زيادة ولا نقصان ، وهذا القرآن الموجود اليوم هو نفس القرآن الّذي كان موجودًا في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

سؤال : من الّذي جمع القرآن الكريم ؟

الجواب :

النبي صلّى الله عليه وآله هو الّذي جمع القرآن ، وجعله بهذا التّرتيب الموجود اليوم ، فحينما تنزل مجموعة من الآيات يقول النّبيّ صلّى الله عليه وآله ضعوها في تلك السّورة في الموضع الفلانيّ ، فهذا القرآن بهذا التّرتيب كان ترتيب النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، لا جَمْع المسلمين ولا ترتيبهم ؛ لأنّه لو قلنا بأنّ المسلمين جمعوا القرآن فسوف يقع فيه التّحريف أو النّقص أو الزّيادة لأنّه جهد بشريّ ، وكلّ جهد بشريّ لا بدّ أن يقع فيه النّقص ، لذلك نحن نعتقد بأنّ هذا القرآن الموجود اليوم بأيدينا هو من جَمْعِ النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا من جمع المسلمين ، فلا يقع فيه التّحريف ولا النّقص ولا الزّيادة ، وهو نفس القرآن الّذي كان يقرؤه النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

إذن نركّز على المشتركات ، ووحدة المسلمين تكون قائمةً على هذه المشتركات ، وكلّ مذهب يبقى على مُتَبَنَّيَاتِهِ ولا يتنازل عنها ، وأمّا المختلَفات فيتناقش العلماء فيها وَيُبْحَثُ فيها بحثًا علميًّا لتقييم

أدلّتها بدون افتراء أو بتر وتقطيع للرّوايات ، ويقال في القنوات الفضائيّة بأنّ هذه الرّواية موجودة في الكتاب الفلانيّ فتبحث في الكتاب فلا تجدها ، والمطلوب هو البحث العلميّ مع الأمانة في النّقل من المصادر ، ونبحث عن الحقّ والصّدق ، فنكون صادقين في النّقل وباحثين عن الحقّ ، وهذا مطلوب من كلّ إنسان لا فقط من المسلم .

"وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" [١] .

ولا بدّ أن يكون الإنسان صادقًا حينما يتكلّم ، وإذا الطّرف الآخر طرح صِدْقًا فأنت تقبل هذا الصّدق وتعترف به ، فحينما يقول بأنّ هذه الرّواية موجودة عندك فأنت تعترف بوجودها إذا كانت موجودة ، وَيُشْتَرَطُ أنّ كلّ طرف لا يحرّف الرّواية ، فيطرح الرّوايات كما هي مع ذكر مصادرها ، ويذكر أيضًا ما يقوله علماؤهم في هذه الرّواية ، وما معنى مضمون الرّواية عند علمائهم ، لا أنّك أنت تقول إنّ الرواية تدلّ على كذا ، تأتي إلى علماء نفس الدّين ونفس المذهب وما يقولونه بخصوص ما ذكروه ، فإذا كانوا من علماء مذهب آخر فتذكر ما يقولونه بخصوص هذه الرّواية ، وتستدلّ بأقوال علمائهم لا أنّك أنت الّذي تفسّر الرّواية الموجودة عندهم ، فتذكر أقوال علماء الطّرف المقابل ، وهكذا يكون البحث العلميّ ، ثمّ تبدأ وتناقش ما

---

[١] الزّمر : ٣٣ .

يقوله علماؤهم في هذه الرّواية .

وستكون عندنا مجموعة من المحاضرات للحديث عن الوحدة بين المسلمين والتّقريب بين المذاهب ، وماذا تعني الوحدة بينهم والتّقريب بينها ، والخلاصة هي التّركيز على المشتركات ، والمشتركات كثيرة بين مذاهب المسلمين ، ومع النّقاش العلميّ في المختلَفات ، وهذا النّقاش يكون بين العلماء لا بين العوامّ .

خلاصة منهج البحث :

نرجع أوّلًا إلى القرآن الكريم لنرى ماذا يقول القرآن عن الموضوع المراد بحثه ، وحديث الثّقلين يرجعنا إلى القرآن الكريم والعترة الطّاهرة ، ثمّ نأتي إلى روايات المعصومين عليهم السّلام ، تارةً يكون الكلام عن الرّوايات الواقعية ، وهذه لا تُعْرَضُ على القرآن ، وأمّا الرّوايات المنقولة فهي الّتي تُعْرَضُ على القرآن ، ويمكن الاستفادة من مصادر جميع المسلمين من أهل السّنّة والزّيديّة والإسماعيليّة والإباضيّة وغيرهم ، وتوجد مشتركات نركّز عليها ، ونفتح باب الحوار والبحث العلميّ في المختلَفات .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(١٣)

تابع منهج البحث [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في منهج البحث ، وخلاصة ما قلناه في المحاضرة السّابقة حتّى أكمل الكلام في المنهج ، الاعتماد يكون على القرآن الكريم والعترة الطّاهرة ، وذكرنا بعض الأحاديث الّتي فيها "كتاب الله وعترتي" ، وحديث الثّقلين من الأحاديث المتّفق عليها بين جميع المسلمين ، وما دام أنّه حديث متّفق عليه فيجب العمل به ، وحديث الثّقلين يعطينا المرجعيّة الدّينيّة للعترة الطّاهرة وأهل البيت عليهم السّلام .

وتوجد أحاديث أخرى متّفق عليها أيضا بين المسلمين ، منها حديث الغدير ، وحديث الغدير يعطينا المرجعيّة السّياسيّة للعترة

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ١ جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/١/١٩ م .

الطّاهرة ، فلأهل البيت عليهم السّلام المرجعيّة الدّينيّة والمرجعيّة السّياسيّة .

ومن الأحاديث المتّفق عليها بين المسلمين قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا" [١] .

ولا يوجد أحد من المسلمين يمكنه أن ينكر أنّ الإمام عليّ ابن أبي طالب هو باب مدينة علم النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فنسأل جميع مذاهب المسلمين : كم رواية عندكم مرويّة عن الإمام عليّ عليه السّلام ؟

المفروض أن يوجد الكثير من الرّوايات عن الإمام عليّ عليه

---

[١] في كتاب "المستدرك على الصّحيحين" للحاكم النّيسابوريّ ج٣ ص١٢٦ : أورد حديث "أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب" ، قال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" .

وفي كتاب "تناقضات الألبانيّ الواضحات" للشّيخ حسن بن عليّ السّقّاف قال في هامش ص٨٢ : "صحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : (أنا مدينة العلم وعليّ بابها) ، صحّحه الحافظ ابن معين كما في (تاريخ بغداد) (٤٩/١١) ، والإمام الحافظ ابن جرير الطّبريّ في (تهذيب الآثار) مسند سيّدنا عليّ (ص١٠٤ حديث٨) ، والحافظ العلائيّ في (النّقد الصّحيح) ، والحافظ ابن حجر والحافظ السّيوطيّ كما في (اللّآلي المصنوعة) (٣٣٤/١) ، والحافظ السّخاويّ كما في (المقاصد الحسنة) .

السّلام ما دام أنّه باب مدينة علم النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وأن يكون الاعتماد عليه في الرّواية عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا على رواة آخرين ، فالأوّل من الرّواة لا بدّ أن يكون الإمام عليّ عليه السّلام ، وكلّ مذهب لا بدّ أن ينظر إلى مصادره الرّوائيّة كم رواية عنده عن الإمام عليّ عليه السّلام ، مثلًا قد تجد عند مذهب خمسين أو ستّين رواية فقط عن الإمام عليّ عليه السّلام .

فنسأل : كيف نتعامل مع الإمام عليّ عليه السّلام وهو باب مدينة العلم ؟

ومن الأحاديث المتّفق عليها بين المسلمين قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ" [١] .

كيف يتعامل مذاهب المسلمين مع الإمامين الحسنين عليهما السّلام لأنّ كلّ مذهب لا بدّ أن يحدّد موقفه منهما بناءً على هذا الحديث ؟

ومن الأحاديث المتّفق عليها قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي" [٢] .

---

[١] قال الحاكم النّيسابوريّ ج٣ ص١٦٧ : "هذا حديث قد صحّ من أوجه كثيرة وأنا أتعجّب أنّهما لم يخرجاه" .

[٢] صحيح البخاريّ ج٤ ص٢١٠ ، ص٢١٩ .

وعن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا" [١] .

وعلى كلّ مذهب تحديد موقفه من سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السّلام .

ومن الأحاديث أيضًا قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّ الأئمّة من بعده اثنا عشر ، مع اختلاف في الصّيغة ، اثنا عشر خليفةً [٢] ، أو اثنا عشر أميرًا [٣] ، أو اثنا عشر إمامًا [٤] .

إذن توجد مجموعة من المشتركات بين المسلمين ، ولا بدّ أن نركّز على هذه المشتركات ، وعلى كلّ مذهب أن يحدّد موقفه من هذه الأحاديث المشتركة بين المسلمين ، وبناءً على تحديد الموقف يتحرّك أتباع هذا المذهب وذاك المذهب .

والعالم يأتي أوّلًا إلى القرآن في أيّ موضوع من المواضيع ، ويبحث بحثًا موضوعيًّا في الآيات الكريمة ، فيستخرج ما يقوله القرآن عن هذا

---

[١] صحيح مسلم ج٧ ص١٤١ .

[٢] مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٩٢ ، المعجم الكبير للطّبرانيّ ج٢ ص١٩٧ .

[٣] مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٩٢ ، سنن التّرمذيّ ج٣ ص٣٤٠ ح٢٣٢٣ .

[٤] الكافي ج١ ص٥٣٣ ح١٦ .

الموضوع ، وبعد ذلك ينتقل إلى الرّوايات ليرى أنّ الرّوايات ماذا تقول عنه ، هل يوجد توافق بينها وبين القرآن أو يوجد تعارض بينها وبين القرآن ؟

والقرآن قد يعطينا القاعدة العامّة ، والرّوايات تعطينا تفاصيل هذه القاعدة العامّة ، مثلا يقول القرآن : **"أَقِمِ الصَّلَاةَ"** [١] ، والرّوايات تعطينا تفاصيل الصّلاة ، ويقول : **"كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ"** [٢] ، والتّفصيل موجود في الرّوايات من كيفيّة الصّيام ووقته والمفطّرات وغيرها .

وقلنا بأنّه لا بدّ من التّفرقة بين السّنّة الواقعيّة والسّنّة المنقولة ، فالسّنّة الواقعيّة لا تعارض القرآن ، والسّنّة المنقولة الّتي نقلها الرّواة إلينا قد يوجد تعارض بينها وبين القرآن ، فمن الممكن أنّ الراوي اشتبه ونقل فهمه الخاطئ أو لم يسمع جميع الكلمات ، مثلًا المعصوم عليه السّلام قال قوله مع كلمة "لا" ، والرّاوي لم يسمع كلمة "لا" ، فنقل قول المعصوم عليه السّلام بدون "لا" ، والرّاوي قد ينقل بالمعنى لا نفس ألفاظ المعصوم عليه السّلام ، وقد ينقل الحديث بعد أسبوع أو شهر ، وقد يكتب الحديث بعد أشهر ، فحتمًا لا يذكر جميع ألفاظ المعصوم عليه السّلام بالضّبط ، لذلك قد توجد روايات بنفس السّند

---

[١] الإسراء : ٧٨ .

[٢] البقرة : ١٨٣ .

ويوجد اختلاف في ألفاظها ، والعالم يدرس هذه الرّوايات ليرى أيّ الألفاظ هي الألفاظ الّتي قالها المعصوم عليه السّلام ، والبحث في الرّوايات بحث طويل من حيث السّند والمتن .

وقلنا بأنّه يمكن الاستفادة من مصادر جميع مذاهب المسلمين لأنّها تمثل الموروث الرّوائيّ للمسلمين ، ويمكننا أن نبحث في الرّوايات المشتركة بين المسلمين ، والمسائل المختلَف فيها بين المسلمين تدخل في دائرة البحث العلميّ ، وينفتح باب الحوار بين المذاهب ، ولكن بشرط الأمانة في النّقل من المصادر ، وفي بعض القنوات الفضائيّة يقطّعون الرّواية ، فيذكرون جزءًا منها ، وأحيانا يحرّفون الرّواية ، فمن يريد أن يتكلّم لا بدّ أن يتكلّم بالصّدق ، فيأتي بالصّدق ، وإذا سمع الصّدق فإنّه يأخذ بهذا الصّدق .

لنفرض أنّ أحد المذاهب أثبت على المذهب الآخر أنّهم يقولون بشيء ، مثلا يتّهمون الشّيعة بأنّهم يقولون بتحريف أو نقص القرآن ، فيأتون بكتاب فصل الخطاب للمحدّث النّوريّ ، ويقرءون الرّوايات الموجودة فيه ، فأحد العلماء قال بنقص القرآن ، فلا نقول بأنّه لا أحد قال بنقص القرآن ، ونعترف بأنّ المحدّث النّوريّ قال بالنّقص ، ونردّ على هذا الاتّهام بأنّ بعض الرّوايات ظاهرها التّحريف والنّقص ، فنأتي إلى معاني هذه الرّوايات ، هل تريد هذه الرّوايات أن تُثْبِتَ نقص القرآن أو تريد أن تبيّن معنى الآية ؟

نحمل هذه الرّوايات على أنّها تفسّر وتبيّن معنى الآية ، وبعض الرّوايات فيها "**هَكَذَا أُنْزِلَتْ**" أو "**هَكَذَا نَزَلَتْ**" أو "**هَكَذَا أَنْزَلَ اللهُ**" ، ولو بحثنا في الإنترنت عن هذه التّعابير ستجدها في كتب السّنّة والشّيعة ، والمقصود هو أنّه بهذا المعنى نزلت الآية ، ولا تقصد أنّ الألفاظ هكذا نزلت .

في مصادر السّنّة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهليّة ، فلما كان الإسلام فكأنّهم تأثّموا فيه ، فنزلت : (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَّبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ) ، قرأها ابن عبّاس [١] .

وفي مصادر الشّيعة رُوِيَ عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : هكذا أنزل الله تبارك وتعالى : "لَقَدْ جَاءَنَا رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتْنَا حَرِيصٌ عَلَيْنَا بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ" [٢] .

فمذهب يُشْكِلُ على مذهب آخر ، ولكن هذا الإشكال يَرِدُ عليهم أيضًا ، فإذا كنّا نقول بتحريف أو نقص القرآن فتوجد روايات عند جميع المذاهب عن نقص القرآن ، وقد تكون من الرّوايات الصّحيحة عند بعض المذاهب ، وهذا الإشكال يحتاج إلى جواب .

---

[١] صحيح البخاريّ ج ٣ ص ٣ – ٤ ، كتاب البيوع .

[٢] الكافي ج٨ ص٣٧٨ ح٥٧٠ .

والإشكالات العلميّة التي تُذْكَرُ على المذاهب من قِبَلِ المذهب الآخر أو على الإسلام من قِبَلِ أتباع الأديان الأخرى لا بدّ من الإجابة عليها ، مثلًا بعض القنوات المسيحيّة تطرح إشكالات على القرآن ، من إشكالاتهم أنّ القرآن نزل بلسان عربيّ مُبِينٍ ، فَيُشْكِلُونَ بأنّه توجد بعض الكلمات الآراميّة غير العربية في القرآن ، فإشكالهم هو أنّ القرآن ليس عربيًّا تمامًا ، وهذا الإشكال يحتاج إلى جواب من المسلمين حتّى نُثْبِتَ أنّ جميع كلمات القرآن كلمات عربيّة أو أنّ بعض الكلمات دخلت في القرآن من اللّغات الأخرى ، وهذا يحتاج إلى بحث لأنّه إشكال وارِد على القرآن .

إذن توجد مجموعة من الإشكالات تحتاج إلى إجابات ، ولا يمكن أن نغضّ الطّرف ، ولا يمكن أن نقول إنّ هذا خطّ أحمر ، وهذه الإشكالات لا بدّ أن يجيب عليها علماء المسلمين ، وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يجيبون على أيّ إشكال ، ولا توجد خطوط حمراء عند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، لذلك فإنّ العالم منهم يقول : اسأل في أيّ موضوع تريد ، لا يوجد عالم عندنا يقول لك : لا تسأل ، أو يقول : إنّ هذا خط أحمر ، فلا توجد خطوط حمراء في أيّ موضوع ، حتّى السّؤال عن الله تعالى ، فبعض الأسئلة تأتي في العقائد والعلماء يجيبون عليها ، ولا يقولون لك : لا تفكّر ، العقل والتّفكير أساس مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

إنّ التّفكير والتّفكّر والتّعقّل أمور مطلوبة ، لا بدّ أن تفكّر في كلّ شيء ، حتّى في الأحكام الشّرعيّة الّتي تكون من باب التّعبّديّات ، مثلًا صلاة الصّبح ركعتان ، لا بد أن تفكّر وتسأل نفسك : لماذا ركعتان وليست ثلاث ركعات ؟

هذا السّؤال يحرّك عندك التّفكير في الأمور الأخرى ، نعم تقبل وتطبّق الحكم الشّرعيّ ، ولكن تَفَكَّرْ بها ، ونسأل : هل نحتاج إلى العقلانيّة في الأحكام الدّينيّة أو لا نحتاج ؟ وهل نقبل الدّين بلا تفكير ؟

لا بدّ أن تفكّر في جميع الأحكام لتصل إلى الاقتناع ، وذهنك لا بدّ أن يتحرّك في أيّ مسألة من المسائل الدّينيّة وغير الدّينيّة ، انظر إلى المسألة المطروحة واسأل : هل تتناسب مع عالميّة الإسلام أو لا تتناسب ؟

وهذا التّفكير في المسائل نحتاجه ما دام أنّنا نطرح موضوع "عالميّة الإسلام" ، قد تقرأ بعض الأحكام وتظنّ بأنّ هذا الحكم لا يتناسب مع عالميّة الإسلام ، فاسأل عن هذا الحكم وناقش العلماء فيه ، والعلماء يرحّبون بأيّ سؤال ، وعندهم ما يكفي من رحابة الصّدر لأيّ استفسار ، ويجيبون عن أيّ سؤال ، والقاعدة هي "**لكلّ سؤال جواب**" ، ولا يوجد سؤال بلا جواب ، والعلماء لا يقولون لك : لا تسأل ولا تفكّر ، نعم أحيانًا العالم يقول لك : الآن لا يوجد عندي

جواب ، وانتظرني لأفكّر في المسألة وآتيك بالجواب .

إذن ينفتح باب الحوار بين المذاهب المختلفة مع التّركيز على المشتركات بينها ، وهناك مسائل مُخْتَلَف فيها نجعلها ضمن البحث العلميّ ، هذا المذهب طرح رأيًا فنسأله عن دليله ، والمذهب الآخر يطرح رأيه مع دليله ، وينفتح البحث والنّقاش بين العلماء لا بين العوامّ ؛ لأنّ العوامّ لا يوجد عندهم اطّلاع كافي على المسائل وتفريعاتها مع أدلّتها .

ونأتي إلى الدّليل ، مثلًا يقول إنّ هذه الآية تدلّ على هذا الأمر ، آية "**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**" [1] ، تدلّ على أنّ لله يَدًا ، تقول عندنا دليل عقليّ على أنّ الله ليس بجسم ، فيردّ عليك بأنّ الأدلّة العقليّة لا آخذ بها ، ولنفرض أنّك لم تصل إلى نتيجة معه ، وهو يقول أيضًا لم أصل إلى نتيجة معك ، وهنا كلّ طرف يتبنّى رأيه بدون تكفير ولا اضطهاد ولا طائفيّة ، لك رأيك وله رأيه ، هو مقتنع بدليله وأنت مقتنع بدليلك ، أنت لا تأخذ بدليله وهو أيضًا لا يأخذ بدليلك ، أنت تقول دليلي واضح بديهيّ ، هذا الأمر الواضح البديهيّ عندك ليس واضحًا بديهيًّا عنده ، لو كان بديهيًّا عنده لأخذ به ، تقول إنّ الله ليس بجسم ، وهذا أمر بديهيّ ، هو بديهيّ عندك لا عنده ، وذهنه لا يتقبّل أنّ هذا أمر بديهيّ ، وهذا الاختلاف من الممكن أن

---

[1] الفتح : ١٠ .

يقع حتّى في المذهب الواحد ، تجد عالِمًا يتبنّى رأيًا وعنده الدّليل ، وعالم آخر يتبنّى رأيًا آخر وعنده دليل آخر ، وكلّ عالم له قناعاته الخاصّة ، ولا يمكنه أن يتنازل عن رأيه ما دام أنّه يوجد عنده دليل ، وطبعًا نفترض أنّه لا يوجد عناد عند أحد الطّرفين ، فهذا العالم من المذهب الآخر يعتقد فعلًا بأنّ هذا هو الرّأي الصّحيح لوجود الدّليل عنده ، مثلما أنت تعتقد فعلًا ، فهو ليس معانِدًا ، فهو يقول بأنّ آية "**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**" دالّة على الجسميّة ، وهو يعتقد بهذا ولا يريد أن يحاربك ، ولا نفترض أنّ جميع علماء الأديان والمذاهب الأخرى ليسوا مخلصين ، وأنّهم كلّهم من المعاندين ، حتمًا يوجد فيهم مخلصون ، هم يعتقدون أنّ رأيهم هو الصّحيح مثلما تعتقد أنت أنّ رأيك هو الصّحيح ، وعلماء الأديان الأخرى هذه قناعاتهم ، هو مقتنع بهذا الرّأي ومخلص لوجود الدّليل الّذي اقتنع به لا أنّه معاند ، ولا تتّهمه مباشرةً لاختلافه معك ، مثلًا عالم مسيحيّ يعتقد اعتقادًا معيّنًا ، ويوجد عنده دليل على اعتقاده ، وهو مقتنع بهذا الدّليل ، وإذا أردت أن تناقشه لا تناقشه في نفس الرّأي ، وإنّما ناقشه في الدّليل لتبيّن له أنّه مخطئ ، واثْبِتْ له أنّ هذا الدّليل دليل خاطئ ، وإذا لم يقتنع فتتركه ، ولا تفتح عليه جبهة حرب ، فتناقش الأدلّة ، والطّريقة القرآنيّة هي أنّه يناقش الدّليل ، والقرآن يناقش الكفّار في أدلّتهم ، فيأتي إلى دليلهم ويطرح الدّليل الآخر الّذي يدلّ على صحّة الرّأي

المقابل .

لذلك لا بدّ أن نبحث في أيّ قول عن الدّليل ، وبالطّبع العقول مختلفة ، حتّى العلماء مستوياتهم الذّهنيّة ليست واحدةً ، واطّلاعهم على العلم ليس واحدًا ، نفرض عالِمًا اطّلاعه أكثر من العالم الآخر ، وذهنيّته أفضل من ذهنيّة العالم الآخر ، لذلك هذا العالم يصير مَرْجِعًا ، والعالم الآخر لا يصل إلى درجة المرجعيّة ، فالذّهنيّات مختلفة ، والأفهام مختلفة ، والمنظومة الفكريّة مختلفة ، مثلًا الشّيخ الطّوسيّ والسّيّد الخوئيّ رضوان الله عليهما ، المنظومة الفكريّة الموجودة عند السّيّد الخوئيّ أوسع دائرةً من المنظومة الفكريّة الموجودة عند الشّيخ الطّوسيّ ، وذلك بسبب وجود تراكم في المعلومات مع مرور الوقت ، هذا التّراكم المعلوماتيّ يزيد في المنظومة الفكريّة عند العالم ، علماؤنا اليوم عندهم سعة في المنظومة الفكريّة أكثر من العلماء السّابقين بسبب توفّر الكتب والمصادر ، فقد يكون عند العالم السّابق مكتبة فيها خمسون كتابًا مثلًا ، والعالم اليوم عنده مكتبات العالم كلّه ، أيّ كتاب يريده يمكنه الحصول عليه ليرى جميع أقوال العلماء السّابقين والحاليّين في أيّ مسألة ، وإذا أراد أن يقوم ببحث يطّلع على جميع الآراء في المسألة ، والعالم الّذي تحت يده هذا الكمّ الهائل من المعلومات تكون منظومته الفكريّة أوسع من العلماء السّابقين ، فينظر إلى المسألة بنظرة أوسع .

فتح باب البحث العلميّ بين الأديان :

إذن ينفتح باب الحوار بين المذاهب ، بل أكثر من ذلك ينفتح باب الحوار والبحث العلميّ بين جميع الأديان ، وهذا هو حوار الأديان ، وأيضا فتح باب الحوار بين الحضارات ، لا صراع الحضارات بل حوار الحضارات ، وتمّ التّغيير إلى صراع الحضارات لكي تحدث الحروب بين الحضارات ، فحضارة المسلمين تُعْتَبَرُ من الحضارات وإن كان المسلمون اليوم لا يمتلكون أيّ حضارة ، ولكنهم يتغنّون بالحضارة السّابقة ، فلا بدّ من فتح باب الحوار بين الأديان والحضارات .

وهذه الأديان المختلفة بينها مشتركات إنسانيّة ، فجميع النّاس بمختلف توجّهاتهم وأديانهم ومذاهبهم ومشاربهم توجد بينهم مشتركات إنسانيّة ، ويمكن للجميع أن يركّزوا على هذه المشتركات الإنسانيّة ، وهذه المشتركات تتمحور حول المبادئ الإنسانيّة العامّة ، كالحرّيّة ، والعدل ، والمساواة ، والصّدق ، ونشر السّلام ، والقضاء على الحروب ، وعلى الفساد والمفسِدين ، والاهتمام بالضّعيف ، والشّفقة على الفقراء والمحتاجين ، هذه أمور عامّة موجودة في جميع الأديان ، وجميع الأديان تدعو إلى المبادئ الإنسانيّة العامّة .

ويمكن أن يتعاون البشر بمختلف توجّهاتهم على قضاء حوائج المحتاجين بحيث لا يبقى فقير على وجه الأرض ، فخيرات الأرض

كثيرة تكفي جميع النّاس .

"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا" [١] .

إنّ وجودَ فقيرٍ واحدٍ على الأرضِ سِمَةُ عارٍ على جبين الإنسانيّة ؛ لأنّه يمكن قضاء حوائج جميع المحتاجين ، ترى شخصًا عنده مائة مليار دينار ، لو يريد أن يعيش بهذا المال لعاش هو وأولاده وأحفاده وأحفاد أحفاده إلى يوم القيامة ، يمكنه أن يقضي حوائج بعض المحتاجين ، ولو أنّ كلّ شخص يتبرّع في اليوم بدينار واحد وعدد سكّان الأرض تقريبًا سبعة مليارات ، قل مليار منهم تحت خطّ الفقر فيكون عندك يوميًّا ستّة مليارات دينار ، وبهذا المبلغ يمكن قضاء حوائج المحتاجين ضمن المليار إنسان ، والنّاس قادرون على قضاء حوائج الفقراء ، حتّى أنت كفرد يمكن أن تقضي حاجة إنسان واحد في الشّهر ، حتّى في المذهب الواحد يمكنهم قضاء حوائج المحتاجين من أتباع مذهبهم ، أو من هذا الدّين ، فأتباع كلّ دين يمكنهم أن يقضوا حوائج المحتاجين من أتباع دينهم ، بل جميع النّاس يمكنهم قضاء حوائج إخوانهم في الإنسانيّة ، والمشكلة أنّه من جهة يوجد الإسراف ، ومن الطّبيعي أنّه في الجهة المقابلة يوجد الفقر ، ويوجد فقراء لأنّ الأموال تمتّع بها الأغنياء وأسرفوا فيها فمنعوا وصولها إلى الفقراء ، والأموال الّتي يقع فيها الإسراف يمكن أن تُوَجَّهَ إلى الفقراء

---

[١] البقرة : ٢٩ .

والمحتاجين .

إنّ البشريّة بجميع توجّهاتها يمكن أن تتّفق على نشر العدل في العالم ، وإذا انتشر العدل العالميّ فإنّ جميع المشاكل تنتهي ، وهذا نظريًّا ممكن ، ولكن عمليًّا لا يقع لأنّ شياطين الإنس يعملون بجدّ لنشر الحروب بين النّاس ، وعندهم مصانع أسلحة ، ولا بدّ أن يبيعوا الأسلحة ، فيقتاتون على إشعال الحروب في بقاع العالم .

إنّ العدل العالميّ إذا انتشر فجميع مشاكل البشريّة تنتهي ، ونشر العدل في العالم هو حلم البشريّة ، فكلّ إنسان يريد أن يعيش بسلام وأمان ، ويعيش بحيث لا تُسْلَبُ منه حقوقه ، مثلما أنت تريد حقوقك فالآخرون يريدون حقوقهم ، أنت تأخذ حقّك وتعطيه حقّه ، فحلم البشريّة أن ينتشر العدل في العالم ، وهذا ما سعى إليه المصلِحون على مرّ التاريخ ، من الأنبياء والأولياء والصّالحين ، ولا بدّ أن يتحقّق العدل العالميّ في يومٍ ما على يد مُصْلِحٍ عالميّ ، ينشر العدل في العالم ، وتعيش البشريّة ربيع حياتها ، وفي كلّ دين وكلّ مذهب هناك مُصْلِحٌ سيأتي لينشر العدل والسّلام والأمان في العالم ، ونحن في الإسلام نعتقد أنّ هذا المصلِح هو الإمام المهديّ عجل الله فرجه ، وفي الأديان الوضعيّة حتمًا يحلمون بانتشار العدل في العالم ، فقد يكون عندهم أنّه في آخر الزّمان يأتي مصلح لإصلاح أوضاع العالم ؛ لأنّ هذا حلم جميع البشر ، فالبشرية تتطلّع إلى تحقيق يوم

العدل العالميّ ، وهذا موجود عند كلّ إنسان ، أنت تريد أن يتحقّق العدل في العالم ، فتريد أن تحصل على حقوقك ، وكلّ إنسان يريد أن يحصل على حقوقه ، فمن تطلّعات البشريّة أنّهم يريدون العدل العالميّ ، لذلك حينما يظهر الإمام عجّل الله فرجه بالبشارة بتحقيق العدل فالعالم كلّه يستقبله إلّا شياطين الإنس الّذين سيشنّون الحروب على الإمام عليه السّلام ، ولكن في النّهاية سينتصر الإمام عليه السّلام عليهم ويزيحهم عن طريق البشريّة ؛ لأنّ هؤلاء يقفون حجر عثرة أمام تقدّم البشريّة ، فيزيل شياطين الإنس من طريق البشر فينتشر العدل ، والنّاس يريدون العدل ، وكلّ إنسان يتطلّع إلى العدل والسّلام ، ولا يوجد إنسان يحبّ الحروب ، فهم يصنعون الحروب ، ولكنهم لا يدخلون في دائرة الحروب ، وهم يعيشون على جمع الأموال من الحمقى الّذين يتحاربون ، وقد يكون طرف واحد أحمق ، والطّرف الآخر يضطرّ للدّفاع عن نفسه ، فهم يستفيدون من الحمقى الّذين يحاربون ويكونون حطب لجهنّم ، وفي الختام لا يحصلون على شيء ، والحرب في الواقع هي حرب بين مجنونين يعرفان بعضهما البعض ، والّذين يحاربون هم الحمقى الّذين لا يعرفون بعضهم البعض ، يقتلون بعضهم لكي يعيش هذان المجنونان في أمان ، والزّعيمان المجنونان لا يحاربان ولا يرفعان السّلاح ، ويظلّان في الخطوط الخلفيّة ، والجنود هم الّذين يحاربون لكي يستمرّ الزّعيم المجنون

على عرشه ، والجنديّ المحارب في الجبهات لا يحصل على شيء ، وترون عبر التّاريخ أنّ الجنود هم الّذين يمارسون الظلم ، وفي الواقع الحاكم الظّالم لا يرتكب الظّلم بنفسه بشكل مباشر ، بل يبعث هؤلاء الأفراد لارتكاب الظّلم ، وهؤلاء الأفراد يحصلون على الفتات فقط .

إذن البشريّة تتطلّع إلى يوم العدل العالميّ ، لذلك فالإمام عليه السّلام حينما يظهر سيستقبله النّاس وخاصّةً المستضعفون منهم ، والمستضعفون ينتظرون ظهور من يُرْجِعُ لهم حقوقهم المسلوبة .

ونحتاج هنا إلى بحوث في مقارنة الإسلام بالأديان الأخرى لاستخراج المشتركات بينها ، الإسلام والمسيحيّة ، الإسلام واليهوديّة ، الإسلام والبوذيّة ، وهكذا مع جميع الأديان السّماويّة والوضعيّة .

والمشكلة اليوم أنّ المسلمين لا يوجد عندهم اطّلاع كافي على الأديان حتّى اليهوديّة والمسيحيّة ، والكتب المكتوبة قليلة جدًّا ، مع أنّ المفروض أن ندرس اليهوديّة والمسيحيّة بكلّ تفاصيلها ؛ لأنّ أهل الكتاب مذكورون في القرآن بكثرة ، ولا نعرف عن أهل الكتاب من اليهوديّة والمسيحيّة كثيرًا ، والمعلومات عندنا قليلة ، ولا يوجد أحد يبحث في التّوراة والإنجيل كما هم يفعلون مع القرآن ، فيأخذ التّوراة والإنجيل ويناقشهم فيما وَرَدَ فيهما ، والبحوث عن اليهوديّة والمسيحيّة قليلة غير كافية فضلًا عن الأديان الأخرى .

مثلًا ما هي معلوماتنا عن البوذيّة ؟ هل يعتقدون بإله أو لا يعتقدون ؟

لا يمكننا الجواب لأنّه لا يوجد عندنا اطّلاع .

هل هم يعبدون بوذا على أنّه إله أو رمز للإله أو لا هذا ولا ذاك ؟

هذا يحتاج إلى بحث .

وكذلك الدّيانات الموجودة في الهند ، وعندهم كتب مقدّسة كما نقدّس القرآن ، فلا بدّ أن يكون عندنا انفتاح على الأديان الأخرى السّماويّة والوضعيّة ؛ لأنّنا نقول إنّ الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ أن نناقش جميع الأديان ، مثلًا تأتي إلى البوذيّة وتناقش أدلّتهم وَتُشْكِلُ عليهم حتّى نسمع أجوبتهم ، والآن لا نعرف شيئًا عن البوذيّة لكي يمكننا أن نناقشهم وَنَرُدَّ عليهم ، لا أن نقف دائمًا موقف المدافعين عن الإسلام ، الآخرون يُشْكِلُونَ على الإسلام ونحن نُجِيبُ ، لماذا لا نقوم بعمليّة عكسيّة بأن نُشْكِلَ نحن على الأديان الأخرى ؟

نفتح بابًا للنّقاش والإشكالات والحوار مع الأديان الأخرى ، يُشْكِلُونَ علينا وَنُشْكِلُ عليهم ، نجيب على إشكالاتهم ويجيبون على إشكالاتنا ، فينفتح باب الحوار بين جميع الأديان ؛ لأنّ الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ أن ننفتح على جميع العالم .

سؤال : هل يمكن الاستفادة من التّراث البشريّ الإنسانيّ ؟

الجواب :

نعم يمكن استفادة العالم والفقيه من التّراث البشريّ في مختلف التّخصّصات العلميّة والإنسانيّة ، والآن بشكل عامّ في الحوزات العلميّة لا يوجد عندنا اطّلاع كافي على التّراث الإنسانيّ ، فنحن لسنا منفتحين على ذلك ، نعم بعض العلماء بمجهودهم الشّخصيّ يطّلعون على الكتب الحديثة في العلوم الإنسانيّة ، كعلم الاجتماع مثلًا .

ونسأل :

هل توجد نظريّة اجتماعيّة في الإسلام ؟

لا بدّ أن نبيّن النّظريّة الإسلاميّة الاجتماعيّة لأنّ الاتّجاهات الأخرى يطرحون نظريّاتهم ، النّظريّة الرأسماليّة قائمة على الفرد ، والنّظريّة الاشتراكيّة قائمة على المجتمع ، فما هي النّظريّة الإسلاميّة ؟ هل هي قائمة على الفرد أو على المجتمع أو عندنا نظريّة ثالثة قائمة على الفرد والمجتمع معًا ؟ هل الفرد أصيل أو المجتمع أصيل ؟

لا بدّ أن نطرح نظريّتنا أمام العالم لأنّنا نقول إنّ الإسلام دين عالميّ ، ولا بدّ أن تكون نظريّة الإسلام في علم الاجتماع نظريّة عالميّة مع ذكر الأدلّة على ذلك ، ويمكن أن تبحث في القرآن عن النّظريّة الاجتماعيّة ، والمطلوب في كلّ أمر يُطْرَحُ عالميًّا أن يكون للإسلام فيه

رأي .

والتّراث الإنسانيّ يمثّل تجارب البشريّة ، وهو نتاج العقل الإنسانيّ ، نعم بعض الأشخاص لا يتبّنون دينًا معيّنًا ، ومع ذلك عندهم نتاج ، وهذا النّتاج نتاج إنسانيّ ، وبعض الأمور لا تقوم على أساس الدّين ، مثلًا المخترعات الحديثة لا تقوم على أساس الدّين ، مثلًا الهاتف النّقّال من الممكن أن ينتجه يهوديّ أو مسيحي أو ملحد ، فهذه المخترعات لا علاقة لها بالدّين ، ولكن بعض التّراث الإنسانيّ قائم على أساس النّظرة الدّينيّة والرّؤية الكونيّة ، فعند كلّ إنسان نظرة معيّنة إلى الكون ، وبناءً على هذه الرّؤية الكونيّة يطرح كلّ طرف نظريّاته ، والمسلم يعتقد أنّ الله هو خالق الكون ، وبناءً على هذا الاعتقاد تترتّب مجموعة من الأمور الفكريّة النّظريّة والأمور العمليّة السّلوكيّة .

إذن يوجد تراث إنسانيّ يمثّل تجارب البشر ونتاج العقل ، والدّين العالميّ يستفيد من النّتاج العالميّ ، وديننا عالميّ ، فلا بدّ أن نطّلع على كلّ ما هو موجود في العالم ، إمّا نقبل وإمّا نرفض ، ولكن مع الدّليل ، فالدّليل يجعلنا نقبل أو نرفض ، حتّى لو كان من تراث دين آخر ، فإذا كان لديه دليل يتناسب مع الإسلام فنقبل هذا الإنتاج ، والإسلام يستفيد من التّراث الإنسانيّ ويأخذ منه ما فيه فائدة للبشريّة ، وَيُبْعِدُ عن البشريّة ما فيه الضّرر والظّلم .

مثلًا النّظريّة الرّأسمالية القائمة على أساس الفرد إنتاجه أنّ ٥% من سكّان العالم يملكون ٩٥% من موارد الأرض ، و٩٥% من سكّان العالم يملكون ٥% من موارد الأرض ، والرّأسماليّون حينما ينتجون شيئًا لا يهمّهم كم شخص يموت ، المهمّ هو أن يستفيد ماديًّا ويزداد رصيده الماليّ في البنوك ، ولا يهتمّ بموت الأفراد ، فما هي نظريّة الإسلام ؟ وهل يقبل النّظريّة الرّأسماليّة أو لا يقبل ؟

لا بدّ أن نبيّن نظريّة الإسلام في هذا الموضوع وفي كل موضوع .

هل يمكن للإسلام أن يحلّ مشكلة معاناة البشريّة من النّظريّة الرّأسماليّة وأن يطرح نظريّة أخرى تردّ على النّظريّة الرّأسماليّة ويطرح الإشكالات عليها ؟

والنّظريّة الرّأسماليّة هي السّائدة اليوم في كلّ العالم ، مثلًا البنوك قائمة على أساس النّظريّة الرّأسماليّة ، فما هو رأي الإسلام في النّظريّة الرّأسمالية ؟ وهل لديه نظريّة أخرى ؟

الخلاصة :

لا بدّ أن ينفتح باب الحوار بين جميع الأديان والمذاهب في العالم ، ولا بدّ أن نطّلع على ما يوجد عند الأديان الأخرى ، ومن الضّروريّ أن نطّلع على آرائهم ، وخاصّة العلماء الّذين لا بدّ أن يعرفوا ما يوجد عند الأديان الأخرى لكي يردّوا عليهم ، وبعض ما يطرحون يمكن أن يُسْتَفادَ منها ؛ لأنّ الحكمة ضالّة المؤمن أينما وجدها يأخذها ، مثلًا

بعض أقوال بوذا فيها حِكَمٌ يمكن أن يستفيد منها المسلمون ، ولا نغلق الباب أمام الدّيانات الأخرى ، وبعض الأمور الموجودة عند الأديان الأخرى هي من الأمور المشتركة بين جميع الأديان ، وعلينا التّركيز على هذه المشتركات ، بالإضافة إلى ذلك يمكن الاستفادة من التّراث الإنسانيّ ، وعالم الدّين يمكنه أن يستفيد من بعض النّظريّات العلميّة أو الإنسانيّة في بحوثه الدّينيّة ، مثلًا السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه استفاد من نظريّة بافلوف في الاستجابة الشّرطيّة في بيان العلاقة بين اللّفظ والمعنى ، استفاد من نظريّة علميّة حديثة في علم أصول الفقه ، وكذلك استفاد من نظريّة الاحتمال ، ويمكن أن نستفيد من نظريّة الاحتمال في إثبات وجود خالق للكون ، فيمكن الاستفادة من النّظريّات الحديثة في بحوثنا الدّينيّة ، وعندما ننفتح على التّراث الإنسانيّ يمكننا تثبيت ديننا أكثر لأنفسنا وللآخرين ، فإذا استطعت أن تثبت وجود خالق للكون على أساس نظريّة الاحتمال فذاك الّذي يتبنّى هذه النّظريّة لا يمكنه إنكار استدلالك على وجود الخالق ، فتثبت وجود خالق للكون وأنّ الكون لم يَأْتِ صُدْفَةً ، فنستفيد من النّظريّات الحديثة ، ولو ينفتح علماء الدّين على النّظريّات الحديثة فإنّه يمكنهم الاستفادة منها في المسائل الدّينيّة .

وفي المحاضرة القادمة نكمل منهج البحث ، ونبيّن كيف يمكن

الاستفادة من أقوال العلماء وآرائهم ، وأنّ الفقيه كيف يستفيد من آراء العلماء وفتاواهم .

وبعد الانتهاء من منهج البحث ننتقل إلى البحوث التّالية في عالميّة الإسلام ، ونبدأ بالبحث في موضوع "الإله الخالق للكون" ، ونثبت وجود الإله الخالق بالأدلّة الفطريّة والأدلّة العقليّة وغيرها من الأدلّة .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(١٤)

تابع منهج البحث [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في منهج البحث عند العلماء ، والآن نأتي إلى كيفيّة التّعامل مع أقوال وآراء العلماء ، العلماء حينما يستنبطون الأحكام الدّينيّة هذه الاستنباطات والأقوال والآراء لا بدّ أن تُعْرَضَ على القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة ، وليس المقصودُ هنا علماءَ مذهبٍ معيّنٍ ، وإنّما علماء جميع مذاهب المسلمين ومدارسهم ، فجميع الآراء لا بدّ أن تُعْرَضَ على القرآن والسّنّة ؛ لكي نرى بأنّها تتعارض مع القرآن والسّنّة أو لا ، فعالم قد يوجد عنده رأي شخصيّ ، وحينما نأتي إلى القرآن والسّنّة لا نجد أنّ هذا الرّأي مُسْتَنْبَطٌ من الآيات والرّوايات ،

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في دولة الكويت في منطقة بيان ، الجمعة ٨ جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/١/٢٦ م .

قد يكون الرّأي مَبْنِيًّا على الاستحسان ، ولم يكن مُلْتَفِتًا إلى أنّ هذا الرّأي يخالف القرآن أو الرّوايات ، فبحث ولم يجد دليلًا ، وهذا في السّابق كان موجودًا بكثرة ، ولكنّ الآن البحث في المصادر عمليّة أسهل بكثير ، الكتب سابقًا لم تكن مُفَهْرَسَةً ومُبَوَّبَةً ، فالرّوايات متفرّقة في نفس الكتاب ، ولا تكون تحت عنوان واحد بحيث إن العنوان يكون لمجموعة من الرّوايات تختصّ بهذا العنوان ، فالعالم كان يطرح رواية بعد رواية ، رواية في الصّلاة ، ورواية أخرى في الصّيام ، وبعد عشر صفحات تجد رواية أخرى في الصّلاة ، فيطرح مجموعة من الرّوايات بدون ترتيب ضمن عناوين ، وكانت الكتابة بالطّريقة القديمة الّتي تكون بخطّ اليد ، كالمخطوطات القديمة ، لم يكن فيها فهارس ، فهو بذل جهده وبحث ولم يجد دليلًا ، فرجع – مثلًا – إلى الأصول العمليّة ، ومع فقد الدّليل القطعيّ والظّنّي يرجع العالم إلى الأصول العمليّة ، فطرح رأيًا معيّنًا بناءً على الأصول العمليّة ، أو طرح رأيًا بناءً على الاستحسان ، فجميع أقوال وآراء واستنباطات العلماء تُعْرَضُ على القرآن والسّنّة ، ويؤخذ منها ما لا يتعارض مع القرآن والسّنّة ، وبالطّبع نحفظ مكانة العلماء الّذين لم يُقَصِّرُوا في حفظ الدّين ونشره ، ولا سيّما علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، فهم بذلوا جهودًا كبيرةً جِدًّا ، فالعالم سابقًا كان يقرأ الكتاب على ضوء القمر أو ضوء شمعة ، لا مثل زماننا الّذي فيه الإضاءة متوفّرة ،

فكانوا يبذلون جهودًا جبّارةً ، وهذه الجهود لا بدّ أن نُقَدِّرَهَا ، فمكانة العلماء لا بدّ أن تكون محفوظةً ، والعلماء حينما يأتون إلى آراء العلماء الآخرين أهمّ شيء عندهم الدّليل ، فحينما يطرح العالم رأيًا معيّنًا ينظرون إلى دليل هذا الرّأي ، لا ينظرون فقط إلى الرّأي ، مثلًا في الرّسالة العمليّة تجد رأي العالم بلا دليل ، ودليله مذكور في فقهه الاستدلاليّ ، والعالم لا يكتفي بالقول والرّأي ، نعم دور العامّيّ الّذي يقلّد مرجعًا معيّنًا هو أن يأخذ بقول مرجعه ويتعبّد بهذا القول ، ولكنّ العالم لا يكتفي بذلك ، فإذا توجد رسالة عمليّة فالعالم يسأل : أين الفقه الاستدلاليّ لصاحب هذه الرّسالة ؟

العالم يبحث عن الدّليل ليرى أنّ هذا الدّليل يدلّ على هذا القول والرّأي أو لا يدلّ ، فالعلماء يأتون إلى الأدلّة الّتي يذكرها كلّ عالم في كلّ مسألة يذكرها لمعرفتها وتقييمها ، وهذا هو دور العالم ، وهو أن لا يكتفي بالرّأي ، وإنّما يريد الدّليل ، وحتّى بالنّسبة للعلماء المعروفين كالشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه ، إذا قال قولًا معيّنًا ، فمن يأتي بعده يطالبه بالدّليل ليناقش الرّأي ، والعلماء المتأخّرون يأتون إلى أقوال العلماء السّابقين ويبحثون عن أدلّة أقوالهم وآرائهم ويقيّمون هذه الأدلّة ، قد يوجد دليل قويّ كأن يكون الرّاوي ثِقَةً عند العالم الأوّل ، ولا يكون ثقةً عند العالم الثّاني ، فالعالم الثّاني لا يقول بنفس قول العالم الأوّل ، وباب الاجتهاد مفتوح في مدرسة أهل البيت عليهم

السّلام .

وَيُشْكِلُونَ على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام بأنّه لا توجد عندكم كتب روايات صحاح ، نَرُدُّ بأنّ هذا جانب إيجابيّ لصالح مدرستنا ، وهذه نقطة قوّة عندنا ، ومعنى ذلك أنّ باب الاجتهاد مفتوح عندنا ، لا فقط أن يرجع العالم إلى كتب روايات صحاح ولا يوجد دور للعالم اللّاحق في تقييم الرّوايات ، فكلّ عالم يحدّد الرّواة الثّقات والرّواة الضّعاف عنده ، لا أن يعتمد على تصحيح وتضعيف عالم سابق ، والتّصحيح والتّضعيف يختلفان من عالم إلى آخر ، لذلك عدم وجود كتب صحاح عند مدرسة أهل البيت عليهم السّلام نقطة قوّة لهذه المدرسة ، فباب الاجتهاد مفتوح ، وفتح باب الاجتهاد يتناسب مع عالميّة الإسلام .

إذن العلماء يأتون إلى الأدلّة ويقيّمونها لا فقط ينظرون إلى القول والرّأي ، والعلماء اللّاحقون أضافوا إلى جهود العلماء السّابقين ، وبنوا فوق بنيانهم ، وأضافوا إلى آرائهم ، فالعالم السّابق بنى بنيانًا ، والعالم اللّاحق يقيّم الدّليل ويبني فوق البنيان السّابق ، ولا يقوم بعمليّة هدم لما بناه العلماء السّابقون ، بل يضيف عليه وإن كان يخالفه في الرّأي ، فبنى رأيًا فوق الرّأي الأول ، وقد يأتي عالم آخر يؤيّد رأي العالم الأوّل ، فيبني فوق رأي العالم الثّاني .

إذن العلماء اللّاحقون أضافوا إلى آراء العلماء السّابقين ، ومع

وجود النّصّ الواحد تتعدّد القراءات وتتعدّد الأفهام وتختلف الآراء والأقوال ، العالم الأوّل يفهم من النّصّ الدّينيّ شيئًا ، والعالم الثّاني يفهم من نفس النّصّ شيئًا آخر ، وكلّ شخص حينما يقرأ آية قرآنيّة يفهم فهمًا معيّنًا ، أنت تفهم معنًى واحدًا ، ولكنّ العالم يفهم عشرة معاني ، وبعد ذلك يقيّم هذه المعاني .

إذن يوجد تعدّد القراءات ، ويوجد أيضًا تعدّد الأفهام ضمن القراءة الواحدة ، وهذا سبب لاختلاف آراء العلماء في النّصّ الواحد ، فقراءات النّصّ الواحد قد تختلف من عالم إلى آخر ، ومن الممكن أن تأتي آراء جديدة من نفس النّصّ الدّينيّ ، فالعلماء السّابقون كان عندهم آراء ، والعلماء اللّاحقون قد يأتون بآراء جديدة ، وكلّما تقدّم الزّمان ستأتي آراء جديدة أخرى ؛ لأنّ المنظومة الفكريّة في ازدياد مع تقدّم الزّمان ، وكلّما تقدّم العلم فالمنظومة الفكريّة للبشر تزداد ، والعالِم كلّما اطّلع على آراء أكثر وقرأ أكثر فمنظومته الفكريّة تزداد وتتّسع .

إذن يُضَافُ إلى فكر العلماء شيء جديد ، فمن الممكن أنّهم يفهمون النّصوص الدّينيّة بقراءة جديدة وفهم جديد ، وهكذا تتطوّر العلوم ، وحينما نقول إنّ هذا عالم نسأل : ما هي العوامل الّتي تجعله عالِمًا ؟

عنده عقل يُفَكِّرُ وَيُنْتِجُ ، والعقل تارة قوّة مُفَكِّرَة وتارة أخرى قوّة

مُنْتِجَة ، والمجتهد هو المُبْدِعُ ، والاجتهاد هو الإبداع ، والمجتهد لا يأتي فقط بآراء السّابقين ويكرّر الكلام الموجود عندهم ، فهذا ليس مجتهدًا ، فالمجتهد ينظر في الأقوال والأدلّة ويبدع وينتج شيئًا جديدًا ، فيأتي برأي جديد ، ولا يقتصر على ما يوجد عند السّابقين ، ومن يقتصر على آراء السّابقين لا يُعْتَبَرُ مجتهدًا بل هو مُقَلِّدٌ ، فالمجتهد هو الّذي يبدع وينتج شيئًا جديدًا ، قد ينتج ١٠% أو ٢٠% ، نعم هناك أمور ثابتة في الدّين ، ولكن توجد أمور أخرى متحرِّكة متغيّرة تختلف فيها آراء العلماء ، وعند العالم مجموعة من القواعد والقوانين ، وهذه القواعد استقاها من الكتاب أو السّنّة أو العقل أو أيّ مصادر أخرى ، العالم عندما يكون عنده كتاب أصول الفقه ، هذا الكتاب مبنيّ على أدلّة ، مثلًا قاعدة الاستصحاب مُسْتَنْبَطَةٌ من الرّوايات ، وبدل ما يقرأ الرّوايات يختصر ويقول قاعدة الاستصحاب أو أصالة البراءة أو أصالة الاحتياط ، ثمّ يطبّق هذه القواعد ، وقد يفهم المجتهد من النّصّ الدّينيّ فهمًا جديدًا ، وهذا كان موجودًا في الماضي ، مثلًا الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه حينما طرح آراءه توقّفت الحوزة العلميّة عن التّطوّر مدّة قرن من الزّمان تقريبًا ، لم يكن العلماء يخالفون آراء الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه ، فكانوا كلّهم مقلِّدين ولم يكونوا مجتهدين ، إلى أن جاء ابن إدريس الحلّيّ رضوان الله عليه وقال : قال الشّيخ الطّوسيّ وأقول ، فكسر الحاجز ، فلمدّة قرن كان

العلماء يتداولون آراء الشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليه ، فالحركة الفكريّة في الحوزة العلميّة توقّفت ، وبدأ ابن إدريس بطرح آراء جديدة ، ففي الحوزات العلميّة لا بدّ أن يستمرّ التّطوّر الفكريّ ، وهكذا نرى أنّ طرح الأفهام الجديدة كان موجودًا في الماضي ، ولا بدّ أن يستمرّ إلى الحاضر والمستقبل .

سؤال : هل الآراء مُقَدَّسة ؟

الجواب :

لا ، الآراء ليست مقدّسة ؛ لأنّ التّقديس معناه عدم إمكانيّة تغيير هذه الآراء ، لا بدّ أن يُنْظَرَ إلى الدّليل ، فإذا كان الدّليل لا يدلّ على هذا الرّأي فالرّأي لا يؤخذ به ، وآراء الشّيخ الطّوسيّ لمدّة قرن كانت مقدّسة ، لذلك لا يَجْرُؤُونَ على مخالفتها ، إلى أن جاء ابن إدريس وكسر حاجز التّقديس ، فالشّيخ له أدلّته ، وينظر العالم في أدلّته ، فإذا كانت هناك أدلّة أخرى تدلّ على خلاف رأي الشّيخ الطّوسيّ فيأخذ بالدّليل الآخر ويقول بالرّأي الآخر ، فابن إدريس جاء بآراء جديدة .

إذن الآراء غير مقدّسة ، بل قابلة للنّقاش والأخذ والرّدّ ، فيناقش ويأخذ ما يوجد عليه دليل ، ويردّ ما لا يوجد عليه دليل أو يكون الدّليل على خلافه ، وبهذه الطّريقة تطوّرت العلوم الدّينيّة ، مثلًا في السّابق كان الطّلبة يَدْرُسُونَ في الحوزة كتابًا في أصول الفقه يقع في

٤٥٠ صفحة ، وهو "معالم الدّين" للشّيخ حسن ابن الشّهيد الثّاني رضوان الله عليهما ، ثمّ انتقلوا إلى كتاب "قوانين الأصول" للميرزا القميّ رضوان الله عليه ، والآن كتاب أصول الفقه يقع في عدّة مجلّدات ، وهذا معناه أنّ علم أصول الفقه تطوّر ، فالعلوم الدّينيّة علوم متطوّرة لا تقف عند حدّ معيّن ، اندثرت نظريّات قديمة ونشأت نظريّات جديدة ، مثلًا مسلك قبح العقاب بلا بيان حيث أتى السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر رضوان الله عليه بمسلك جديد أطلق عليه مسلك حقّ الطّاعة ، خالف آراء العلماء السّابقين ، وجاء بآراء جديدة ، وهكذا تتطوّر جميع العلوم الدّينيّة وحتّى العلوم الحديثة ، فإنّ النّظريّات القديمة في جميع العلوم تندثر ، وتأتي نظريّات جديدة ، وهذه النّظريّات الجديدة مع مرور الأيام تصبح قديمة ، فَيُتْرَكُ منها ما يكون الدّليل على خلافها ، وتبقى ما يكون الدّليل معها إلى أن يثبت خطؤها فَتُتْرَك النّظريّة القديمة .

إذن نتعامل مع آراء العلماء ونبحث فيها ، وهذا البحث بين العلماء لا بين النّاس بشكل عامّ ، فالنّاس ينظرون إلى الرّأي بلا دليل ، وأحيانًا بعض الأشخاص يسأل عن الدّليل ، وفي كثير من الأحيان لا يمكن بيان الدّليل لأنّ فيه بحثًا طويلًا ، نعم طلبة الحوزة يمكن بيان الدّليل لهم لأنّهم دَرَسُوا مثل هذه البحوث .

وأقوال العلماء تُعْرَضُ على القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة لكي نرى

ما هو الدّليل على هذا القول ، فنأتي إلى الدّليل .

والآن نتعرّض لهذا الموضوع لأنّنا بعد ذلك سنأتي إلى آراء العلماء ونبيّن الأدلّة الّتي طرحوها ، ونناقش الأدلّة ، ونأتي أوّلًا إلى القرآن لنرى ماذا يقول ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، وبعد ذلك نأتي إلى أقوال العلماء ، ونحاول في بحوثنا أن نسير على هذه الطّريقة ، فنبحث عن الدّليل الّذي يطرح لتأييد الرّأي والقول ، مثلًا حكم قتل المرتدّ ليس موجودًا في القرآن ، وحكم رجم الزّاني المُحْصَنِ المتزوّج غير موجود في القرآن ، والرّوايات ذكرت ذلك ، فتوجد روايات تقول بقتل المرتدّ ورجم الزّاني المحصَن ، والعلماء أخذوا بالرّوايات ، فكيف يمكن التّوفيق بين حكم لم يذكره القرآن مع الحكم الّذي ذكرته الرّوايات ؟ وهل يمكن أن نأخذ حكمًا بمستوى القتل ولا يكون موجودًا في القرآن ويكون موجودًا في الرّوايات فقط ؟ فهل نأخذ بالحكم الموجود في الرّوايات إذا لم يوجد في القرآن ؟

هذه الأسئلة تحتاج إلى بحث مستقلّ سيأتي في محلّه إن شاء الله تعالى .

ويأتي العلماء أيضا في بحوثهم إلى الأدلّة العقليّة في المواضيع الّتي لا تكون ضمن التّعبّديّات ولا ضمن العقلائيّات أي الأمور العرفيّة ، العقلائيّ أي المعتمِد على العُرْفِ ، وسيرة العقلاء لا تعني سيرة العاقلين ، والّذي لم يَدْرُسْ في الحوزة العلميّة يتصوّر بأنّه إذا قلنا

العقلاء فالمقصود جمع العاقل ، فتكون سيرة العاقلين أي السّيرة المعتمِدة على العقل ، والأمر العقلائيّ هو الأمر المعتمِد على العقل ، ولكنّ السّيرة العقلائيّة هي العرف الاجتماعيّ ، ولا بدّ من التّفرقة بين معاني المصطلحات ، وفي كلامنا العرفيّ إذا قلنا "عقلاء" فالمقصود جمع العاقل ، وأما في الفقه وأصول الفقه إذا قلنا عقلاء فالمقصود هو العرف ، فتوجد مواضيع ضمن التّعبّديّات ، مثلًا صلاة الصّبح ركعتان ، هذا أمر تعبّديّ ، ولا يدخل في دائرة العقليّات ولا في دائرة العقلائيّات ، فالعقل والعرف يقولان هذا أمر تعبّديّ لا دخل لنا به ، وفي بعض الأمور نرجع إلى العرف ، والمسألة الشّرعيّة تقول ارجع إلى العرف في ذلك ، وهناك بعض الأمور تدخل في دائرة العقل المنتِج ، فهل يمكن الاعتماد على العقل في بعض المسائل لأجل معرفة الحكم ؟

نقول نعم يمكن ذلك ، ومصادر الاستنباط في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام هي : القرآن والسّنّة والإجماع والعقل ، فالعقل مُنْتِجٌ للأحكام ، فيمكن للعقل أن يعطينا حكمًا شرعيًّا ، والدّليل على هذا الحكم الشّرعيّ دليل عقلي ، فبعض المواضيع تدخل في دائرة العقليّات ، لذلك في البداية حينما تأتي إلى أيّ موضوع لا بدّ أن تحدّد الدائرة ، هل هي مسألة داخلة في دائرة التّعبّد أو في دائرة العقل أو في دائرة العرف ؟

وإذا قلنا بأنّ الموضوع داخل في دائرة التّعبّد فنطبّق القواعد التّعبّديّة عليه لأجل معرفة حكمه ، أو داخل في دائرة العقل فنطبّق القواعد العقليّة عليه ، أو داخل في دائرة العرف فنطبّق القواعد العرفيّة عليه ، فالعالم أوّلًا يحدّد الدائرة ، ولا نأتي إلى الموضوع بدون معرفة الدّائرة الّتي يدخل فيها ، فإذا أتينا إلى مسألة تعبّديّة فلا نطبّق عليها القواعد العقليّة ، مثلًا صلاة المغرب ثلاث ركعات ، وصلاة العشاء أربع ركعات ، فالعقل يقول أوّل اللّيل يكون الإنسان أنشط من آخر اللّيل ، فلا بدّ أن تكون صلاة المغرب أربع ركعات وصلاة العشاء ثلاث ركعات ، فنقول من البداية إنّ عدد ركعات الصّلاة مسألة تعبديّة لا عقليّة ، فلا نطبّق عليه القواعد العقليّة ، إذن في البداية يحدّد العالم الدّائرة الّتي يطبّق القواعد على مسائلها .

ومن التّعبّديّات الصّلاة ، يأتي العالم ويرى ما هي الشّروط المحيطة بها ليعرف أيّ الشّروط لها دخالة في الحكم ، وأيّ الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة تكون داخلة ضمن موضوع الحكم وأيّها غير داخلة ، مثلًا الصّلاة الرّباعيّة تكون تامّة في الحضر ، وتكون قَصْرًا في السّفر إذا قطعت ٤٤ كيلومترًا وكانت الإقامة أقلّ من ١٠ أيّام ، فالمكان وهو المسافة ، والزّمان أي أقلّ من ١٠ أيّام ، لهما دخل في قصر الصّلاة ، فصار عندنا دخالة المكان والزّمان في الحكم ، فنأتي إلى تحديد المسافة ، والمسافة المعروفة هي ٤٤ كيلومترًا ذهابًا وإيابًا ، هل هذه

المسافة كانت خاصّة بزمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو مستمرّة إلى يوم القيامة ؟ ومع تغيّر وسائل السّفر هل مسافة الحكم تتغيّر أو لا ؛ لأنّ مسافة ٤٤ كيلومترًا تقطعها في ثلث ساعة على الطّريق السّريع ؟ فهل وسائل السّفر لها الدّخالة في تحديد المسافة أو لا ؟

وهذا سيأتي تفصيلًا في محلّه المناسب حينما نبحث في صلاة المسافر في الفقه العمليّ ، هل مسافة السّفر ثابتة أو متغيّرة ؟

من يتبنّى نظرية دخالة الزّمان والمكان في موضوعات الأحكام فوسائل السّفر تكون داخلةً في تحديد المسافة ، فيعطيك مسافة جديدة في هذا الزّمان ، وفي كلّ زمان يتغيّر مقدار المسافة بناءً على وسائل السفر ، ومن لا يتبنّى نظريّة الدّخالة يقول بثبات المسافة إلى يوم القيامة ، فيوجد رأيان في المسألة ، وسنأتي إلى بحث دخالة الزّمان والمكان في موضوعات الأحكام بشكل تفصيليّ مع ذكر الأدلّة على ذلك .

إذن العلماء يأتون إلى الأدلّة العقليّة ، والعقل له دور كبير في الأحكام الشّرعيّة ، وما يميّز الإنسان عن الحيوان هو العقل ، ولا يمكن أن نهمل دور العقل في الأحكام ، ولا بدّ من العقلانية في الأحكام الشّرعيّة ، فهل نحتاج إلى العقل في الأحكام أو لا ؟

في غير دائرة التّعبّديّات وغير دائرة العقلائيّات تأتي دائرة العقليّات ، والقواعد العقليّة لا بدّ أن تُحَدَّدَ ، وفي هذه الدّائرة تطبّق

هذه القواعد العقليّة ، فإذا وُجِدَ حكم ضمن دائرة العقل وكان لا يتناسب مع العقل فهذا الحكم لا يؤخذ به لأنّه يتنافى مع حكم العقل .

إذن العلماء يحدّدون شروط الحكم ، مثلًا قصر الصلاة له شروط من حيث المكان والزّمان ، قطع مسافة معيّنة مع إقامة أقلّ من ١٠ أيام ، فيتبيّن بأنّ المكان والزّمان لهما دخل في الحكم .

ويأتي العلماء أيضًا إلى السّيرة العقلائيّة – أي العرف الاجتماعيّ – الّتي لا تتعارض مع الشّرع ليروا إلى أيّ حدّ يمكن الأخذ بالأعراف الاجتماعيّة الموجودة في المجتمعات المختلفة ، وإذا تعارض العرف مع الشّرع فإنّ هذا العمل العرفيّ يكون مُحَرَّمًا ، وفي كلّ مجتمع توجد أعراف اجتماعيّة ، تذهب إلى الغرب وتجد عندهم أعرافًا اجتماعيّة معيّنة غير موجودة عند المسلمين ، وبعض الأعراف محرَّمة ، اتّخاذ الصّديق أو الصّديقة أمر محرَّم ، عندهم زواج بطريقة معيّنة ليست نفس الطّريقة الموجودة عند المسلمين ، فهل طريقة الزّواج يُقِرُّها الشّرع ويكون زواجًا صحيحًا أو لا ؟ وأيّ مقدار من الأعراف الاجتماعيّة يمكن إقرارها من قِبَلِ الإسلام في المجتمعات المختلفة ؟

إنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله حينما بعثه الله عزّ وجلّ أراد أن يصلح المجتمع المكّيّ والمدنيّ .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**" [١] .

حال النّبيّ صلّى الله عليه وآله حال أيّ مصلح يأتي لأيّ مجتمع ، ولكنّ الفرق أنّه صلّى الله عليه وآله مصلح معصوم ، فيأتي إلى المجتمع ويجد أنّه توجد أعراف اجتماعيّة معيّنة ، فبعض الأحكام الّتي جاء بها الرّسول صلّى الله عليه وآله تكون متناسبةً مع تلك الأعراف الاجتماعيّة ، ولو أنّ رسولًا بُعِثَ إلى مجتمع عندهم أعراف اجتماعيّة أخرى لجاء بالأحكام المتناسبة مع هذه الأعراف ، والأعراف الاجتماعيّة تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر ، فهل الأحكام العقلائيّة الّتي جاء بها الرّسول صلّى الله عليه وآله جاء بها لجميع المجتمعات أو لمجتمع معيّن ؟

مثلا في المجتمع العربيّ كانوا يأكلون بأيديهم ، ويجلسون على الأرض ، وفي المجتمعات الغربيّة يستعينون بوسائل للأكل كالملعقة والشّوكة ، ويجلسون على الكراسيّ ، ويضعون الطّعام على الطاولة ، وإذا رأوا شخصًا يأكل بيده فإنّهم لا يستسيغون ذلك ، وهذه أعراف اجتماعيّة مختلفة ، وهي غير محرَّمة ، فلا يحرم أن تأكل بيدك أو تأكل بالملعقة ، نعم قد توجد روايات تدلّ على استحباب الأكل باليد ، ولكن لو طرحنا هذه المسائل على مجتمع غربيّ فإنّهم لا يتقبّلونها .

إذن الرّسول صلّى الله عليه وآله يأتي ببعض الأحكام الّتي تتناسب

---

[١] هود : ٨٨ .

مع المجتمع الّذي بُعِثَ إليه ، فهنا العلماء يناقشون هل هذه الأدلّة العرفيّة تتغيّر بحسب المجتمعات أو أنّ جميع الأحكام العرفيّة أحكام ثابتة لجميع المجتمعات ؟

إذن لا بدّ أن تكون عندنا دراسة عن الآيات والرّوايات الّتي جاءت متناسبة مع الظّروف الاجتماعيّة الّتي كانت موجودة في مكّة والمدينة لأجل أن نرى هل أنّ جميع الأحكام تتناسب مع تلك الظّروف الاجتماعيّة أو لا ؟

إنّ بعض الأحكام قد تتغيّر من مجتمع إلى آخر ، مثلًا لو أنّ شخصًا أراد أن يذهب للتّبليغ في الدّول الغربيّة ، فأوّل سؤال يسأله هو : ما هي الظّروف المحيطة بذلك المجتمع ؟ ما هي الظّروف السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة في ذلك المجتمع ؟ ما هي المشاكل الّتي يعيشها أفراد ذلك المجتمع ؟

هذه أسئلة طبيعيّة لأيّ إنسان يريد أن يصلح أيّ مجتمع ، فأوّلًا لا بدّ أن يدرس هذا المجتمع من جميع الجوانب ، والرّسول صلّى الله عليه وآله مصلح معصوم ، فلا بدّ أن يكون عنده اطّلاع على أوضاع المجتمع المكّيّ والمدنيّ ، فيأتي بأحكام تتناسب مع الظروف المختلفة للمجتمع كأيّ مصلح ، مثلًا حينما تطرح مواضيع في مجتمعنا لا تطرح نفس المواضيع في مجتمع غربيّ ، نعم موضوع "عالميّة الإسلام" يُطْرَحُ هنا وفي الغرب ، ولكن بعض الأمور الخاصّة بمشاكل

مجتمعنا هنا لا تطرحها في مجتمع غربيّ ، فتعالج مشاكل المجتمع هنا ، وحلول المشاكل في الدّول الغربيّة تختلف عن حلول المشاكل في المجتمعات الشّرقيّة ، ففي كل مجتمع توجد مشاكل خاصّة ، وتطرح الحلول المختلفة للمجتمعات المختلفة ، لذلك حينما تأتي آية أو رواية لا بدّ أن نرى بأنّ الظّروف الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة وغيرها هل كان لها الدّخالة في هذا الحكم أو لا حتّى يمكن تحديد أنّ هذا العلاج علاج خاص لمجتمع معيّن أو علاج عامّ لجميع المجتمعات ؟

وهنا يظهر جهد العالم والفقيه ، ولا يمكن أن تُؤْخَذَ الآية والرّواية بدون الظّروف المحيطة بهما ، لذلك يبيّنون شأن نزول الآية ومناسبته ، لماذا نزلت هذه الآية ؟ وهل هي تعطي حكمًا خاصًّا جاء لحلّ مشكلة معيّنة موجودة في المجتمع المكّيّ أو المدنيّ أو حكمًا عامًّا لجميع المجتمعات إلى يوم القيامة ؟

فالعالم يدرس الآية ويرى بأنّها تركّز على الجانب العقائديّ على أنّ الله واحد لا شريك له ، فيعرف أنّ الشّرك كان موجودًا في المجتمع المكّيّ ، لذلك ركّز القرآن على التّوحيد بآياته الّتي نزلت في مكّة بسبب وجود الشّرك ، وبهذه الطّريقة يمكن دراسة آيات القرآن لأجل معرفة الظّروف الموجودة في مكّة والمدينة من خلال الآيات ، وإذا ذهبنا إلى الرّوايات ورأينا أنّها تطرح شيئًا آخر مخالفًا للقرآن فلا نقبل هذه الرّوايات .

مثلًا إذا أردنا أن ندرس سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فإذا ذهبنا إلى الرّوايات نجد أنّ بعضها تُشَوِّهُ صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وبالبحث في القرآن نجد هناك صورة أخرى له صلّى الله عليه وآله لا نفس الصّورة الموجودة في الرّوايات ، صورته صلّى الله عليه وآله في القرآن صورة نقيّة ، مبعوث رحمةً للعالمين ، رحيم بالمؤمنين ، رؤوف بالنّاس ، فتأخذ صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله من القرآن ، وبالرّجوع إلى الرّوايات نجد هناك صفات مخالفة لما يطرحه القرآن ، فنعرض هذه الرّوايات على القرآن ، وبالتّالي لا نقبل الرّوايات الّتي تشوّه صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

إذن من خلال آيات القرآن يمكن لنا أن نعرف الظّروف المحيطة بهذه الآية ، وكذلك ندرس الرّوايات لنعرف الظّروف المحيطة بهذه الرّواية ، وهذا عمل الفقيه ، وهو عمل مهمّ وَمُتْعِبٌ ؛ لأنّه في كلّ آية وكلّ رواية يقوم بهذا البحث ، والآن نقرأ الآية والرّواية خارج سياق الظّروف الّتي أحاطت بهما ، نقول مباشرة إنّ الآية أو الرّواية تدلّ على كذا ، ولكن لا بدّ أن نأتي للآية ونعرف ظروفها وندرسها ضمن السّياق القرآنيّ ، ونأخذ مجموعة من الآيات قبل هذه الآية ، ومجموعة من الآيات بعد هذه الآية ؛ لكي نعرف السّياق الّذي وردت فيه الآية ، وهذا أمر مهمّ ، فمرّة نستقطع الآية من سياقها فتعطينا معنى ، ومرّة ننظر إلى الآية ضمن السّياق فتعطينا معنى آخر

غير المعنى الأول ، وستأتي أمثلة لهذا من خلال المحاضرات إن شاء الله تعالى .

إذن النّبيّ صلّى الله عليه وآله مُصْلِحٌ من المصلحين ، ولكنّه مصلح معصوم ، جاء لإصلاح أوضاع المجتمع ، فطرح أحكامًا ، بعض الأحكام تتناسب مع الظّروف الموجودة في ذاك الزّمان ، مثلًا نجد في الرّوايات "الكَيْل" ، والرّواية تستعمل لفظ "الكَيْل" في بيع بضاعة من البضائع ، وتذهب إلى بعض المجتمعات تجد أنّهم يستعملون الوزن في بيع نفس البضاعة ، مثلًا في مجتمع تشتري البيض بالعدد ، فيكون من باب المعدود ، وفي مجتمع آخر تشتري البيض بالوزن ، فيكون من باب الموزون ، فالحكم يختلف في المجتمعين ، فأوضاع المجتمع تدخل في الحكم ، واليوم نستعمل الوزن بدل الكيل ، وبعض الأحكام جاءت بناءً على أساس الكَيْل .

ومثال آخر في تحديد "الكُرّ" من الماء ، نجد الاختلاف بين الفقهاء في حجمه بمقياس شبر اليد والقياس بالأصابع ، البعض يقول (٣×٣×٣) شبر مكعّب ، أو (٣×٣,٥×٣,٥) شبر مكعّب ، وقد توجد أقوال أخرى ، وشبر كلّ شخص يختلف عن الشّخص الآخر من حيث المسافة ، هل هذا المقدار من الماء الّذي كان على أساس الشّبر هل يمكن أن نأتي له بوزن فنقول بأنّ الماء إذا كان بهذا الوزن فهو كُرّ ؟

هذا يحتاج إلى بحث من العالم في جميع الرّوايات الّتي ذكرت "الكُرّ" ، فيحلّل هذه الرّوايات ويصل إلى تحديد الكُرّ بالوزن ، وهذا البحث موجود في كتاب "ما وراء الفقه" للسّيّد محمّد محمّد صادق الصّدر رضوان الله عليه .

وإذا أردت أن تطرح اليوم للعالَم موضوع الأشبار والقياس بالأصابع فلا يقبلون منك ، فالشّبر كان موجودًا في الماضي ، واليوم عندنا قياس المسافات بالبوصة والسنتيمتر والمتر والكيلومتر ، والحسابات تكون دقيقةً لا كما هو الحال بالنّسبة للشّبر ، والمطلوب منّا في الرّسالة العمليّة أن نطرح المسافات والمساحات والأحجام بمقاييس اليوم ، فلا بد من تحويل الشّبر إلى مقياسِ اليوم ، مثلًا الشّبر المتعارف يعادل ٢٠ سنتيمتر تقريبا ، وفي بلدان المسلمين وفي الشّرق والغرب المقياس المتعارف اليوم يختلف عن مقاييس الماضي ، ولا نستعمل مقياس الشّبر في كتبنا اليوم ، أو مثلًا عدد حبّات الحمّص في وزن الذّهب ، أو دينار ذهب أو درهم فضة ، وما زلنا في الرّسائل العمليّة نستعمل دينار الذّهب ودرهم الفضّة ، مثلًا مهر المرأة خمسمائة درهم فضّة ، ولا نعرف وزن الدّينار ووزن الدّرهم بالجرام ، لا بدّ أن نحوّل هذه الأوزان إلى الأوزان المعروفة اليوم ؛ لكي يعرف من يقرأ الرّسالة العمليّة أوزان الأشياء حسب أوزان اليوم ، فدينار الذّهب يساوي ٣,٦ جرام ذهب ، وعند بعض العلماء ٣,٤٨ جرام ذهب ،

ودرهم الفضة يساوي ٢,٥٢ جرام فضة ، وعند بعض العلماء ٢,٤٣٦ جرام فضة ، وتختلف الأوزان من فقيه لآخر ، وترى سعر الذّهب والفضّة في السوق ، وسعرا الذّهب والفضّة يتغيّران في السّوق صعودًا وهبوطًا ، والحمّصة جزء من أربعة وعشرين جزءًا من المثقال الصّيرفيّ ، والمثقال الصّيرفيّ يساوي ٤,٦٤ جرام ، فيكون وزن حبّة الحمّص ٠,١٩٣ جرام .

الإجماع والشهرة :

وكذلك يأتي العلماء أيضًا إلى إجماعات العلماء وشهراتهم ليروا بأنّه هل تؤخذ جميع الإجماعات والشّهرات مطلقًا أو يؤخذ بعضها ويترك البعض الآخر ؟

مصادر الاستنباط هي الكتاب والسّنّة والإجماع والعقل ، فالإجماع داخل في مصادر الاستنباط ، والإجماع هو اتّفاق جميع الفقهاء الموجودين قبل زمان المحقّق الحلي اتّفاقهم على حكم ، والشّهرة هي اتّفاق أغلب الفقهاء قبل زمان المحقّق الحلي اتّفاقهم على حكم ، والفقيه لا بد أن يحدّد موقفه منهما قبل أن يبدأ ببحوثه الفقهيّة .

ويقول الفقهاء بأن الإجماع حجّة ، وبعض الفقهاء يقول بحجّيّة الشّهرة ، والبعض لا يقول بحجّيّة الشّهرة ، فالفقيه لا بدّ أن يحدّد مسبقًا كيفيّة تعامله مع الإجماع والشّهرة ، هل يأخذ جميع الإجماعات والشّهرات أو يأخذ البعض دون البعض ؟

والسّيّد الشّهيد محمد باقر الصّدر رضوان الله عليه طرح رأيًا جديدًا ، فيتم تقسيم الإجماعات والشّهرات إلى قسمين : قسم يعطي اليقين للفقيه بصدور الحكم فيكون حجّةً ، وقسم آخر لا يعطي اليقين للفقيه بصدور الحكم فلا يكون حجّةً ، فإذا كان الإجماع أو الشّهرة يسبّب يقينًا للفقيه فيأخذ به ، وإذا كان لا يسبّب اليقين له فلا يأخذ به ، فمصادر الاستنباط هي الكتاب والسّنّة والعقل ، والإجماع مختلف فيه ، فيكون مدارهما مدار اليقين ، فبعض الإجماعات قد لا تورث اليقين لأنّه من الممكن أنّ العالم الأول قال شيئًا وباقي العلماء تبعوه في قوله ، فهذا إجماع للعلماء ولكن لا يعطي يقينًا ، بل لا يوجد إجماع هنا ، فهو رأي عالم واحد ، والباقي تابعون له ، فالإجماع إذا كان يسبّب اليقين عند العالم فيأخذ بهذا الإجماع ، وكذلك في الشّهرة ، وأمّا بناءً على رأي العلماء الآخرين غير السّيّد الشّهيد فإنّ جميع الإجماعات والشّهرات تُقْبَلُ بعناوينها مطلقًا سواء سبّبت اليقين أم لم تسبّب اليقين .

خلاصة الموضوع :

في منهج البحث توجد محوريّة القرآن ومحوريّة عترة النّبيّ صلّى الله عليه وآله اعتمادًا على حديث الثّقلين ، هذا أوّلًا ، وثانيًا في الرّوايات توجد روايات واقعيّة وروايات منقولة ، وكلامنا بعرض الرّوايات على القرآن الكلام عن الرّوايات المنقولة لا الرّوايات الواقعيّة ، وثالثًا يمكن

الاستفادة من مصادر المذاهب الأخرى لأنّها تمثّل الموروث الرّوائيّ للمسلمين ، وهنا لا نقول نقبلها أو نرفضها ، فإنّ هذا يقع ضمن بحث العالم بحسب مبانيه في قبول الرّواية أو رفضها ، والعالم يأتي إلى بحث الفقه المقارن ، فيقارن بين الأحكام الفقهيّة في المذاهب المختلفة ، ويرى أدلّة كل حكم ، ويقارن بينها ويختار الحكم الشّرعيّ حسب استدلاله الفقهيّ ، ورابعًا توجد روايات مشتركة تمثّل المشتركات بين المذاهب ، ويتمّ التّركيز على المشتركات كحديث الثّقلين المتواتر عند جميع المسلمين ، وخامسًا يتمّ فتح باب الحوار بين مذاهب المسلمين ومدارسهم المختلفة ، وكذلك فتح باب الحوار بين جميع الأديان ، وفتح باب الحوار بين الحضارات ، ويمكن الاستفادة من الأديان الأخرى ، وتوجد مشتركات بين جميع الأديان ، مثلًا توجد مشتركات بين الإسلام والبوذيّة ، فنبحث هل البوذيّون يعتقدون بإله أو لا يعتقدون ؟ هل يعتقدون بأنّ بوذا إله أو رمز للإله أو نبيّ أو مُصْلِحٌ ؟

وكذلك نبحث في جميع الأديان الأخرى عن المشتركات ، فينفتح الباب بين الأديان لكي نطّلع على ما يوجد عندهم ، ويمكن أن نَرُدَّ على إشكالاتهم ، وَنُشْكِلَ عليهم ، وهذا غير موجود الآن إلّا القليل ، وسادسًا يمكن الاستفادة من التّراث البشريّ في جميع التّخصّصات العلميّة والإنسانيّة ، في علم الاجتماع وعلم الاقتصاد ،

وعلم الإنسان الّذي يُسَمَّى "إنثروبولوجيا" ، فنشأت علوم جديدة ، فيمكن أن نستفيد من هذه العلوم في إثبات أحقّيّة الدّين الإسلاميّ ، فما دام أنّنا نقول "عالميّة الإسلام" فلا بدّ أن يطّلع المسلمون على نظريّات الشّرق والغرب ، فتوجد بعض الأمور يمكن أن نأخذ بها ، وبعض الأمور نناقشها معهم ، فاطّلاع العالم على الآراء الجديدة المطروحة في الشّرق والغرب هذا الاطّلاع سيزيد من منظومته الفكريّة المعرفيّة ، فيتعامل مع الأمور بطريقة أفضل ، فيعطينا الحكم الشّرعيّ العالميّ الّذي يتناسب مع جميع النّاس في جميع المجتمعات ، وذكرنا كيفيّة التّعامل مع أقوال العلماء ، وذكرنا شيئًا عن الأدلّة العقليّة والأدلّة العرفيّة ، وفي المحاضرة القادمة ندخل في استعراض الآيات القرآنيّة الدّالّة على عالميّة الإسلام ، ثمّ يأتي البحث في إثبات وجود الإله الخالق للكون ، وهو أهمّ بحث لأنّه إذا أثبتنا وجود الإله الخالق فتأتي باقي الأبحاث ، ثمّ ننتقل إلى باقي أصول الدّين من العدل والنّبوّة والإمامة والمعاد ، ثمّ ننتقل إلى فلسفة الدّين ، وفلسفة الفقه العمليّ ، ومن الممكن أن نطرح بعض الأحكام الفقهيّة العمليّة بناءً على نظريّة عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام وبناءً على نظريّة دخالتهما في الأحكام ، وقد تختلف الأحكام بناءً على النّظريّتين ، وهو بحث شيّق لأنّه بحث جديد ، ونرجع إلى بعض المصادر الّتي ذكرت هـذا البحث ، ونحـاول توسعـة هـذا البحث بإضافـة بعض

الأفكار الأخرى ، وسنستفيد من القرآن الكريم في جميع بحوثنا ، بالإضافة إلى الاستفادة من الرّوايات .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

مصادر الكتاب

ملاحظة :

هـذه المصـادر لجميـع المحاضـرات الّـتي أُلْقِيَـتْ في موضـوع "عالميّـة الإسلام" ، وَسَتُضافُ مصادر أخرى في باقي أجزاء الكتاب .

أوّلًا : الكتب :

القرآن الكريم .

الآداب المعنويّة للصّلاة – السّيّد روح الله الموسويّ الخمينيّ .

الأخلاق – السّيّد عبدالله شبّر .

أسرار الصّلاة – الميرزا جواد الملكيّ التّبريزيّ .

الإشارات والتّنبيهات – ابن سينا .

أصول الدّين – السّيّد كاظم الحسينيّ الحائريّ .

أصـول الفلسـفة والمـنهج الـواقعيّ – السّـيّد محمّـد حسـين الطّباطبـائيّ والشّيخ مرتضى المطهّريّ .

أفي الله شكّ ؟ – الشّيخ مرتضى فرج .

الإمامة في جذورها القرآنيّة – الشّيخ عبدالله دشتيّ .

الأمثل في تفسير كتاب الله المُنْزَل – الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ .

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار – الشّيخ محمّد باقر المجلسيّ .

بداية المعرفة – الشّيخ حسن مكّي العامليّ .
البداية والنّهاية – ابن كثير الدّمشقيّ .
تاريخ الأمم والملوك – محمد ابن جرير الطّبريّ .
التّبيان في تفسير القرآن – الشّيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ .
التّحقيق في كلمات القرآن الكريم – العلّامة حسن المصطفويّ .
تفسير العيّاشي – محمّد بن مسعود عيّاش السّلميّ السّمرقنديّ .
تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن كثير القرشيّ الدّمشقيّ .
التّفسير الكبير أو مفاتيح الغيب – فخر الدّين الرّازيّ .
التّقوى في القرآن – السّيّد كمال الحيدريّ .
تناقضات الألبانيّ الواضحات – الشّيخ حسن بن عليّ السّقّاف .
الثّابت والمتغيّر في المعرفة الدّينيّة – السّيّد كمال الحيدريّ .
جامع أحاديث الشّيعة – السّيّد حسين البروجرديّ .
جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمّد بن جرير الطّبريّ .
جامع السّعادات – المولى محمّد مهدي النّراقيّ .
جامع العلوم والحكم – أبو الفرج الحنبليّ .
الجامع لأحكام القرآن – محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ .
حرّيّة الاعتقاد في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة – الشّيخ حسن فرحان المالكيّ .

دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدّولة الإسلاميّة – الشّيخ حسين عليّ المنتظريّ .
دستور الأخلاق في القرآن – الدّكتور محمّد عبدالله دراز .
الدّوافع نحو المادّيّة – الشّيخ مرتضى المطهّريّ .
سلسلة الأحاديث الصّحيحة – محمّد ناصر الدّين الألبانيّ .
سنن ابن ماجة – ابن ماجة محمّد بن يزيد القزوينيّ .
سنن التّرمذيّ (الجامع الكبير) — محمّد بن عيسى التّرمذيّ .
السّنن الكبرى – أحمد بن شعيب النّسائيّ .
السّيرة النّبويّة – أبو محمّد عبدالملك بن هشام الحميريّ البصريّ .
شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار – القاضي أبو حنيفة النّعمان ابن محمّد التّميميّ المغربيّ .
الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة – إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ .
صحيح البخاريّ (الجامع المسند الصّحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيّامه) – محمّد بن إسماعيل البخاريّ .
صحيح مسلم – أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيريّ النّيسابوريّ .
صيانة القرآن من التّحريف – الشّيخ محمّد هادي معرفة .
العدل الإلهيّ – الشّيخ مرتضى المطهّريّ .
عقليّات إسلاميّة – محمّد جواد مغنيّة .
علل الشّرائع – الشّيخ الصّدوق أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القميّ .

غُرَرُ الحِكَمِ وَدُرَرُ الكَلِمِ (كلمات أمير المؤمنين عليه السّلام) – الشّيخ عبدالواحد بن محمّد التّميميّ الآمديّ .
الفطرة – الشّيخ مرتضى المطهّريّ .
فلسفتنا – السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر .
القواعد الفقهيّة – السّيّد محمّد حسن البجنورديّ .
الكافي – الشّيخ محمّد بن يعقوب الكلينيّ .
الكامل في التّاريخ – عليّ بن محمّد بن الأثير الجزريّ .
كنز العرفان في فقه القرآن – الفاضل المقداد السّيوريّ .
لا ضرر ولا ضرار – السّيّد كمال الحيدريّ .
لسان العرب – جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور الأنصاريّ .
مجمع البيان في تفسير القرآن – الفضل بن الحسن الطّبرسيّ .
المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء – المولى محسن الفيض الكاشانيّ .
المرسل والرّسول والرّسالة – السّيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر .
المستدرك على الصّحيحين – الحاكم محمّد بن عبدالله الضّبّيّ الطّهمانيّ النّيسابوريّ .
مسند الإمام أحمد بن حنبل الشّيبانيّ الذّهليّ .
المعجم الكبير – سليمان بن أحمد الطّبرانيّ .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمّد فؤاد عبدالباقي .
مفردات ألفاظ القرآن – الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهانيّ .
منطق فهم القرآن – السّيّد كمال الحيدريّ .

الميزان في تفسير القرآن – العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ .
نفحات القرآن – الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ .
النّفي والتّغريب في مصادر التّشريع الإسلاميّ – الشّيخ نجم الدّين الطّبسيّ .
نقد العقل العربيّ – محمّد عابد الجابري .
نقد نقد العقل العربيّ – جورج طرابيشي .
نهج البلاغة – الشّريف أبو الحسن محمّد الرّضيّ ابن الحسن الموسويّ .
هناك إله – أنتوني فلو .
وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشّريعة – الشّيخ محمّد بن الحسن الحرّ العامليّ .

ثانيًا : الصّوتيات والفيديو :

برنامج "مختلف عليه" – إبراهيم عيسى – قناة الحرّة الفضائيّة .
التّقليد والأعلميّة ٣٣ محاضرة – الشّيخ محمّد أشكنانيّ .
تكاليف المؤمن في عصر الغيبة ٥٨ محاضرة – الشّيخ محمد أشكنانيّ .
محاضرات ودروس ولقاءات السّيّد كمال الحيدريّ .
محاضرات وكتب الشّيخ حيدر حبّ الله .
محاضرات ولقاءات الدّكتور عدنان إبراهيم .
محاضرات ولقاءات السّيّد منير الخبّاز .
محاضرات ولقاءات الشّيخ حسن فرحان المالكيّ .

محاضرات لؤيّ الشّريف .

محاضرات مؤسّسة مؤمنون بلا حدود للدّراسات والأبحاث .

ثالثًا : مواقع الإنترنت :

١- www.mawdoo3.com .

٢- ar.m.wikipedia.org .

٣- blogs.aljazeera.net ، مدوّنات الجزيرة تحت عنوان "ثقافة الاختلاف . . تلاقح الأفكار والآراء سبب ازدهار الأمم" .

٤- www.aljazeera.net ، قناة الجزيرة - عالميّة الإسلام وعولمته - لقاء مع الدّكتور أحمد الرّيسونيّ .

٥- www.aljazeera.net ، قناة الجزيرة - عالميّة الإسلام ومجالاتها - لقاء مع الشّيخ يوسف القرضاويّ .

٦- alhayat.com ، جريدة الحياة ، مقالة بعنوان "ثقافة الاختلاف" .

٧- www.almaaref.org ، مقالة بعنوان "التّقوى وآثارها الاجتماعيّة والفرديّة" .

٨- www.almoneer.org ، الثّابت والمتغيّر في التّشريع الإسلاميّ - السّيّد منير الخبّاز .

محتويات الكتاب

عالميّة الإسلام

الجزء الأوّل

١- أسئلة تمهيديّة ٥

٢- مفهوم عالميّة الإسلام ومظاهرها ٣٠

٣- الحسين عليه السّلام رسالة عالميّة ٥٠

٤- الرّسول العالميّ ٧٣

٥- تابع مظاهر عالميّة الإسلام ٩٥

٦- تابع مظاهر عالميّة الإسلام ١٢١

٧- تابع مظاهر عالميّة الإسلام ١٤٣

٨- تابع مظاهر عالميّة الإسلام ١٦٧

٩- تابع مظاهر عالميّة الإسلام ١٨٩

١٠- تابع مظاهر عالميّة الإسلام ٢١٣

١١- متطلّبات عالميّة الإسلام ٢٣٤

١٢- منهج البحث ٢٥٥

١٣- تابع منهج البحث ٢٧٥

١٤- تابع منهج البحث ٢٩٨

مصادر الكتاب ٣٢٢